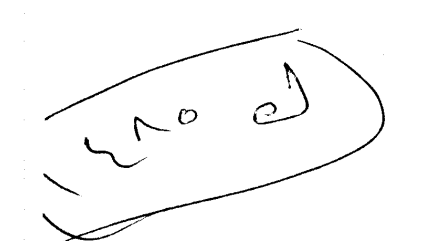
دراسات فى الإعلام الدولى

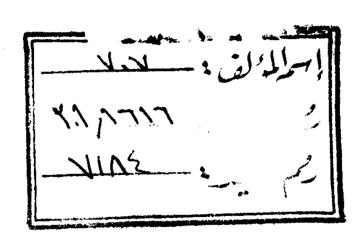


الحرب الإذاعية

تأليف
الدكتور فؤاد بن حالة

ترجمة
الدكتورة انشراح الشال

الطبعة الثالثة
١٩٩٣



دار الفكر العربى

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

صدق الله العظيم

(الحجرات : ١٣)

إلي جامعة بوردو " ٢ "

بفرنسا

وإلي أساتذتي وزملائى وأبنائى

فى الجامعات الفرنسية ووسائل الأعلام

ويمثلهم الزميل

فــؤاد بن حــاله

أهدي هذا العمل رمزا لسنوات أعتز بها وأعترف بفضلها

دكتورة

انشراح الشال

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

يتردد الحديث فى هذه الأيام عن الغزو الثقافى وبخاصة بعد إطلاق أقمار الاتصال التى لا تعترف لا بالحدود الجغرافية ولا بالحدود السياسية عند البث المباشر للبرامج المسموعة والمرئية .

والحرب الإذاعية من خلال الميكروفون عشناها فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وسجل لها التاريخ معارك لن تنسى ، مما جعل البعض يتخوف مسبقا مما يمكن أن يترتب على البث التليفزيونى المباشر .

وعن تأثير الاذاعة كسلاح فى الحرب ، يستشهد مؤلف هذا الكتاب بجملة قالها « بزرزنسكى » (Bzrezinski) مستشار الرئيس كارتر : « بعد عصر المدفع والتجارة والمال ، تمثل تقنية الاتصال وشبكاته النمط الثالث للسيطرة على العالم » ، إلا أن نجاح الاذاعات الموجهة للعالم الثالث يرجع بنسبة كبيرة إلى سياسة التعتيم السياسى والثقافى التى تتخذها السلطات فى بعض الدول .

والبرامج الموجهة تستهدف أساسا الصفوة ، أى فئة الشعب الأكثر تأثيرا . كذلك يشكل الشباب هدفا آخر للإذاعات الموجهة .

وإذا كانت بعض الحكومات قد لجأت فى أثناء الحرب العالمية الثانية إلى اتخاذ إجراءات « مانعة » للحد من تأثير هذا السلاح الجديد من نوعه ، سواء باللجوء إلى التشويش المقصود على برامج العدو أو بفرض عقوبات صارمة لردع كل من تسول له نفسه ، ليس فقط ترويج ما يسمع من أخبار تنقلها إذاعات العدو بل كذلك الاستماع إلى برامجها ، فإن هذه الوسائل لم يتحقق لها النجاح الذى تصوره البعض وذلك لأسباب يعلمها القارىء جيدا وتتضح فى ثنايا هذا الكتاب .

وقد يشير ما سبق إلى رؤيتنا الخاصة بمجابهة ما يسمى بالغزو الثقافى بوساطة وسائل الاعلام ، وبخاصة البث المباشر للتليفزيون عبر الاقمار الصناعية .

ولقد سبق لنا أن طرحنا الحل لمجابهة هذا الغزو منذ سنوات فى ندوة واكبت إطلاق أول قمر صناعى يحمل إسم « عربسات » ، حيث ركزنا على المادة الإخبارية (١٩٨٥) ، وقلنا ما معناه أن المواجهة الحقة والفعالة لن تتأتى إلا من خلال إنتاج برامج على أعلى مستوى فنى ، شريطة أن نبدأ فورا ليعتاد المشاهد متابعة ما نقدمه له ، وقلنا إن هذا الأسلوب قد يساعد على الاحتفاظ بالمشاهد ..

والكتاب الذى نعرضه هنا صفحات مستخلصة من الرسالة التى تقدم بها الزميل فؤاد بن حالة للحصول على درجة دكتوراه الدولة فى القانون

والعلوم السياسية من إحدى جامعات باريس (Paris Sud) وعنوان رسالته : « دور الوسائط فى العلاقات الدولية »
(Le rôle des médias dans les relations internationales)
والتى أشرف عليها الاستاذ « شارل زورغبيب » (Charles Zorgbibe) عميد كلية الحقوق ، والذى قدم الكتاب للقارىء فى الطبعة الفرنسية التى تحمل عنوان : (La guerre radiophonique) .

وفى تقديمه ، يرى زورغبيب أن السياسة الخارجية التى تعيش أسوأ الظروف تفرزها لعبة السياسة الداخلية .

ويتبنى زورغبيب رأى « مارسيل ميرل » (Marcel Merle) فى أن الرأى العالمى عبارة عن محصلة للتوتر الجدلى الذى يظهر بين الحكومات وجماعات القوى التى تكافح لتعديل النظام العالمى ، وأن تأثير الرأى العالمى يتوقف على وجود حد أدنى لاشتراك الرأى العام القومى المعنى مباشرة والذى يؤمن بالمصير الموحد للقوى الصغيرة والكبيرة * كذلك يؤمن بأن السلاح الإذاعى نتاج للحرب الأيديولوجية .

وعندما يتحدث زورغبيب عن فؤاد بن حالة يقول : إن المدير العام لراديو فرنسا الدولى يجمع بين كونه صحفيا فى الإذاعة ومحللا للسياسة الخارجية مما أهّله لأن يستكشف ويشرح بمهارة تاريخ « الاذاعات الخارجية » وتأثيرها .

ويصحبنا فؤاد بن حالة فى كتابه من الحرب العالمية الثانية إلى الحرب الباردة وإلى معارك التخلص من الاستعمار على نغمات اللحن المميز لإذاعة « البى بى سى » (B B C) ونشرات أخبار « إذاعة أوربا الحرة » (R E L) وحملات « صوت العرب » الشهيرة فى عهد ناصر ...

ويشير زورغبيب إلى أن فؤاد بن حالة يرى أن الغرب متفوق فى المواجهة الأيديولوجية العالمية التي تعتمد على سلاح الإذاعة ، ويرى كذلك أن لوسائل الاعلام دورا متناقضا بالنسبة للشرق عنه بالنسبة للجنوب ؛ فتجاه الشرق يحمل العمل الاذاعى الغربى الحرية ويحافظ على الهوية الثقافية ، أما تجاه الجنوب فيتسبب العمل الإذاعى الغربى فى عدم الاستقرار الثقافى .

ويرى العالم الثالث أن النظام الحالى للاعلام يعانى مما يعانى منه النظام الاقتصادى من عدم توازن فى غير صالح الجنوب ، وفى هذا يقول بن حالة : « إن العالم الثالث على حق عندما يندد بالغزو الثقافى وبإمبريالية الاعلام » .

وقد يؤخذ هذا الكتاب على أنه امتداد لمدرسة تشاخوتين فى كتابه «اغتصاب الجماهير » ، وبخاصة أنه يأخذ فى الاعتبار أن منظمة الوحدة الافريقية قد أقرت العلاقة ما بين تصاعد الحركات القومية وتطور الاذاعات الموجهة للأراضى التى لم تحصل بعد على استقلالها .

ولكن فؤاد بن حالة يذكرنا بأن القومية فى دول العالم الثالث لم تولد

مع الإذاعة ، كما لا يمكن القول بأن القومية الأوربية قد ظهرت مع المطبعة .

وفى هذا الكتاب ، نتفق مع بن حالة بأن لجوء المستمع للإذاعات الأجنبية فى وقت الأزمات كان مرتبطا بحالة القلق وفقدان الثقة فى الأخبار التى تقدمها لهم حكوماتهم ، حيث يدلل على وجهة النظر هذه بأنه فى بداية الحرب العالمية الثانية ، كان الألمان أقل قلقا من الشعوب الأوربية الأخرى ، وعدم ثقتهم فى قادتهم كانت أقل من غيرهم ، ولم ترتفع نسبة عدم الثقة لديهم إلا مع بداية الهزائم المتوالية للجيش الألمانى ... ، ويؤكد فى موضع آخر على أن الاستماع لمحطة معادية معارضة للنظام ومؤيدة لسياسة «العدو» يرجع إلى غياب الثقة فى وسائل الاعلام القومية ...

وفى ترجمتنا لهذا الكتاب احترمنا بشدة أسلوب الكاتب إلا فيما ندر ، بوضع عناوين جانبية مثلا ، أو انتقاء تعبير دون آخر لكى لا يحدث لبس لدى القارىء العربى (ومثال ذلك ترجمة " Les radios extérieures " بالاذاعات الموجهة وليس الاذاعات الخارجية) ، ونرجو ألا نكون قد ابتعدنا عما كان يقصده المؤلف حتى لا ينطبق علينا القول العربى القديم : « تخيل ثم خالا » ، ونؤكد صدق المقولة الايطالية :

« المترجم خائن » (traduttore traditore)

كذلك ينبغى أن ننبه القارىء إلى وجود تواريخ وأرقام ورؤية للمؤلف لبعض الأحداث ترجمناها كما هى دون تحقيق وأحيانا دون إشارة إليها .

وفى النهاية ، لا ننسى أن نشكر الاستاذ الدكتور خليل صابات والاستاذ الدكتور أحمد الصاوى على تشجيعهما لنا للاقدام على ترجمة هذا المؤلف .

كذلك لا يسعنا إلا أن نشكر المؤلف الزميل الاستاذ الدكتور فؤاد بن حالة مستشار هيئة المواصلات فى فرنسا والمسئول عن إحدى قنوات التليفزيون الفرنسى (Canal +) على موافقته بتقديم مؤلفه للقارىء العربى .

وأخيرا ، نرجو أن نكون قد وفقنا فى هذا العمل الذى يسمح للقارىء العربى بمتابعة رؤية فرنسية فى مجال العمل الاذاعى ، وأن نسد به ثغرة فى الكتابة فى هذا النوع من الدراسات ، وأن نفيد منه أبناءنا الدارسين والعاملين فى هذا الحقل . والله ولى التوفيق .

دكتورة / انشراح الشال

مقدمة

يرد هذا الكتاب على سؤال يدور حول أهمية البرامج الموجهة ، ومايمكن أن تقوم به في مجال العلاقات الدولية .

وقد يثار تساؤل عند الكتابة فى موضوع الاذاعات « الدولية » عما إذا كان الصحفيون المهتمون بالعمل « الخارجى » صحفيين مثل غيرهم ، أم أن صحافتهم تقترب من العمل الدبلوماسى ، إلا أن بعض هؤلاء قد يهينهم هذا السؤال . فالمسألة ليست إذن سهلة . وربما يكون صحيحا أو خطأ أن التعليقات والتحليلات التى تقدمها الاذاعات الموجهة يفهمها المستمعون فى الخارج على أنها تعبر عن وجهة نظر الدولة التى تبث منها. أى أن هذه الدول تستعين بهذه الوسيلة بوصفها وسيلة للعمل والضغط فى المجالات الدولية .

وتتسابق الأمم لاستخدام ما أمكن من الوسائل لاظهار قوتها ، ولكى تضمن وتجذب جماهير غفيرة من خارج حدودها السياسية واللغوية أيضا . ولكن لاعتبارات خاصة بالعمل الخارجى فى مجال الوسائل المسموعة / المرئية ، وبخاصة فيما يتعلق بالإذاعات الدولية ، ليس من السهل قياس تأثير هذا النوع من البرامج بدقة (١) .

فإذا كانت أى شركة تجارية يمكنها أن تحسب بكل دقة نتائج حملة إعلانية لها ، لاتستطيع الدولة أن تقيس المردود من العمل الإذاعى . ويبقى أن نعرف أنه بخصوص العمل الخارجى ليست وسائل الإعلام الوسيلة الأكثر تكلفة . وقد يتصور البعض أن العلاقة بين النفقات والتأثير فى مجال الإذاعة الموجهة علاقة إيجابية طردية بصفة عامة ، مما قد يكون السبب فى أن كل الدول تعى تماماً وعن اقتناع بأن العمل الخارجى فى مجال

الإعلام المسموع / المرئى هام على المستوى الدبلوماسى والاقتصادى والتجارى والثقافى ، ويرتبط ذلك بالإطار النفسى للسياسة الخارجية .

ولقد كان للتطور التقنى دوره فى ظهور وسائل جديدة ، وربما ساعد هذا التطور فى زيادة كفاءة هذا العمل الذى يستهدف الخاصة والجمهور العام فى آن واحد . وغالبا ما يقوم المسئولون الدبلوماسيون والسياسيون فى الدول التى تقوم بالبث بتهيئة المناخ الملائم فى الدولة المستهدفة ، وفى هذه الحالة ، فإن العمل يستغرق فترة . وإن كانت محدودة - لأن توصيل وجهات النظر يتطلب وقتا .

وعلى عكس الوسائل الأخرى المستخدمة فى العلاقات الدولية فيما يتعلق بوسائل الإعلام ، فإن مقدرة الوسيلة لاترتبط فقط بنوع الأداة المستخدمة . فإن الإذاعة كسلاح يمكنها أن تخفف من كفاءة الوسائل التقليدية ، كما يمكنها أن تصبح وسيلة إضافية ، وهناك أمثلة لذلك يمكن أن نتعرف عليها من خلال ماحدث فى أثناء الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة وفى الفترة التى واكبت زوال الإستعمار ، عندما يكون الهدف خلخلة النظام المعادى ، وبخاصة النظام الثقافى . وتستأنف المعركة بوساطة وسائل الإعلام على المستوى الأيديولوجى ، وهو مانلمسه منذ الحرب العالمية الثانية على الرغم من الاعتبارات الخاصة بالأيديولوجية والتى تؤخذ دائما فى الحسبان فيما يخص العلاقات بين الأمم .

ولقد كانت الحرب الباردة فى بدايتها حربا أيديولوجية ، كذلك كانت حركات التحرر فى دول العالم الثالث التى كسبت أكبر المعارك على ساحة المواجهة الأيديولوجية الدولية .

وتتوقف العلاقات بين القوى على درجة عدالة القضية موضع المواجهة وعلى قوة الحجة ، وعلى المستوى التقنى للوسائل ، وعلى مضمون الرسالة ، وعلى الإشعاع

الخارجي للحضارة والثقافة ، ويمكننا متابعة ذلك من خلال دراسة مدى نجاح فكرة الاستقلال وانتشار حركات التحرر الوطني ، والنجاح الملموس الذي حققه الكفاح من أجل حقوق الإنسان .

وبعد أن ظلت المواجهة الدولية تدور لفترة طويلة بين الشرق والغرب فقط ، دخلت دول العالم الثالث في هذه المواجهة بشكل مباشر وغير مباشر في الوقت نفسه .

أما من ناحية الكم ، فإن عدد محطات الإرسال ، وفترة البث المخصصة لبرامج الراديو والتليفزيون والموجهة للخارج ، وأطنان الورق المطبوع .. ، فإن الميزان قد يبدو متعادلا في هذا الجانب بين الشرق والغرب . وبالرغم من ذلك ، فإن دول الغرب قد خفضت حتى درجة الإلغاء سيطرة دول الكتلة الشرقية على أراضيها ، ونفذت هي بشكل واضح في أراضي الكتلة الشرقية ، وفشلت كل محاولات دول المعسكر الاشتراكي للوقوف أمام وسائل الإعلام الغربي .

كذلك فيما يتعلق بالدول النامية ، فإن المواجهة دائما في صالح الغرب ، على الرغم من محاولات الدول النامية لتوفير إعلام وطني لها ، وعلى الرغم من أن الإتحاد السوفييتي يبث برامج موجهة للعالم الثالث ضعف ماتبثه أمريكا .

ويختلف تأثير وسائل الإعلام الغربية الموجهة لدول الكتلة الشرقية عن تلك التي توجه لدول العالم الثالث إذ أن العمل الخارجي فيما يتعلق بالإعلام المسموع / المرئي الموجه للمجموعة الأولى (الدول الشرقية) يبدو وكأنه يعمل على المحافظة على الهوية الثقافية وتحقيق نسمة حرية ، أما عندما يكون العمل نفسه موجها إلى الجنوب فإنه يهدف إلى عدم الإستقرار الثقافي .

أما عن تأثير وسائل إعلام دول الكتلة الشرقية فى دول العالم الثالث ، فلا يجب إغفاله،حتى وإن كان لايتساوى مع تأثير الوسائل الغربية . فغالبا ماتكتفى الدعاية الشيوعية بتقديم الحجج لدول الجنوب لتوضيح موقف هذه الكتلة من الغرب حتى إذا لم يكن ذلك فى صالح الدبلوماسية السوفييتية .

ويمكن للراديو والتليفزيون حاليا أن يعبرا الحدود ، حتى نجد مستشارا سابقا للرئيس الأمريكى كارتر (٢) (Bzrezinski) يقول : « بعد عصر المدفع ، والتجارة والمال ، تمثل تقنية الاتصال وشبكاته النمط الثالث للسيطرة على العالم »(٣) ؛ ويؤكد البعض أن دول العالم الثالث غير مسلحة حتى الآن بهذا السلاح الجديد ، إلا أن الانطواء أو العزلة لن يساعدا دول العالم الثالث على تخطى هذا العائق ، فلا يمكن لدولة أو لمجموعة من الدول فى العالم أن ترفض الإمكانات التى يوفرها التعاون الدولى ، فالبعض يرى صعوبة فى الفصل بين الحوار بين الثقافات والغزو الثقافى وبخاصة فى مجال الإعلام المسموع / المرئى حيث تمتزج الأيديولوجية بالثقافة .

وبكل تأكيد ، يمكن لدول العالم الثالث أن تندد بنوايا دول الشمال السيئة ، وبأنانية هذه الدول التى ترفض أية محاولة جادة لخلق نظام جديد للإعلام ، ولكن هذا « الادعاء » من قبل دول الجنوب منقوص ولايمكن تصديقه أو تبنيه إذا لم يواكب ذلك محاولة جادة من قبل هذه الدول لرفض الوضع الحالى (٤) .

أما التعلل بأن الاستعمار والإمبريالية يختفيان وراء عدم وجود صفوة كافية وقادرة على تولى مقاليد الحكم بعد الاستقلال ، فلايمكننا هنا أن ننكر مسئولية الاستعمار ، ولكن ينبغى أن نؤكد أن القادة فى دول العالم الثالث غالبا ما يتبنون أكثر ماهو منفر فى النظام الإستعمارى عند ممارسة سلطاتهم ، وهو مايحدث على مستوى الإعلام ، إذ أن التمسك بالسلطة والسيادة الذى تمارسه دول عديدة ، سواء فى العالم الثالث أو فى الكتلة الشرقية يخفى فى الحقيقة حق مقاومة ورفض مبدأ حرية الإعلام .

الفصــل الأول

إمكان تحقيق إعلام دون حواجز

المبحث الأول : الاتجاهات العالمية الثلاثة للإعلام

المبحث الثانى : الدعايـة والإعــلام العــالمى .

المبحث الثالث : الإذاعة الموجهة والعلاقات الدولية

المبحث الأول

الاتجاهات العالمية الثلاثة للإعلام

أولا - اتجاهات الإعلام (٥)

كان للتطور الملموس لوسائل الإعلام ، وبخاصة على المستوى العالمى ، الفضل فى وضوح المفاهيم المتعددة للإعلام ، وتحديد دور وسائل الإعلام الجماهيرية فى المجتمع .

وعلى مستوى العالم ، هناك ثلاثة مفاهيم خاصة بالإعلام تحدد اتجاهات الإعلام بصفة عامة وهى : وجهة النظر الغربية ، والماركسية ، والأسلوب المطبق فى دول العالم الثالث ، إلا أن المفهوم غير متجانس داخل كل معسكر من المعسكرات الثلاثة.

فعلى مستوى الدول الغربية تختلف المعالجة الإعلامية بالنسبة للدول «الانغلوسكسون » (٦) والدول اللاتينية ، بحيث نجد أن المجموعة الأولى صارمة والأخرى متحفظة .

كذلك يظهر اختلاف ملموس عند الإطلاع على الصحف أو الاستماع إلى الراديو المجرى والبولندى فى جانب ، ووسائل الإعلام المماثلة فى الاتحاد السوفييتى وكوريا الشمالية فى جانب آخر ، بحيث نجد اختلافا فى المعالجة الإعلامية بين المجموعة الأولى التى تحاول أن تتناول الموضوعات بحس نقدى ، وبين الثانية التى تفضل الإلتزام بأيديولوجية محددة . ونجد أيضا أن هناك اختلافا فيما يخص الدول النامية كما هو الحال بالنسبة لنيجيريا والتى يحكمها نظام عسكرى حيث يتضمن الإعلام تقاليد الإمبريالية الإنجليزية ، وبين دول أخرى فى العالم الثالث مثل الجزائر و ساحل العاج (كوت ديفوار) (٧)، حيث الإعلام فى خدمة السلطة السياسية .

وغالبا مايتأثر مفهوم الإعلام بما هو سائد من تقاليد داخل الدولة . ولكن بوجه عام ينقسم العالم فى هذا الخصوص إلى ثلاثة اتجاهات رئيسـية سبق التنويه عنها وهى : الاتجاه الذى يأخذ به الغرب ، وما يحدث فى الدول الشيوعية ، والنظام المطبق فى دول العالم الثالث (٨) .

أ - مفهوم الإعلام فى الدول الغربية

تأخذ الدول الغربية فى مجملها بالمفهوم الليبرالى ، والذى يعنى الحرية المطلقة للتعبير وتدفق الإعلام . ووفقا لهذا المفهوم ، تشكل الصحافة السلطة الرابعة فى الدولة بعد السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية . ووفقا للتقاليد الليبرالية ، تظل الصحافة الحرة فى خدمة الديمقراطية . وفى هذا النظام الذى يأخذ بحرية الإعلام وحرية الرأى ، تؤدى وسائل الإعلام ثلاث وظائف ، أولها توفير المادة التى يمكن أن يعتمد عليها المواطنون « الأحرار » فى اتخاذ الرأى بخصوص ما يتعلق بالمشكلات القومية والعالمية ، وتعتبر هذه المهمة عنصرا ضروريا فى تطبيق مفهوم الديمقراطية .

وثانى هذه الوظائف هى أن وسائل الإعلام الحرة تقوم بمتابعة السياسة الحكومية ، لأن أنشطة الحكومة متعددة ومعقدة ويصعب على المواطن العادى متابعتها بانتظام ، ويمكن لصحافة حرة ومستقلة أن تقوم بهذا الدور الذى يتضمن التحقق من أنشطة الحكومة ، والتصدى لتعسف كل قوة لأية جماعة كانت ، فالصحافة الحرة إذن تكفل الحرية للجميع .

ومن هنا نخلص إلى أن حرية الأعلام هى محور مفهوم المجتمع الديمقراطى والتعددى الذى يحترم حقوق الإنسان .

وغنى عن القول أنه من الممكن أن نلمس اختلافا بين الحرية كمبدأ وبين التطبيق الفعلى لها . فكما يقول شريبر (٩) « حتى فى الدول حيث يوفر القانون المناخ الملائم للتعبير عن الرأى ، فإن وسائل الإعلام عند الممارسة لايمكنها اطلاقا تحقيق ذلك ، فلا توجد فقط ضغوط من قبل الحكومة ، ولكن هناك أيضا الضغوط المادية من قبل المعلنين الذين يمولون جزءا كبيرا من ميزانية وسائل الإعـلام فى الدول الغربيـة . ولذلك ، ربما تظل حرية الإعلام أسطورة بسبب العوائق التى تعترضها عند التطبيق ؛ إلا أن الديمقراطيات الغربية تحاول التغلب على نقطة الضعف هذه من خلال زيادة عدد وسائل الإعلام فيها بنوعياتها المختلفة » .

وينبثق من خلال هذه الفلسفة الليبرالية جميع المواقف التى يتخذها الغرب تجاه أية سيطرة وتجاه أى تدخل فى حرية الإعلام ، وهو موقف الدول الغربية فى الحوار ما بين الجنوب والشمال والعلاقات مابين الشرق والغرب .

ب - مفهوم الإعلام فى الدول الإشتراكية

فى مقابل المفهـوم الليبرالى الغربى هناك الإتجاه الذى تأخذ به الدول الاشتراكيـة ، وفيه يكون للدولة أو للحزب فقط الهيمنة على كل مايمس الأيديولوجية بما فيها الإعلام .

ولايوجد فصل فى هذه الدول الشرقية بين الإعلام والدعاية . كذلك فإن لوسائل الإعلام دورا فى توجيه الجماهير ، ويتضح هذا الدور فيما نص عليه قرار صدر فى سنة ١٩٦٠ من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الإتحـاد السـوفييتى جاء فيه : «التليفزيون مطالب مع الصحافة والراديو بالقيام بدور مهم فيما يخص تثقيف السوفييت فى إطار الأيديولوجية الشيوعية وروحها ، وعدم التساهل فى مواجهة الأيديولوجية والفكر البورجوازى » .

وفى سنة ١٩٧٨ أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى قرارا آخر (١٠) تحدد فيه مهمة وسائل الإعلام بأن عليها « تحسين الأنشطة الأيديولوجية والسياسية والثقافية » ، تهدف أساسا « تكوين وغرس مفهوم علمى للعالم لدى السوفييت ، بإخلاص متناه للحزب وللشيوعية ، وحب للوطن الاشتراكى وللبروليتاريا العالمية » وتؤكد هذه الوثيقة أن من المهام الأساسية للعمل أن « التربية الأيديولوجية والإعلامية تتم بمساعدة السوفييت فى كشف النقاب عن الأساليب الملتوية للدعاية المغرضة للإمبريالية والتى يقوم بها وبوضوح المعتدون والمتزمتون فى بكين » . وفى مثل هذه الظروف يكون الصحفى إذن رجلا من رجال الدعاية ، ينبغى عليه أن يكون على بينة من النظريات الماركسية واللينينية . ومن خلال المنظور السوفييتى يعتبر الصحفى « الأمين » جنديا . فقد حدد « ليونيد بريجنيف » شخصية الصحفى المثالى فى خطاب له ألقاه فى ندوة عالمية للصحفيين عقدت فى طشقند ، ويصور الصحفى فى خطابه هذا على أنه ينبغى أن « يكرس قلمه لخدمة السلام وتقدم الشعوب ، ووقف سباق التسلح ، واجتثاث الأيديولوجية العسكرية للاستعمار والعنصرية » (١١) .

وتتخذ الدول الاشتراكية من عدم خضوع وسائل الإعلام فيها لأية ضغوط تجارية أو إعلانية ، ذريعة ودليلا على أنها يمكن أن تكرس جهدها « لتعليم الشعب على المستوى الفنى والجمالى والأخلاقى والمذهبى ، وأيضا فيما يتعلق بالعمل ، مع إدانة الجشع والأنانية والفردية وغريزة الملكية .. » (١٢) ولكن غياب الضغط الاقتصادى لايمكن أن يعوض الآثار الضارة التى يمكن أن تترتب على وحدانية الرسالة ، حيث تحتكر الدولة والحزب فعلا الإعلام . بل حتى عندما تتعدد الصحف ومحطات الراديو فى هذه الدول الاشتراكية ، فإنها تنقل الرسالة نفسها . ولاتوجد آراء متعددة أو تفسير للموضوعات التى تتعلق بأحداث على المستوى القومى أو العالمى .

ولايبتعد المفهوم المطبق بالنسبة للإعلام فى الصين كثيرا عن المفهوم السوفييتى . فقد تحدد فى مقال نشر بجريدة « الشعب » (١٣) . (فى شهر سبتمبر

سنة ١٩٦٨) طبيعة وسائل الإعلام على النحو التالى : « الأنماط الصحفية المتنوعة من جرائد ودوريات وراديو ووكالات للأنباء تعتبر أدوات للكفاح الطبقى » .

وهكذا يتضح أنه فى الدول الاشتراكية تظل وسائل الإعلام فى خدمة طبقة واحدة، وفى حالة وجود دكتاتورية للبروليتاريا ، فإن الصحافة تفرض على المجتمع وجهة نظر الطبقة الحاكمة ، أما ما عدا ذلك وما يخالفه فيتم تطبيق الرقابة عليه .

ولايتم نشر أى شىء فى الدول الاشتراكية دون أن يمر على الرقابة بهدف الحفاظ على التوازن الأيديولوجى للشعب ، ومده بوجهة نظر واحدة عند تفسير الاحداث . لذلك غالبا مايكون المسئولون فى وسائل الإعلام والناشرون أعضاء فى اللجان المكلفة بالدعاية للحزب . ففى يوغسلافيا مثلا ، هناك ٧٠٪ من الصحفيين مشتركون فى الرابطة الشيوعية اليوغسلافية (١٤) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه فى دول أوربا الشرقية هناك مهام أخرى تناط بوسائل الإعلام بغرض « الإسراع بعجلة التقدم الإجتماعى لتلافى القصور وعدم الكفاية » (١٥) . وفى هذه الحالة يحاول الصحفى الكشف عن عدم كفاية البيروقراطية لفضحها ، وعندئذ فإنه يعمل على الحفاظ على النظام القائم ويساعد على تدعيمه .

ولقد أشارت بعض الدراسات التى أجريت فى الدول الشرقية إلى أنه كلما زادت الانتقادات - والتى قد تكون قاسية - فإنها تساند فى معظمها المسئولين المحليين ، وتتناول الأخبار الخفيفة ، ولاتهتم بالأسس الخاصة بالإدارة الإقتصادية أو السياسية (١٦) .

جـ - مفهوم الإعلام فى الدول النامية

يقترب مفهوم الإعلام فى الدول النامية من الرؤية الماركسية عن الرؤية الليبرالية الغربية . وينبثق مفهوم الإعلام فى الدول النامية من العلاقة بين الاتصال والتنمية التى اتضحت معالمها فى الدراسة التى نشرتها يونسكو لولبر شرام (١٧) بعنوان : « الإعلام والتنمية الوطنية » ، فرجل الإعلام « ينبغى أن يكون فى خدمة جمهوره وبجوار الأنظمة الديمقراطية ، وأن يحارب كل أشكال التبعية الاقتصادية والثقافية ، وأن يعتبر نفسه مجندا لخدمة التنمية » ، كما أشار إلى ذلك أحد المشاركين فى ندوة للدول النامية (عقدت فى بامكو (١٨) فى أكتوبر سنة ١٩٨٠). وفى حلقة دراسية عقدها فى شهر سبتمبر سنة ١٩٨٦ الحزب الوحيد فى « كوت ديفوار» حول الصحافة والإعلام ، حدد الوزير هناك ثلاثة أهداف لرجل الإعلام وهى : التشكيل والتثقيف والحث (١٩) ، مع الإحتفاظ بالمهمة الرئيسية لهم وهى خدمة التنمية » (٢٠) .

وقد يكون لوجهة النظر هذه بعض الأهمية عندما يكون الأمر متعلقا بدولة لاتتعدد فيها الأحزاب وذات نظام ليبرالى فى الاقتصاد والأيديولوجية ، لأننا نطلب من الإعلام عندئذ أن يكون « الوسيط والمتحدث الرسمى للحكومة » قبل الشعب . ويتحدث « سيكوتورى » (٢١) فى غينيا (٢٢) - القريبة من « كوت ديفوار» - والتى تعتبر تقدمية وثورية يتحدث عن الثلاثية : إعلام وتكوين وتحويل (٢٣) . وفى المؤتمر الثانى للصحفيين الأفارقة الذى عقد فى أفريقيا فى نوفمبر سنة ١٩٦٣ ، حدد الرئيس نيكروما (٢٤) مهمة الصحافة الأفريقية فقال : « ينبغى على الصحافة الثورية الإفريقية أن تمثل وتعكس أمانينا الثورية ، نحو إقامة نظام تقدمى سياسى واقتصادى فى القارة الأفريقية يمكنه أن يساهم فى تحرير الأفراد من الفقر ويخلصهم من الاجحاف بكافة صوره ، ويمكنهم من تحديد مصيرهم الإجتماعى والثقافى بعيدا عن الحاجة وفى سلام » .

وفى هذه الحالات الافريقية الثلاث ، يتعلق الأمر بمفهوم للإعلام يأخذ فى الإعتبار الإتجاه الرأسى من القمة إلى القاعدة ، ويتضح منها دور الصحافة التى ينعدم فيها وجود إعلام يمكن أن يعكس وجهة نظر المواطنين للسلطة ، بمعنى أن الإعلام يتم هنا فى إتجاه واحد .

وتسود فى معظم دول العالم الثالث وجهة النظر الخاصة بأن وسائل الإعلام فى خدمة التنمية وأن وظيفتها الرئيسية تتحدد فى إثارة اهتمام الأفراد وتشجيعهم للمشاركة فى عملية التنمية . ويبقى أن نعرف ما إذا كان ذلك يعنى استراتيجية فعاله ، والإجابة هنا بالنفى .

ومن الواضح فعلا - أن حشد الجماهير وتعبئتهم من أجل التنمية يتطلب تدفقا للإعلام فى الاتجاهين ، بين الجماهير والمسئولين السياسيين ، مما يتطلب تلافى القصور فى الإعلام الذى يمكن أن يزداد عند غياب المؤسسات الممثلة (النقابات) وعندما تكون هناك قاعدة سياسية صغيرة للنظام الحاكم .

وإذا كان على وسائل الإعلام المساهمة فى تحقيق أهداف الدولة النامية ، فعليها القيام بأدوار ثلاثة فيما يخص صياغة سياستها الاقتصادية :

١ - أن تعكس بدقة الوسط الإجتماعى / الإقتصادى الذى تتم فيه عملية التخطيط .

٢- أن تعمل على تحديد تعريف آخر وتصنيف جديد للأولويات وأن تنقل أمانى الشعب للحكومة .

٣ - أن تتخذ موقفا وسطا بين ماتقوم به جماعات الضغط وبين من يشوهون ماتقوم به الحكومة للحفاظ على أوضاع اكتسبوها (٢٥) .

والمفهوم السائد فى الدول النامية بأن وسائل الإعلام فى خدمة السلطة تتضاعف المطالبة به بالنسبة للدول الصناعية . فالعالم الثالث يرى أن النظام العالمى الحالى للإعلام يعانى مما يعانى منه النظام الإقتصادى ، من عدم توازن التبادل فى غير صالح الجنوب . والمطالبة بنظام جديد للإعلام يشير إذن إلى رغبة دول الجنوب فى تغيير علاقاتها بدول الشمال على المستوى السياسى والاقتصادى ، ويتضح ذلك من « اهتمامهم بإثارة الرأى العام لمواطنيهم من جانب ، وتحسين شكل ومضمون الإعلام بوصفه وسيلة للتقارب بين الشعوب من جانب آخر (٢٦) .

ثانيا : من أجل مشروع جديد للإعلام

لتحقيق المشروع الجديد للإعلام يجب تعديل موقف الإحتكار فى توزيع الإعلام الذى تمارسه حاليا الدول الغربية ، والذى يعطى اهتماما ضئيلا لدول العالم الثالث من جانب ، والأسلوب الذى يستخدمه لغزو دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية على المستوى الثقافى من جانب آخر .

ولا تقتصر الوسائل المستخدمة لذلك على الإذاعات الموجهة فقط بل تستعين الدول الغربية كذلك بالتليفزيون والسينما ووسائل النشر والصحافة المطبوعة ، بحجج متعددة قد تختلف كما وكيفا .

أ - العالم الثانى ووسائل إعلام الدول الصناعية

تتراوح نسبة الإعلام الذى يخص الدول النامية فى وسائل إعلام الدول الصناعية مابين ١٠٪ و ٣٠٪ علما بأن الدول النامية تشكل أكثر من ثلثى العالم (٢٧) . والأدهى من ذلك أن وسائل الإعلام الغربية مغرضة فى تقديم هذا القدر الضئيل من

الأنباء الذى يخص العالم الثالث، إذ تقوم بتحريف الأحداث. وتعتبر وسائل الإعلام الكبرى فى الدول الصناعية الإحتكار الذى تمارسه حقا لها فى الحياة بين الأمم - إذا اعترفت به - أو فى القضاء عليها اذا لم تتحدث عنه ولم تعترف به (٢٨) .

وقد ساد الصحافة العالمية موقف أشبه بالخداع نظرا لتعطش بعض الدول فى أن ترى وسائل الإعلام الكبرى تتحدث عنها ، فتقوم بعض الدول - ممن تعد أفقرها - بالإنفاق ببذخ لدعوة بعض الصحفيين الغربيين على أمل أن يكتب مقالا عنها فى صحيفة ، أو لكى يقدم عنها فقرة لاتستغرق سوى عدة ثوان على إحدى شاشات التليفزيون فى دولة غربية ، أو لكى تكون الدولة موضوعا لواحد من الريبورتاجات فى إحدى محطات الراديو . ولنسلم هنا بأن مصلحة الدولة « المضيفة» محدودة جدا . ولكن يبدو أن هذا النوع من الإعلام يستخدم كمرآة لتحقيق رجع الصدى للداخل ، فهى فرصة طيبة للأنظمة الحاكمة - غير المرضى عنها فى الغالب - لكى تعلن فى الوسائل المحلية عما نشر عنها فى الصحافة العالمية .

وفى حالة ما اذا كانت الأنباء المنشورة عن الدول النامية فى الدول الصناعية غير مرغوبة ، فمن المؤكد أن هذه الدول سوف تحاول بذل الجهد لكى تصل برامج اذاعاتها الموجهة الى الدول النامية . أما فيما يتعلق ببرامج التليفزيون ، فإنها لم تحقق حتى الآن أى تقدم فى هذا الخصوص .

ومن جهة أخرى ، ينبغى التمييز بين الإعلام المباشر وغير المباشر عند الحديث عن تدفق الإعلام تجاه الدول النامية ؛ ويقصد بالاسلوب المباشر هنا بث برامج الإذاعات الموجهة بغرض جذب مستمعين لها ، ويقصد بالاسلوب غير المباشر وضع أدوات للإعلام تحت أمر الدول النامية تستخدمها كما تشاء .

وتستعين دول الكتلة الغربية ودول الكتلة الشرقية بكلا الأسلوبين بالإضافة إلى البرامج التى تهدف الوصول مباشرة إلى المستمع فى هذه الدول ، وفى لغته الأم إن أمكن.
وتقوم بعض الدول الغنية مثلا بتوزيع مواد إعلامية مجانا وبوفرة لوسائل الإعلام فى العالم الثالث ، مواد اعلامية مطبوعة أو مسموعة ومرئية فى شكل شرائط مسجلة وجاهزة للبث على موجات الإذاعة الوطنية . كما تقوم بعض الدول النامية أحيانا بتسجيل البرامج التى يمكن التقاطها من الدول المتقدمة لكى تبثها بعد ذلك فى إذاعاتها .

ولايمكن أن يغيب عن خلد أحد أن هذه المواد المجانية التى تصل العالم الثالث ليست مفروضة عليها لكى تبث . ولكن عندما نعى مدى فقر هذه الدول ، وقصور وسائل الإعلام فيها ، يمكننا أن نستخلص إلى أى مدى يمكن أن تستخدم فيها هذه المواد الوفيرة والمتنوعة بشكل واسع .

وما قلناه عن الراديو ينسحب أيضا على التليفزيون ، حيث تقوم الدول الكبرى كذلك ببث بعض المواد المصورة إلى العالم الثالث عبر الأقمار الصناعية ونخص الدول التى بها محطات أرضية - والتى تزداد يوما بعد يوم - والتى تقوم عندئذ بالتقاط هذه المواد لكى تبث فى برامجها الوطنية (٢٩) .
والملاحظ أن جميع هذه الخدمات تقدم فى الغالب مجانا أو بمقابل رمزى على الرغم من أن سوق البرامج بين الدول الصناعية مربحة جدا .

ب - تبعية الإعلام فى العالم النامى للدول الصناعية

وسائل الإعلام فى افريقيا وفى آسيا وفى امريكا اللاتينية تابعة للدول الصناعية، ليس فقط فيما يتعلق بالمواد التى يمكن نشرها ، ولكن فيما يخص تقنية البث أيضا التى لايمكن أن تكون محايدة ، لاهى ، ولا المواد نفسها . والملاحظ أن تنظيم الإذاعة فى الدول النامية يتبع غالبا نموذجا مستوردا من الدول المتقدمة . وبوصفها مؤسسة محلية ،

فإن الإذاعة تعكس العديد من صور التبعية - وإن كانت ثانوية - يمكن اكتشافها فى اختيار استخدام تقنية بعينها ، وتطبيق نظام وأساليب عمل وهيكل تنظيمى «معين » .

جـ - التأثير العالمى لوسائل الإعلام

يظهر التأثير العالمى لوسائل الإعلام على مستويين :

١ - التأثير المباشر الذى يظهر من خلال السلوك الإشتراكى وأنماط الحياة فى البرامج الأجنبية والإعلان .

٢ - التأثير على مستوى المعايير التى يؤخذ بها عند التأليف والمهن ونماذج التنظيم والإنتاج فيما يخص وسائل الإعلام (٣٠) .

ففى مجال الإعلام ، لايمكن تجاهل تأثير هذا الإنتاج على المستوى الثقافى ، « فعلى العكس من نقل التكنولوجيا فى مجالات صناعة الأقمشة أو الأغذية مثلا ، فإنه فى مجال نقل التكنولوجيا فى مجال الإعلام ، لايمكن تجاهل التأثير الأجنبى الذى يظهر بوضوح » (٣١) . ويذهب البعض إلى أن « الأنماط الثقافية متى دخلت فإنها ستدوم إلى ماشاء الله » (٣٢) ، والعقم الفكرى الذى تقبع فيه دول العالم الثالث بحيث يعجز عن إيجاد مخرج لحل مشاكله المتعلقة بالتنمية السياسية والاقتصادية والثقافية يؤكد صحة هذا الفرض .

د ـ المطالبة بنظام عالمى جديد للإعلام

أشرنا فيما سبق إلى وجود قصور فى الإعلام مما قد يعطى بعض الحق للدول النامية عندما تطالب بنظام عالمى جديد للإعلام . وإذا كان فى الامكان تبرير هذه المطالبة بذكاء، فمن المؤكد أن دول العالم الثالث سيكون من مصلحتها أن تسوى أولا أمورها الداخلية

فيما يتعلق بالمعالجة الإعلامية ودور وسائل الإعلام ، وإلا فإن حوار دول العالم الثالث مع العالم الغربى سوف يتقلص إلى حوار عن « حرية الإعلام » (٣٣) .

ويدور فى دول العالم الثالث نفسه حوار بين من يقرون حرية الإعلام وبين من يأخذون بضرورة السيطرة على الإعلام بحجة الحفاظ على الاستقرار . وترى الفئة الأولى أن زيادة الحرية يواكبها دون شك زيادة فى الاستقرار داخل الدول النامية . أما الحجج التى تطرحها الفئة الثانية فتتركز فى أن المجتمعات فى الدول النامية مجتمعات هشة لم تنضج بعد ، وأن معظم الدول الأفريقية والاسيوية تحدها حدود صناعية لشعوب تختلف ثقافاتها وتتعدد تقاليدها . وتحت شعار ضمان وحماية الوحدة الوطنية والاستقرار تقلصت الصحافة فى هذه الدول ، بل واختفت فى البعض منها . وبحجة الحفاظ على الوحدة الوطنية والنظام العام انطلقت الأنظمة الحاكمة فى هذه الدول لتطبيق كل صور السيطرة والتعسف على الإعلام ، وعدم نشر الأخبار التى تراها فى غير صالحها ، كذلك منع كل نقد يمكن أن يوجه إليها. « وانتهى الأمر بأن هذه الدول قد خلقت عالما مثاليا يختفى فيه الشر - فيما عدا ما تمثله المعارضة » (٣٤) .

ولكن كل ماسبق لاينقص شيئا من أن دول العالم الثالث تقع تحت وطأة اتجاهين متضادين ولكنهما غير منفصلين :

الاتجاه الأول هو إقامة وحدة وطنية وضمان التنمية فى عالم يسوده الكفاح ضد تدخل القوى الكبرى .

والاتجاه الثانى يتعلق بضمان حق التعبير لكافة الاتجاهات والطوائف فى الدولة .

ولقد اختارت الأنظمة التى استقرت بعد أن نالت استقلالها الابتعاد عن الاتجاه الثانى ، وهو الحل الأسهل إلا أنه اختيار خطير ، لأنه باتباع هذا الأسلوب الذى يكمم حرية التعبير ، فإن الخطر يتهدد الصفوة من الدعاية الخارجية ، التى يلجأون إليها عند

عدم إشباعهم إعلاميا وثقافيا داخليا . لهذا ، فإن نجاح الاذاعات الموجهة فى العالم الثالث يرجع بنسبة كبيرة إلى سياسة التعتيم السياسى والثقافى التى تتخذها السلطات فى هذه الدول.

والعالم الثالث على حق فى التنديد بالغزو الثقافى وبإمبريالية الاعلام : فمن الواضح أنه فى مجال الاتصال هنا ، سواء فيما يخص الراديو أو التليفزيون أو وكالات الأنباء ، فإن الإعلام الذى تبثه الدول الشرقية أو الدول الغربية يخدم أيديولوجية وثقافة ودبلوماسية واقتصاد معين . والمطالبة بنظام عالمى عادل للإعلام فى حاجة إلى مساندة من الرأى العام فى العالم الثالث وفى الدول الصناعية . ولكن هذه المساندة لن تتحقق إلا بتوفير الديمقراطية وتطبيق حرية الإعلام فى الدول النامية . لذلك لايكفى فقط التنديد بوسائل الإعلام الغربية بل يجب كذلك طرح حلول بديلة لاتؤدى إلى تدعيم سياسة التعتيم الإعلامى . وقد يبدو من ذلك أن مستقبل التنمية ومستقبل الديمقراطية مرتبطان ارتباطا وثيقا » (٣٥).

المبحث الثانى

الدعاية والإعلام العالمى

الدعاية عنصر ملازم للعلاقات الدولية ، ويعتبر الراديو واحدا من أهم وسائل الدعاية .

أولا - أنواع الدعاية

يميز البعض بين ثلاثة أنواع من الدعاية بوساطة الراديو : الدعاية البيضاء ، والدعاية الرمادية ، والدعاية السوداء (٣٦) .

أ - الدعاية البيضاء (٣٧) وهى التى لاتخفى جذورها ولا مصادرها الإعلامية ولاأهدافها ، وهى تنطبق على البرامج الموجهة التى تشرف عليها الدولة إشرافا مباشرا .

ب - الدعاية الرمادية (٣٨)وهى لاتخفى أيضا جذورها . ولكن لما كانت هذه الدعاية موجهة فى الغالب إلى دول لايعترف فيها بحرية الإعلام ، فإنها تبث أخبارا خضعت للرقابة . ولما كانت مصادرها الإعلامية قد تكون سرية ومن الصعب التصريح بها (جهات مسئولة أو معارضة) ، فإن هذا النوع من الدعاية قد يصرح بما قد يخلق « صدمة عاطفية » بين الجماهير على الصورة التى تسببت فيها بعض الإذاعات مثل : اذاعة أوربا الحرة ، (٣٩) وراديو الحرية (٤٠) ،اللذين يبثان البرامج من المانيا الإتحادية ، وكذلك إذاعة فورموزا الموجهة للصين الشعبية .

جـ - الدعاية السوداء (٤١) وهى مخالفة تماما للأخلاق ، جذورها تظل غير معروفة وسرية ، وتظهر نفسها كما لو كانت تنبعث من حركة شعبية معادية للنظام الحاكم، ومثال ذلك المحطات العربية التى تظهر فى فترات الأزمات والتوتر . وتلجأ المخابرات

الأمريكية (٤٢) وكذلك المخابرات الروسية (٤٣) إلى هذا النوع من المحطات لزعزعة أحد الأنظمة أو عند الضغط على إحدى الدول .

ويستخدم هذا النوع من الدعاية منذ الحرب العالمية الثانية فى المناطق الحساسة فى العالم الثالث ، فى الشرق الأوسط وأفريقيا .

ثانيا : مراحل تطور الدعاية :

أصبحت الدعاية فى كل مكان من مهام الدولة ، وأصبح هناك متخصصون فى الدعاية . « وفى مراحل تطورها انتقلت الدعاية من مرحلة الفن الى مرحلة متطورة ، فقد أصبحت حاليا تقنية علمية بمعنى الكلمة ، لاعتمادها على معطيات محدودة ، وعلى عوامل نفسية واجتماعية حقيقية ، ولأنها تستعين بوسائل وأدوات كفء وفقا لخطة درست طويلا لتحديد الأهداف المنشودة ووسائل تحقيقها (٤٤) .

أ - الراديو بوصفه أداة للدعاية

فى حالة ما اذا كانت الدعاية واضحة أوتلميحية ، فإن الراديو يصلح لكل أشكال التأثير النفسى ، بل هو أفضل الوسائل دون منازع ، لأن الراديو ، إلى جانب أنه يوفر الإستماع الجماعى فى العديد من الدول النامية ، فإنه يحقق الفردية التى لايمكن تقديرها؛ لذلك يعتبر الراديو بحق أداة الدعاية داخل المنزل وفى الحقول ، خصوصا بعد شيوع أجهزة الترانزستور مما يحقق الوصول لكل فرد لايطلب منه سوى الإستماع .

ب - اهتمام الدول بالدعاية

فى بداية السبعينيات ، قدرت أمريكا ماأنفقه الإتحاد السوفييتى والحلفاء فى اتفاقية وارسو (٤٥) للدعاية بحوالى مليار دولار ونصف المليار سنويا ، أى مايوازى ٢٪ من دخل الإتحاد السوفييتى ، ويفوق عشرين مرة ما تنفقه الولايات المتحدة على الدعاية (٤٦) .

وتستعين أمريكا بوكالة خاصة للإعلام « يو إس آى إيه » (٤٧) للعمل الخارجى ، والتى كان لها فى الخمسينيات وفى أثناء الحرب الباردة ١٦٠ مركزا على مستوى العالم، عندما كانت إذاعة صوت أمريكا تبث فى ٣٤ لغة ١٢٠٠٠ كلمة يوميا .

وكانت وكالة الأنباء الأمريكية تهدف بطبيعة الحال عرض سياسة الولايات المتحدة تجاه العالم بوضوح ، وتبيان أسباب هذه السياسة . والواقع أنه من الصعب هنا تقدير نفقات الدولة ، لأن هناك نفقات واضحة يمكن ظهورها فى الميزانية ، ونفقات أخرى غير واضحة قد تتعلق بجزء مما ينفق على إنشاء سفارة أو نفقات سرية خاصة بالاستعلامات..

إختلاف أساليب الدعاية

على مستوى النظام ، يوجد فرق بين الدول الديمقراطية التعددية والدول الأخرى التى يسود فيها حزب واحد ، وبخاصة فى البلاد الإشتراكية . فالفئة الثانية ، لاتخفى طبيعة الدعاية فى برامجها الإذاعية . أما الأنظمة الليبرالية فإنها تستخدم إذاعاتها لأغراض سياسية بأسلوب غير مباشر ، « وهى أنظمة ديمقراطية تتعدد فيها الأحزاب . وبدلا من أن تفسح الإذاعات مكانا لكل الأحزاب ، فإنها تقول - كما هو الحال بالنسبة لكبريات الصحف - إنها بلا سياسة ، ولكنها تبث النمط الموحد للأخبار السياسية ، والذى يشبه مايطلق عليه حاليا الأيديولوجية السائدة (٤٨) . وتجب الإشارة هنا إلى أن أساليب الدعاية قد جربت وطبقت فى الثلاثينيات ، وقام جوبلز (٤٩) وزير الدعاية النازية بتطويرها . والدعاية ليست صعبة ، وهى « تعتمد على نشاط مزدوج : تكرار مستمر للرسائل التى تتناسب والمضمون المراد ترسيخه ، والمحافظة على وسط مغلق يحول دون هروب الأفراد من « الطرقات » المنتظمة للرسالة (٥٠) .

وفى هذا الخصوص ، أشار البعض إلى أن هتلر (٥١) قد عوّد أتباعه « عدم النظر إلى الخارج » (٥٢) . وهذا الإنغلاق يخص التعرض لأية أيديولوجية ، أو لأية رسالة لغوية . « وهذا الفصم الحاد فى مجال الإدراك يؤدى إلى الإعتقاد بأن العالم وحدة واحدة».

ولكن البعض يرى أن الدعاية النازية ترتكز على خلق رد فعل شرطى (بأسلوب بافلوف) (٥٣).

الدعاية الكاملة (الشاملة)

يجب الإعتراف هنا بأن الدعاية الكاملة ليست بلا حدود ، إذ يعتقد البعض (٥٤) أن العدو اللدود للدعاية يكمن فى أن « التكرار يؤدى إلى الملل (٥٥) ، وأن تعسف الأخبار الكاذبة يهدم مصداقيتها . ولكن ، ألا يمكن للدعاية السياسية المتزامنة ، المزعجة والكاذبة ، أن تصل إلى مرحلة تضعف فيها بحيث ينبغى الإستعانة بأسلحة من نوع آخر للقضاء عليها ؟ .

بالنسبة للبعض (٥٦) تتحدد الدعاية بشخصية الفرد ، أى أن الشمول له حدود. ولإقامة نظام شامل مثالى ، ينبغى ألا يكون هناك سوى إذاعة واحدة على سطح الكرة الأرضية وهو مالايمكن تحقيقه . وقد نتصور أن ذلك كان ممكنا فى الماضى ، بل ويمكن أن يتحقق فى المستقبل بفضل تطور الإتصالات عبر الأقمار الصناعية . فليس من الغريب إذن أن نرى اهتمام الدول بمعارضة وعرقلة هذا التطور بإصدار قوانين دولية تحمى الدول من غزو حقيقى يتم بالصور والكلمات . ومن جهة أخرى ، يلاحظ فى الدول التى تستبسل للمحافظة على أراضيها من هذا الغزو الإذاعى أنها أكثر ابتعادا عن الديمقراطية.

ووفقا لما يقوله البعض (٥٧) « ينتسب النظام الشمولى إلى عصر الإذاعة ، فهو وسيلة التعبير وعدم التعبير فى آن واحد . وفى النظام الشمولى تحتفظ الدولة باحتكار وسائل التعبير فيها ، ولكن هذا الإحتكار يتعارض داخليا بسبب انتشار الراديو ، والدولة الشمولية بمعنى الكلمة يجب أن تكون عالمية » .

فى واقع الأمر ، هناك مسألة دقيقة تتعلق بالعلاقة بين الدعـاية والإعلام . فكل إعلام اجتماعى/ اقتـصادى وسـياسى قادر على الرد علـى اتهامـات الدعايـة « ويبدو إذن أن الدعاية مرض يخص الإعلام وحده » (٥٨) ، ومع ذلك ينفر الإعلام بطبيعته من غموض الدعاية . فالإعلام يعتبر الوسيلة الأساسية التى لاغنى عنها لتحرير الفكر ، ولكن لايوجد أى حل على مستوى العالم يمكن أن يضع حدا لمشكلة الإعلام والدعاية (٥٩) .

فعالية الدعاية عن طريق وسائل الإعلام

فيما يتعلق بفعالية الدعاية عن طريق وسائل الإعلام ، تجدر الاشارة إلى أن الدراسات الإجتماعية الحديثة لم تتوصل فى هذا الخصوص إلى نتائج قاطعة . فهناك عدة عوامل يجب أن تؤخذ فى الإعتبار ، وبوجه خاص قدرات الجماهير ، وهو ما يشير إليه «ولبرشرام» فى جملته : « استخدام بعض وسائل الإتصال فى بعض المواقف بالنسبة لبعض الناس فى اطار بعض الظروف بغية تأثير ما » (٦٠) .

وفى أى الحالات ، فإن الإذاعة الموجهة - والتى ربما لايكون لها تأثير فى معتقدات السكان - يمكنها أن تثير المناقشات حول الاخبار التى تبثها بين الجماهير فى الدول المستهدفة . ولقد وصف بعض المتخصصين فى أمريكا هذه العملية وأشاروا إلى أن التأثير يتم على مرحلتين : ينتقل الإعلام أولا من وسائل الإعلام إلى الأفراد الذين لديهم القدرة على التأثير على الآخرين ، ويطلق على هؤلاء الأفراد قـادة الرأى ، وقادة الرأى هؤلاء هم الذين يقومون بنقل مضمون وسائل الإعـلام إلى الجماهير (٦١) . لذلك ليس من الغريب أن تستهدف معظم البرامج الموجهة الصفوة فى المجتمعات المعنية .

وجود دعاية يعنى أن هناك دعاية مضادة الهدف منها مواجهة حجج الخصم . ولكن ، أليست كل دعاية دعاية مضادة أصلا ؟ للإجابة عن هذا التساؤل ينبغى التأكيد على أن الدعاية لا توجه إلا فى أرض بكر ، فعليها أن تتغلب على عدة صعوبات ومعوقات وبخاصة من دعاية موجودة أصلا . « والقاعدة الرئيسية هنا بخصوص الدعاية المضادة هى الإستعانة بالأفكار الرئيسية وبالموضوعات وبالشعارات وبالأحكام التى يستخدمها الخصم لكى تحولها الدعاية لصالحها » (٦٢) .

د - مستقبل الدعاية الواعية فى إطار العلاقات الدولية

من المؤكد أن الدعاية الواعية فى طريقها إلى الزوال بعد أن فقدت مكانتها فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفى أثناء الحرب الباردة،وخلال فترة تقلص الإستعمار . فقد ضعفت مصداقية الدعاية ، وهو ماينطبق أيضا على الدبلوماسية المنظورة » (٦٣) إذ أن المواقف التى تتخذها الدول ، واللقاءات الدولية غالبا ماتوصف بأنها دعاية ، أى أنها ضعيفة المصداقية . وينسب البعض هذا التحول إلى نهاية الاستقطاب المزدوج فى العلاقات الدولية . وبالنسبة لمن يأخذون بهذا الرأى ، فإنه فى فترة الحرب العالمية الثانية، كما فى أثناء الحرب الباردة ، كان هناك معسكران يختار كل واحد منهما مايلائمه ، وكانت الدعاية والدبلوماسية تهدفان إلى احتواء معسكر الخصم . ولكن الإنشقاق الصينى / السوفييتى ، والتقدم الإقتصادى لأوربا وأمريكا ، وظهور القوى البترولية ، كل هذه العناصر شاركت فى ظهور أقطاب جديدة غير الولايات والإتحاد السوفييتى (٦٤) . يضاف إلى ذلك الإحباط الذى منيت به الدول لحصول دول العالم الثالث على استقلالها ، والبوح عن مخاوف من الستالينية (٦٥)،وبلا شك ، أدى كل هذا إلى ضعف بعض الشعارات مثل : « العالم الحر » و « الستار الحديدى » من جانب ، و « الإمبريالية » و « الثورة » من جانب آخر . ولكن ، قد يكون من الخطأ أن نستخلص من ذلك أن الدعاية

قد ماتت كما دفن البعض الأيديولوجيات . فالقائم بالدعاية على أسس فنية مازالت أمامه الفرصة ، لأن محاولة الإنسان تشكيل فكر الآخرين سوف تبقى دائما .

أما عن أسلوب الدعاية فسوف يظل ما قاله توكفيل (٦٦) صالحا : « عندما تكون الفكرة غير صحيحة ولكنها واضحة ومحددة ، سيكون لها قوتها فى العالم عن فكرة حقيقية ولكنها معقدة » .

أما فيما يتعلق بالدعاية الدولية ، فيذهب جاك ايلول (٦٧) إلى أن « الخبر العادى الموجه للخارج ليس له أية فائدة ، لأنه إذا كانت الدعاية تهدف التغلغل فى وعى الجماهير فى الخارج ، فإنها لن تتمكن من ذلك إلا من خلال أسطورة، إذ لايمكنها طرح تجربة أو حجة مؤيدة أو معارضة ، فهى لاتخاطب مشاعر موجودة مسبقا ، بل عليها خلق صورة جديدة مثيرة ، يمكنها بوساطتها جذب الفرد بكامله دون إعمال لفكره : أى خلق أسطورة.

ولقد استخدمت الدعاية بشكل سلبى فى العلاقات الدولية ، إلا أنها لعبت دورا فى تحرير الشعوب والأفراد . وفى هذا الإطار يمكن اعتبار الدعاية عاملا إيجابيا ، إلا أن هذا يتوقف على التقدير والكمية ، ويؤدى تعسف الدعاية إلى حالة من الشك » (٦٨)، كما أن الدعاية المبالغ فيها تواجه دوما بحالة من الرفض ، وهو مافهمته دول عديدة . واذا أخذنا بعدم وجود إعلام مجرد موجه للخارج ، يمكننا قياس ومعرفة الصعاب عند التمييز بين الإعلام والدعاية فى ملايين الساعات التى يتم فيها بث البرامج يوميا بوساطة الإذاعة الدولية .

المبحث الثالث

الإذاعة الموجهة (٦٩) والعلاقات الدولية

أولا : استخدامات الإذاعة

منذ اختراعها ، لم تتوقف الإذاعة عن القيام بدور فى العلاقات الدولية ، فى أوقات السلم كما فى أوقات الحرب . فقد كانت الإذاعة - وستظل - أكثر وسائل الإعلام انتشارا .

أ - الإذاعة فى أوقات السلم

الإذاعة تربط ما بين الدول والقارات ، وتشكل عاملا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، ومن خلالها يمر أول إشعاع للقيم الثقافية والأيديولوجية .

ويمارس الراديو سلطة هامة ، سلطة عالمية بمعنى الكلمة ، إذا أخذنا فى الاعتبار أن إشعاعه يصل إلى أطراف الأرض (٧٠) .

ب - الإذاعة فى الأوقات الحرجة

يؤرخ لأول برامج موجهة للخارج بفترة الحرب من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨ . ففى أثناء هذا الصراع ظهر مايمكن أن نعتبره الإرهاصات الأولى للإذاعة « الدولية » .

ففى سنة ١٩١٥ ، بادرت المانيا ببث نشرات إخبارية يومية خاصة بالعمليات الحربية من خلال البرق اللاسلكى (٧١)وكان يقوم بصياغة هذه الأخبار العديد من الصحف فى أوربا وفى غيرها من القارات . ولقد استعان القائمون بالثورة فى روسيا - وهم أول من استخدم الإذاعة الدولية - استعانوا بهذه التقنية لعرض سياستهم ولممارسة الضغط على الألمان فى أثناء المفاوضات الخاصة باتفاقية سنة ١٩١٨ .

جـ - الاقبال على استخدام الإذاعة

كان « لينين » من بين الأوائل الذين فهموا أهمية حيازة هذه الوسيلة الجديدة للبث. ومنذ سنة ١٩٢١، تابع لينين شخصيا وعن قرب إنشاء محطة موسكو ، وقد حرص أيضا على توفير كل مايلزم لكى ينتهى العمل فى وقت وجيز ، وتصميم أجهزة الإستقبال ومكبرات الصوت التى تسمح للجماهير بالإستماع لبرامج الإذاعة فى أسرع وقت .

ولم تتوقف شبكة الإذاعة عن التطور بغرض الوصول بالبرامج إلى كافة الجماهير فى الإتحاد السوفييتى . وفى أثناء سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٢٦ ، أقيمت حوالى ثلاثين محطة بث ، وكانت قوة محطة موسكو - كومنترن (٧٣) فى البداية مثلا كيلو وات واحد، ارتفعت تدريجيا فيما بعد إلى ١٢ ، ثم ٤٦ ، ثم ١٠٠ ، ثم ٥٠٠ كيلو وات .

أما بداية البث المنتظم للإذاعة فقد كانت عام ١٩٢٠ ، زاد بعدها عدد محطات البث الإذاعى بسرعة .

ولقد شاهدت الإذاعة تقدما ملحوظا فى العشرينيات فى كل من قارة أوربا وفى قارة أمريكا . أما فى آسيا - فيما عدا اليابان - وفى أفريقيا - إذا نحينا افريقيا الجنوبية جانبا - فلم يظهر الراديو إلا فى الثلاثينيات .

ويؤرخ لظهور أول برنامج باللغة العربية فى الوطن العربى فى ٣١ مايو سنة ١٩٣٤ من خلال راديو القاهرة . ويحدد هذا التاريخ بداية أول محطة عربية رسمية

للإذاعة ، فى حين أن الإذاعة فى شمال افريقيا (دول المغرب) كانت قد بدأت فى بث برامجها باللغة الفرنسية قبل ذلك بسنوات .

د ـ المشكلات التى أثارتها الإذاعة فى بداية عهدها

أثارت الإذاعة فى بدايتها عدة مشكلات اهتمت بها الحكومات وهى :

١ - تقسيم موجات الأثير .

٢- التهديد بغزو خارجى من خلال الإذاعة .

٣ - تنظيم تبادل البرامج .

ولمواجهة هذه المشكلات والتغلب عليها ، كان على الدول أن تتخلص من العديد من الصعوبات سواء على المستوى الفنى أو القانونى أو السياسى . وغنى عن القول أن المصالح المشتركة واضحة بالنسبة للمواطنين فى الدول المختلفة عندما يكون الأمر متعلقا باستغلال الإمكانات المتاحة من خلال الموجات الإذاعية ؛ فالشعوب تتواصل هنا، ليس فقط لأن كلا منهم فى حاجة للآخر لاقامة علاقات فى مجتمع مترابط ، ولا لأنهم لايمكنهم السيطرة على الظروف الطبيعية بدون تعاون وثيق ، ولكن أيضا - وهو المهم هنا - لأنه بدون تنسيق - إلى حد ما ذكى - بين أنشطتهم ، قد يتسبب كل منهم فى إزعاج الآخر

ثانيا - الاهتمام بتنظيم الإذاعات الموجهة « الدولية »

« الحديث عن الموجات الكهرولاسلكية (الهيرتزية) حديث عن التواصل ، وحديث عن الحاجة للتعاون (٧٤) ، حيث تجد الدولة نفسها مضطرة لتنظيم هذا التعاون . لذلك ظهرت منظمات متخصصة بهدف السهر على المشكلات الوطنية التى تترتب على استخدام الإذاعة . ويمكن تصنيف هذه المنظمات فى فئتين : المنظمات التى يقوم عليها

فنيون (٧٥) ، والمنظمات التى تضم قانونين ودبلوماسين واقتصاديين . وتختص المجموعة الأولى بالمهام التقنية للخدمات الأعضاء ، وتهتم المجموعة الأخرى بالجوانب السياسية والدبلوماسية التى تترتب على استخدام الإذاعة .

- فى فترة مابين الحربين

من بين المنظمات فى المجموعة الثانية يمكن ذكر اللجنة الدولية للإذاعة (٧٦) التى شكلت سنة ١٩٢٢ لصياغة ميثاق قانونى للإذاعة ، وكانت هذه اللجنة تضم رجالا للقانون من دول أوربية مختلفة ، واستمرت تمارس مهامها بصفة منتظمة حتى سنة ١٩٣٧ ، وقامت المنظمة بعقد عديد من المؤتمرات انبثق منها قانون دولى فى مجال الإذاعة.

ولقد كرس أعضاء هذه اللجنة من القانونيين جهودهم لصياغة النصوص التى تتعلق بالحماية والتعاون ؛ حماية مختلف المصالح المهددة والتعاون الدولى ، إلى جانب الموضوعات التى تمس النواحى الثقافية والأدبية والفنية .

ومنذ سنة ١٩٣٥ والمؤتمر الدولى للجوانب القانونية فى موضوع البث الإذاعى قد درس النص الخاص بالمشكلات المثارة وقتئذ والتى مازال البعض منها قائما حتى الآن .

وفى الواقع ، يعبر هذا المؤتمر عن الرغبات التى تود الحكومات احترامها من خلال « الأثير الخالى للموجات الإذاعية ، والتزامها بتوفير « التقاط هذه الموجات » فوق أراضيها فى إطار بعض الشروط . وبالإضافة إلى ماسبق ، تكفل الحكومات «تشجيع بث الأخبار التي من شأنها تطوير الحياة العالمية والحفاظ على الحياة الإنسانية » « ومن خلال مواثيق خاصة ، عليها أيضا تسهيل بث مواد خاصة بالمستمعين من البلاد الأجنبية والمقيمين فوق أراضيها على أسس من التبادل » والإشارة حاسمة فى هذا النص إلى أن البرامج يجب أن تكون فى إطار حقوق الإنسان والحوار بين الشعوب .

ولقد اقترح المؤتمرون من رجال القانون فى بروكسل سنة ١٩٣٥ تشريعا خاصا بالسلوك القويم فيما يخص الإذاعة الموجهة ، وطلبوا فيه من الحكومات أن تمنع من فوق أراضيها بث المواد الإذاعية التى من شأنها :

أ - التأثير على العلاقات الدولية وتهديد السلام .

ب - الحاق الضرر بأمن الدول الأجنبية ، وبخاصة استقلاليتها ونظم الحكم والمؤسسات السياسية فى هذه الدول أو فى شخص من يمثلهم رسميا .

جـ - إثارة الاضطراب فى النظام العام والمساس بالقيم (٧٨).

- فى وقت الخطر

مع ارتفاع درجة الخطر ، اهتم المسئولون القانونيون بدور الإذاعة فى حالة الحرب ، وهكذا دخل المشتركون فى المؤتمر السابع المنعقد فى طنجة فى ابريل سنة ١٩٣٦ فى مناقشة طويلة بخصوص القوانين الممكن تطبيقها فى الإتصال عبر الراديو وفى الإذاعة فى وقت الحرب . وفى تقرير له حول هذا الموضوع ، يرفض برادل (٧٩) استخدام الراديو لإعلان الحرب فيقول : « الإعلام عن الحرب بوساطة موجات الإذاعة ليس له أى صبغة شرعية وهذا يكفى لمنعه » وفيما يخص استخدام الراديو فى الإعلام عن نهاية الإعتداء يقول : « بالعكس ، من الواضح أنه من وجهة النظر الإنسانية ، يجب أن يتم إعلان الهدنة من خلال الإذاعة ، فإن السرعة الفائقة التى يتم بها إذاعة هذا الخبر من شأنها أن تحقن الدماء التى تسفك ، وأن تمنع المذابح التى يمكن أن تقع فى آخر لحظة » .

ولقد صرح برادل كذلك أنه يوافق على منع استخدام الراديو فى مناورات الحرب فيقول : « بدون شك ، وبحكم العادة ، قد يستعان فى المعركة ببعض الحيل . ولقد حاول رجل الحرب فى كل وقت المزاوجة بين الخديعة والقوة ، ولكن ذلك قد يتجاوز المسموح به، ويحط من قدر رجل الحرب الذى يلجأ إليها ، إذ يعد ذلك تقصيرا منه .

ولقد انعقد المؤتمر الثامن والأخير قبل الحرب العالمية الثانية فى باريس فى سبتمبر / أكتوبر سنة ١٩٣٧ ، وعبر المؤتمرون فيه عن أمانيهم فى أن تتم وبسرعة دراسة « امكانية الإستعانة بالتطور التقنى للراديو للتخفيف من ويلات الحرب » . ولقد أوحى ذلك باتخاذ قرارات خاصة بالاتصال فى المؤتمرات الدولية المختلفة ، وكذلك فى المناقشات التى دارت فى « عصبة الأمم » (٨٠) حول المشكلات السياسية والدبلوماسية التى نتجت عن الاذاعات الموجهة ، فى الوقت الذى شاهدت فيه الإذاعات الموجهة تطورا سريعا .

ثالثا - مراحل تطور الإذاعة الموجهة

مرت الإذاعة الموجهة فى تطورها بأربع مراحل متتالية (٨١) :

١ - تبادل البرامج بين الخدمات الإذاعية

ولقد كانت هذه المرحلة الأولى مرحلة تجريبية للتبادل الدولى للبرامج .

٢ - برامج موجهة للمستعمرات

وبدأت هذه المرحلة الثانية فى سنة ١٩٢٩ ، وبخاصة من هولندا التى بدأت خدمة منتظمة باللغة الهولندية موجهة إلى جزر الهند الشرقية التابعة لها . وفى سنة ١٩٣٢ ، بدأت المملكة المتحدة خدمة منتظمة باللغة الإنجليزية مع الامبراطورية البريطانية . أما فرنسا ، فقد قررت الحكومة هناك فى سنة ١٩٣٠ إنشاء « محطة استعمارية » (٨٢) بدأ العمل فيها مع افتتاح المعرض الخاص بالمستعمرات الذى أقيم فى باريس . وكانت محطات البث مزودة بهوائيات مزدوجة النظام ومجهزة لكى تشع من الشرق إلى الغرب ، أى تجاه أمريكا والشرق الأقصى ، من الشمال إلى الجنوب تجاه أفريقيا . وكانت الهيئة التى تدير هذه المحطة تحمل إسم « الاتحاد الوطنى لإذاعة المستعمرات » (٨٣) ويرأسها سفير فرنسا (٨٤) . وفى برامجها الموجهة إلى مختلف أنحاء الامبراطورية ، كانت المحطة الاستعمارية تستخدم اللغة الفرنسية واللغات التى يشيع استخدامها بكثرة بين شعوب المناطق المستهدفة . وفى سنة ١٩٣٤ ، بدأت بلجيكا كذلك وهى قوة استعمارية أيضا - خدمة إذاعية يومية موجهة للكنغو البلجيكية .

٣ - برامج موجهة للمواطنين المقيمين فى الخارج .

ارتبطت هذه المرحلة الثالثة بزيادة حركة الهجرة وزيادة حجم التجارة الدولية فى

فترة ما بين الحربين . وللحفاظ على التواصل مع النازحين منها ، بدأت بعض الدول - مثل سويسرا - فى بث برامج موجهة . ولقد لاقت البرامج السويسرية التى بدأت فى سبتمبر سنة ١٩٣٥ نجاحا سريعا من قبل السويسريين المهاجرين ، أو ممن كانوا من أصل سويسرى ويقيمون فى الأرجنتين وفى أمريكا الجنوبية . وكانت هذه البرامج تبث فى اللغات الثلاث الرسمية : الفرنسية والألمانية والايطالية ، واعتبرت هيئة الإذاعة السويسرية هذه البرامج وسيلة من وسائل الدعاية الثقافية التى تسمح بتدعيم الروابط بين أبناء سويسرا المقيمين فى الخارج وبين وطنهم الأم .

والجدير بالذكر كذلك ، أنه فى سنة ١٩٣٢ ، بدأت عصبة الأمم - من جنيف - بث برامج على الموجات القصيرة باللغة الإنجليزية ، والفرنسية ، والأسبانية لنقل رسائل وأخبار إلى الدول الأعضاء فيها وللاتصال ببعض الهيئات التى أنشأتها المنظمة ، وبخاصة لجنة ليتون (٨٥) فى أثناء أحداث منشوريا .

٤ - برامج موجهة من دولة إلى مواطنى دولة أخرى

وهذه المرحلة الرابعة للإذاعة الموجهة هى التى تظهر فيها العلاقات الدولية بما سببته من توتر واحتجاجات قبل الحرب .

ولقد كانت الأنظمة الشمولية أول من وعى أهمية الإذاعة كأداة للدعاية . فلقد ظل الاتحاد السوفييتى حتى سنة ١٩٣٠ الدولة الوحيدة التى اكتشفت قيمة الإذاعة الدولية وقدراتها السياسية . وفى ذاك العام ، كان راديو سنترموسكو (٨٦) يبث برامج موجهة إلى مستمعين أجانب فى حوالى ٥٠ لغة ولهجة . وكانت ألمانيا النازية الدولة الثانية التى أقامت خدمة خاصة بالبرامج الدولية على الموجات القصيرة ، بدأتها فى سنة ١٩٣٣ ببث برنامج باللغة الانجليزية وبالألمانية موجهة إلى أمريكا الشمالية، ثم تبعتهما إيطاليا فى سنة ١٩٣٥ بخدمة كانت تقدم باللغة العربية موجهة إلى افريقيا والشرق الأوسط ، ثم اليابان التى قامت بدورها ببث برامج باللغة اليابانية والانجليزية موجهة لجزر هاواى والساحل الغربى للأمريكتين .

الفصـــل الثانى

الراديو فى المعمعة

ازدياد الخطر والحرب

المبحث الرابع : الإذاعــة والســـلام.

المبحث الخامس : سلاح الإذاعة فى أثناء الحرب الثانية .

المبحث السادس : الجوانب النفسية والدبلوماسية فى الإذاعة زمن الحرب.

المبحث الرابع

الإذاعـــة والســـــلام

أولا : تنظيم المسائل المتعلقة ببث المواد الاذاعية فى اتفاقيات دولية وإقليمية

قبل تطور الإذاعة الموجهة ، بدت الإذاعة وكأنها أداة للعمل والضغط على مستوى العلاقات الدولية من خلال محتوى البرامج . وإذاعة خبر كاذب أو مادة مغرضة،أو انتقاد إحدى الحكومات أو مؤسسة أجنبية ، كل ذلك يؤثر على العلاقات بين الأمم ، وظهر ذلك فى مؤتمرات رجال القضاء والتى عقدت فى فترة ما بين الحربين وناقشت هذا الموضوع . ولقد صاغ الإتحـاد الدولى للإذاعـة (١) منذ مارس سنة ١٩٢٦ عدة نقاط من شأنها منع الإذاعات الدولية من أن تؤثر على مستوى العلاقات الدولية الطيبة .

وبعد أن نجحت الدول فى تنظيم المسائل المتعلقة بالبث ، واجهت المشاكل التى تتعلق بالمواد المذاعة ، وتحديد الأسس التى يمكن للقانون الدولى تعريفها على المستوى التقنى ، بما فى ذلك عملية البث ومحتوى البرامج الإذاعية .

ولما كانت البرامج الإذاعية تتخطى حدود الدولة التى تقوم ببثها ، كان من المفروض مراعاة عدم مساس مضمون هذه البرامج بالدول الأخرى ، أو بأسلوب آخر ، ضرورة وضع الأسس التى تنظم علاقة الإذاعة فى دولة ما مع الدول الأخرى للحفاظ على النظام العام على مستوى العالم .

وفى واقع الأمر « يحرم المبدأ العام للحقوق الدولية فى زمن السلم كل اعتداء ضد سلامة وأمن أية دولة ، ويجب أن يحرص قانون كل دولة على أن يكفل عدم قيام أبنائها والأجانب المقيمين فيها بما يهدد ذلك ، ومنع أية دعاية تتعارض مع هذه القواعد والأسس بأى شكل كانت وفى أية صورة . أما فى حالة وقوع ضرر على دولة ما ، فانه يمكنها عندئذ المطالبة بتطبيق القانون على الدولة المعتدية » (٢) ، ولكن المسألة هنا معقدة

بسبب أن الإذاعة لاتعرف لها حدود ، ولايمكن حل المشكلات التى تثيرها إلا فى إطار دولى . ومادامت برامج الراديو يمكن التقاطها فى خارج الدولة التى تبثها ، فإن هذه الدولة يمكنها استخدام هذه البرامج بهدف سياسى للقيام بدور ما ضد الدول المجاورة ، فالإذاعة تخاطب الجماهير متخطية الحكومات ، وهكذا يمكن أن تقع أية دولة تحت رحمة اعتداء ماكر « إعتداء اذاعى » .

وهكذا لايمكن أن تكون حرية البث عامة ، فهى غير مطبقة وقت الحرب ، فقد وافقت اتفاقية لاهاى (١٩٢٢) فيما يخص استخدام الراديو وقت الحرب على استخدام محطات الإذاعة فى ذلك . أما بالنسبة للدول المحايدة فقد اشترطت عند إقامة محطة للإذاعة فى هذه الدول من دولة محاربة عدم انتهاك حيادها حتى فى حالة عدم موافقة الدولة المحايدة على إقامة هذه المحطة ، وأكدت أيضا أن الدولة المحايدة يمكنها تحجيم بل ومنع استخدام محطات تبث المواد الموجهة للمحاربين والتى تتعلق بعمليات حربية ، وأن على محطات المحاربين أن تكف عن استخدام أجهزة للبث على الأراضى المحايدة .

أما فيما يخص وقت السلم ، فقد اهتم التنظيم العالمى بالظروف التى يصلح فيها التشويش أكثر من اهتمامه بتحديد الحالات التى لايسمح فيها بحرية البث (٣).

ومن الممكن التحكم فى البث بدرجة أو بأخرى على المستوى التقنى،إلا أنه من الصعب تحقيق ذلك بالنسبة لمحتوى البرامج المذاعة . أما عندما يتعلق الأمر بمسألة سياسية ودبلوماسية ، فانه يتحتم على المجتمع الدولى عندئذ إيجاد حل لها ، وقد عمدت عصبة الأمم فى الثلاثينيات على دراسة هذه المشكلة .

وفى قرار اتخذ فى ٢٤ سبتمبر ١٩٣١ رؤى أن يتكفل المعهد الدولى للتعاون الثقافى (٤) بكل المسائل الدولية المنبثقة من استخدام الإذاعة من منطلق العلاقات الطيبة بين الأمم إلى جانب البحث الذى كان يجريه عن النواحى التربوية للإذاعة .

ولتحقيق ذلك ، شكل المعهد المذكور لجنة من المتخصصين قامت بصياغة تقرير يتضمن مجموعة من الإجراءات فيما يخص استخدام الإذاعة « فى خدمة السلام » يمكن عرضها فى فئتن :

١ - إجراءات وقائية ورادعة لمنع البرامج الإذاعية ويمكن النظر إليها على أنها فى صالح التفاهم العالمى .

٢ - إجراءات إيجابية الهدف منها التشجيع على زيادة تفهم العلاقات الدولية.

ولقد قامت اللجنة أيضا بتحديد الفرق بين البرامج التى تعدها الدول خصيصا للمقيمين فيها وبين البرامج التى توجهها الدولة إلى المستمعين في الدول الأخرى .

ولقد استعان المؤتمر الدولى الذى انعقد فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣١ بهذا التقرير الذى صاغه الخبراء والذى استكمل بعدة نقاط من الدول الأعضاء فى عصبة الأمم . وكان موضوع مؤتمر سبتمبر سنة ١٩٣١ « استخدام الإذاعة فى صالح السلام » ، وانتهى المؤتمر إلى ما انتهت اليه اتفاقية جنيف التى وقعت عليها معظم الدول الأعضاء فى المنظمة الدولية فيما عدا الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى .

ولقد تضمنت افتتاحية هذه الاتفاقية أربع عشرة مادة وتثير « أهمية تجنب - من خلال قواعد مرسومة لاتفاق موحد - أن تُستخدم الإذاعة بأسلوب يتعارض والتفاهم الدولى » ، ويمكن أن نلمس الاهتمام بهذا التفاهم المتبادل بين الشعوب من خلال كل ماتتضمنه هذه الوثيقة التى تعتبر أول اتفاقية دولية تهتم بالاذاعات الموجهة.

ولقد أبرمت فى العقد الثالث عدة اتفاقيات خاصة بعدم الاعتداء الإذاعى سواء بين دولتين أو بين مجموعتين من الدول ، وتنص على عدم لجوء أى من الطرفين لازعاج الطرف الآخر بوساطة البرامج الإذاعية ، ومثال ذلك الاتفاقية الثنائية التى أبرمت بين ألمانيا وبولندا فى ٣١ مارس سنة ١٩٣١ والتى تنص علي التزام الطرفين مستقبلا بتوفير أكبر قدر من الضمانات التى من شأنها عدم قيام إذاعتها بأى دور فى المجالات السياسية والإقتصادية والثقافية والفنية والطائفية يمكن أن يترتب عليه تشويه التفاهم بين البلدين .

وفى سنة ١٩٣٤ ، أبرمت اتفاقية مشابهة بين إذاعة النمسا وراديو ، تشكوسلوفاكيا. وفى أمريكا اللاتينية ، عقدت مجموعة من الدول فيما بينها اتفاقيات خاصة بالإذاعة . ففى « بيونس أيرس » فى العاشر من ابريل سنة ١٩٣٥ ، اتفقت الارجنتين وبوليفيا والبرازيل وشيلى وباراجواى وأوراجواى على التعاون فى الجوانب الفنية للإذاعة ، وإلغاء أى مواد إذاعية تسىء إلى العلاقات الطيبة بين الدول الموقعة على الإتفاقية .

– فشل الاتفاقيات فى وضع حد للاعتداء الإذاعى

من المشاهد أن الإتفاقيات والمعاهدات الخاصة بعدم الإعتداء الإذاعى لم تستطع مواجهة التوتر بين الدول . ففى كل أزمة ، ترتفع الإغراءات لاستخدام الإذاعة كأداة للضغط على الخصم وبخاصة قبيل الحرب العالمية الثانية . فقد استخدم الألمان الإذاعة عندما توترت العلاقات بين ألمانيا وفرنسا بسبب الخلاف الذى نشب بين الدولتين حول إقليم السار (٥) . ولمواجهة الهجوم الألمانى المستمر من خلال الإذاعة ، استخدمت فرنسا محطة إذاعة ستراسبورج ، إلا أنها عجزت عن القيام بدور يتناسب مع ما كانت الإذاعة الألمانية تقوم به .

وبعد عدة سنوات استخدمت الإذاعة الألمانية الأسلوب نفسه لتوجيه اعتداءات على مناطق أخرى (أراضى النمسا وتشيكوسلوفاكيا) وفى سنة ١٩٣٩ لجأت الحكومة الألمانية إلى الإذاعة أيضا لمخاطبة سكان بعض المناطق للانضمام إلى ألمانيا الكبرى وتكثيف دعايتها ضد بولندا ، إلا أن لجوء المانيا إلى الإذاعة لإستخدامها كسلاح ضد بولندا قد وصلت أخباره إلى عصبة الأمم التى أصدرت قرارا بنزع « هذا السلاح » من البلدين .

- انجلترا فى مواجهة الحرب الإذاعية التى تشنها إيطاليا ضدها

لجأت انجلترا إلى المطالبة بوقف البرامج الإذاعية المعادية لها والتى كان يوجهها راديو بارى (٦) فى إيطاليا إلى الشرق الأوسط .

وللضغط على روما لاتخاذ قرار ايجابى بوقف هذا الاعتداء ، بدأ البريطانيون بث برامج موجهة ضد إيطاليا الى بعض المناطق (فى أثيوبا وفى ليبيا ...) مما كان له أثره فقد وقعت الدولتان تعهدا نص فيه على أن « إذاعة بارى سوف تتوقف عن الدعاية فى البلاد العربية ضد انجلترا » ، وتعهدت انجلترا من جانبها - على الرغم من عدم النص على ذلك صراحة فى المعاهدة - بعدم الرد على الدعاية من خلال الراديو ، وعدم استخدام أجهزة قوية ، إلا عندما أرادت إنشاء إذاعة فى مالطة للتصدى للدعاية الفاشية ، واستمرت الهدنة الإذاعية بين انجلترا وإيطاليا حتى بداية الحرب .

ولقد كان للإذاعة العربية التى كان يقدمها راديو بارى دور مهم فى تدعيم القومية العربية فى المغرب والمشرق العربى فى الثلاثينيات . ولقد أعطت إحدى الدراسات (٧) مؤشرات لاتخلو من أهمية حول نوايا روما فى ذلك الوقت . فقد أشارت الدراسة إلى أن إيطاليا - التى تنشد أن تكون قوة عظمى فى حوض البحر المتوسط - تحاول تدعيم سيطرتها على العالم العربى بالقرب منها ، وتحاول مد نفوذها الإستعمارى إلى تونس وربما إلى مصر . ومن ثم كانت برامج راديو بارى تستهدف الإعداد لذلك باعطاء صورة لايطاليا الفاشية لكى تبدو للعالم العربى على أنها :

- دولة قوية - استطاعت التغلب بسهولة على الإنهيار بفضل تطبيق الفاشية .
- القوة المسيطرة على البحر المتوسط .
- دولة لها حلفاء أقوياء ويمكن أن تكسب الجولة فى أى صراع فى المستقبل .
- تبث القيم والثقافة العربية بوصفها الحامية الضليعة للعرب .

وغنى عن القول ، أنه كان من المستحيل أن يمتد دور إيطاليا إلا على حساب

الدور الذى كانت تقوم به انجلترا وفرنسا . ومع ذلك ، فإنه إذا كانت إيطاليا قد اختارت أن تكون فى دول المحور ، فإنها لم تكن على استعداد للدخول فى حرب مع هذه القوى ، مما أدى إلى تحجيم الدور الذى تقوم به ضد انجلترا وفرنسا والذى كان يتعدل وفقا للظروف الدبلوماسية (٨) .

- اتفاقية ثنائية بين إيطاليا وانجلترا بوضع حد للحرب الإذاعية بينهما

فى ١٦ ابريل سنة ١٩٣٨ تضمنت الإتفاقية الإيطالية / الإنجليزية (والفرنسية بشكل غير مباشر) ، وضع حد لحرب الإذاعات باللغة العربية والتى أشعلها راديو بارى الذى كانت برامجه موجهة ، ليس فقط إلى الأراضى التى تخضع للحماية البريطانية ، ولكنها موجهة أيضا إلى المغرب وسوريا ولبنان التى كانت فرنسا تشرف عليها .

ولقد استطاعت الحكومة الفرنسية أن تقف لإيطاليا فى أثناء حرب أثيوبيا . فقد قامت معظم الإذاعات الأوربية بالتقاط وتسجيل خطاب الزعيم الاثيوبى فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٣٥ والذى يعلن فيه ويندد بغزو القوات الإيطالية لبلاده ، وكان هيلاسيلاسى (٩) يتحدث فى هذا الخطاب باللغة الفرنسية ، وسجل مركز الاستماع فى باريس هذا النداء ، وفكر البعض ببث التسجيل فى نشرة أخبار الراديو ، إلا أن المسئولين فى الحكومة رأوا عدم بثه لما يمكن أن يقوم به الايطاليون لو حدث ذلك . ولقد حاول أحد موظفى وزارة الخارجية تبرير هذا الموقف بأن « الفرنسيين لايفهمون اللغة الأثيوبية » ولكن مدير الإذاعة الفرنسية رد بأن اللغة الأثيوبية ليست صعبة إذا كنا نتحدثها بالفرنسية » (١٠) .

- الإذاعة فى الحرب الاسبانية

وفى هذا المقام ، يمكن القول أيضا بأن الإذاعة قد استخدمت كذلك وبتكثيف

شديد فى أثناء الحرب الأسبانية بين الجبهتين . فلقد ضاعف الجنرال فرانكو فى البرامج الموجهة للمسلمين باللغة العربية (من محطة تتوان) (١١) سعيا وراء إبقائهم في صفه ، لكى يظلوا بمنأى عن الدعاية التى يبثها الجمهوريون ؛ فقد كان فرانكو يرى أن ذلك ضرورة تساعده في كسب المعركة . وفى مقابل ذلك ضاعفت الدعاية التى تبثها محطة «فالنس» (١٢) ضد فرانكو وأتباعه برامجهاالعربية والفرنسية والأسبانية بطبيعة الحال ، واستخدم فرانكو الإذاعة فى إحباط عزيمة المحاربين الذين هم من أصل غير أسبانى . وكانت هناك برامج بالفرنسية - بل وبالروسية - موجهة للمحاربين في الميدان (١٣) . وهكذا تحولت الإذاعة إلى سلاح ظهرت آثاره حتي قبل الحرب العالمية الثانية .

ثانيا - الاستعانة بالإذاعة للتأثير على الجماهير فى الداخل وفى الخارج .

ـ المانيا النازية وإيطاليا الفاشية

كانت الدول الشمولية - وبخاصة ألمانيا النازية وإبطاليا الفاشية - من أوائل الدول فى استخدام الإذاعة للتأثير على جماهيرها فى الداخل من جانب ، ولنشر دعايتهما فى الخارج من جانب آخر . كذلك كان الأمر بالنسبة للاتحاد السوفييتى الذى اكتشف مبكرا سلاح الإذاعة . وقد لحقت الديمقراطيات الليبرالية بهذه الدول - ولكن بعد فترة - بخصوص استخدام الاذاعة للدعاية الخارجية . وغنى عن القول أنه فى أثناء محاولة التأثير على بعض المناطق فى القارة الأوربية . كانت هناك حلقات لحرب إذاعية بين فرنسا وألمانيا ، وبين ألمانيا وبولندا ، ولكنها ثانوية ، إذا نظرنا الى السباق لتحقيق سيطرة إذاعية،والذى اشتركت فيه روما وبرلين وموسكو ، وانضمت اليه طوكيو مؤخرا . وغالبا ماتتحدد أهداف الدولة الأم للإذاعة الموجهة من خلال معرفة المنطقة أو الدول المستهدفة والمثال القوى على ذلك إيطاليا . ففى سنة ١٩٣٥ كانت إيطاليا الفاشية تبث برامج موجهة للشرق الأوسط والمغرب العربى باللغات التالية : اليونانية والألبانية والبلغارية والكريتية والرومانية والعربية ، فلقد كان موسيلينى يعتبر هذه المناطق جزءا من منطقة

نفوذ إيطاليا . وكانت هناك برامج بلغات أخرى يوجهها الإيطاليون باللغة الفرنسية والإنجليزية والألمانية والأسبانية . ولكن هذه البرامج كانت تستهدف شيئا آخر هو إقناع الرأى العام فى الدول المستهدفة بعدالة السياسة الفاشية . وبالإضافة إلى ماسبق ، كانت إيطاليا قد بدأت فى شهر يونيه سنة ١٩٣٥ تبث برامج موجهة إلى شرق افريقيا أيضا . وقد وصل مجموع اللغات التى كانت إيطاليا تبث بها إلى ١٨ لغة أجنبية .

أما المانيا الهتلرية التى بدأت برامجها الموجهة فى شهر ابريل سنة ١٩٣٣، فقد انتهجت سياسة عالمية ظهرت من خلالها رغبتها فى السيطرة . فبالإضافة إلى أنها كانت تبث فى ١٢ لغة موجهة إلى دول أوربية متعددة ، كانت إذاعة برلين فى سنة ١٩٣٨ تقدم خدماتها طوال ٢٤ ساعة فى ٢٤ ساعة إلى مختلف أنحاء المعمورة . وعندما اندلعت الحرب ، كان عدد اللغات التى كانت ألمانيا تبث بها قد وصل إلى ٣٠ لغة . ومن المفارقات هنا ، أن الدعاية التى كانت الدول الشمولية تقوم بها ، كانت تقدم فى الغالب تحت ستار أنها تستهدف التقريب ما بين الشعوب .

- اليابان

هناك مثال آخر لايقل أهمية فى مجال الإذاعات الموجهة وهو إذاعة طوكيو . فقد بدأت طوكيو إذاعتها الموجهة إلى الولايات المتحدة وكندا بوجه خاص فى شهر يونيه سنة ١٩٣٥ . وبعد ذلك أعد اليابانيون برامج باللغة الصينية والإنجليزية والفرنسية موجهة لدول منطقة جنوب شرق آسيا ، وذلك يوضح اهتمامهم بمناطق احتلوها بأكملها أو جزئيا فيما بعد أو فى أثناء الحرب .

ومنذ عام ١٩٣٧ ، وإذاعة طوكيو تقوم بتقديم برامج باللغة الأسبانية موجهة إلى دول أمريكا اللاتينية ، وكذلك برامج موجهة إلى الشرق الأوسط .

– الاتحاد السوفييتي

أما فيما يخص الإتحاد السوفييتي ، فإنه لم يتوقف عن زيادة نفوذه فى مجال الإذاعة .

وقد وصل عدد اللغات التى كانت الإذاعة السوفييتية تبث بها فى سنة ١٩٣٥ إلى ٦٥ لغة ، وبلغت قوة الإذاعة ١٥٦٠ كيلو وات فى سنة ١٩٣٤ مقابل ٣٩٥ كيلو وات فقط فى سنة ١٩٣٠ . وتتميز البرامج السوفييتية بأنها دعائية ، ويؤكد ذلك قيام محطة إذاعة فى موسكو (محطة كومنترن) (١٤) . بتقديم برنامج يوم أول أغسطس سنة ١٩٣٦ بمناسبة اليوم العالمى ضد التسلح (١٥) .

وقد جاهد السوفييت فعلا فى سبيل « تصدير الثورة » من خلال الإذاعة ، ويبدو أن برامجهم كان لها مستمعها فى ذلك الوقت ، على الأقل بين الشيوعيين المنتشرين فى العالم وبخاصة فى أوربا ، وعلى وجه الدقة فى فرنسا .

ولقد نشرت إحدى المجلات (١٦) احتجاجا من أحد القادة (١٧) يقول فيه :

« يتعين علي الحكومات اتخاذ موقف قومى وإجتماعي لمواجهة ما تقوم به محطات الإذاعة فى الإتحاد السوفيتى ، فلا يكفى الحكومات اللجوء إلى الأسلوب الدبلوماسى للاحتجاج ، بل يجب فرض عقوبات رادعة ، أو على الأقل ، تقديم دعاية مضادة باللغة الروسية » (١٨) .

وتأخر رد فعل ألمانيا الهتلرية وإيطاليا الفاشية والديمقراطيات الليبرالية على ما كانت الإذاعة السوفييتية تقوم به . وكانت الإذاعة فى فترة ما بين الحربين فى كل من روما وبرلين وموسكو تابعة للحكومة ، بينما كانت معظم الإذاعات فى الدول الديمقراطية – فيما عدا الإذاعة البريطانية – تابعة لهيئات خاصة .

- فرنسا

تأخر استخدام الإذاعة فى الدعاية فى فرنسا حتى يوليه سنة ١٩٣٩ . ولم يحقق اختيار الكاتب « جيرودو » (١٩) مشرفا عاما على الإعلام فى فرنسا ما كانت تتطلبه الظروف آنئذ . ولكن فيما يخص الإذاعة الموجهة ، قررت الحكومة أن تستخدم لصالحها مشروع إذاعة « نورماندى » ، وهى محطة خاصة كانت قد طلبت من شركة طومسن/ هوستن (٢٠) تزويدها بمحطة للبث بقوة ٥٠٠ كيلو وات ، وكان من المقرر إقامة هذه المحطة بالقرب من « ايبون » (٢١) غرب « باريس » . ولقد حاولت فرنسا من خلال وزارة الإعلام ووزارة الخارجية إنشاء محطة للدعاية ضد المانيا بجميع اللغات وبخاصة البولندية والتشيكية . وكان سفير تشكوسلوفاكيا لدى فرنسا (٢٢) يشرف على البرامج التشيكية الموجهة ضد النازية ، كذلك كان سفير النمسا السابق (٢٣) يدير الدعاية ضد النازية فى النمسا بالتعاون مع الأرشيدوق « أوتو دى هابسبرج » (٢٤) وكانت هناك برامج باللغة البولندية يشرف عليها الجنرال « ردز - سمغلى » (٢٥) موجهة إلى بولندا . وإلى أن تبدأ محطة إيبون ، كانت هذه الإذاعات تبث برامجها عند إعلان الحرب من محطة إرسال فى فيكمب (٢٦) ، والتى كانت تحمل من قبل إسم « راديو نورماندى » وتتبع « شركة الأعلام والبث » (٢٧) . ولم تستخدم فرنسا محطة الإذاعة الدولية فى إيبون لأنه عندما وصلت القوات الألمانية إلى مشارف باريس ، لم تكن المحطة قد زودت بعد بالأجهزة التى كان قد تم طلبها(٢٨)

- الولايات المتحدة

ارتفعت فى الولايات المتحدة عدة أصوات تلفت الانتباه إلى أهمية الإذاعة الدولية . وكان السفير الأمريكى فى كوستاريكا (٢٩) يشتكى منذ عام ١٩٣٤ من عدم كفاية الأخبار التى تتعلق بالولايات المتحدة على الموجات القصيرة ، وتمنى وجود وسيلة تمكن المحطات الرئيسية للبث على الموجات القصيرة فى الولايات المتحدة من بث

الأخبار التى تتعلق بها بتفصيل أكثر وبدقة أكبر ، وبهذا يمكن للإذاعة أن تؤدى خدمة حقيقية لشعوبها (٣٠) .

وكان ينبغى الإنتظار حتى سنة ١٩٣٨ لكى تدخل فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة فى سباق الإذاعات ، إذ أن البى بى سى (B B C) لم تبدأ برامجها الموجهة إلى أمريكا اللاتينية باللغة الاسبانية والبرتغالية إلا فى ١٥ مارس سنة ١٩٣٨ ؛ أما فرنسا؛ فقد كانت برامجها الموجهـة متواضعة جدا .

وفى ٧ ابريل سنة ١٩٣٨ تشكلت لجنة لاذاعة المستعمرات . وكان على هذه اللجنة أن تدرس سبل مواجهة الدعاية المعادية الموجهة لفرنسا فوق أراضيها وفى مستعمراتها . وفى الفترة نفسها ، كانت الولايات المتحدة قد بدأت هى أيضا تعى فعالية السلاح الإذاعى . ففى ٤ ابريل سنة ١٩٣٨ ، نظم احتجاج هام فى نيويورك اشترك فيه أعضاء من المنظمات الإذاعية فى الولايات المتحدة ، وسبعة عشر قنصلا عاما من أمريكا اللاتينية ، و ١٥٠ خبيرا فى المسائل اللاتينية / الأمريكية ، وناقش المجتمعون إمكان استخدام الإذاعة على الموجات القصيرة لتحسين العلاقات بين الأمريكتين .

ولم تبدأ الولايات المتحدة برامجها الدولية على الموجات القصيرة بشكل مكثف إلا فى سنة ١٩٣٧ ، وقد كانت موجهة في البداية إلى المستمعين فى أمريكا اللاتينية ، ولكن سرعان ماتطورت هذه الخدمة ، والتى تتميز بأنها حاولت أن تكسب فى صفها شبكات الإذاعة على المستوى القومى والمحلى فى دول أمريكا الجنوبية لبث هذه البرامج بالتبادل من خلالها ، والتى كانت تقدم فى بادىء الأمر باللغة البرتغالية وبالأسبانية ، وأضيفت إليها فيما بعد برامج باللغة الإنجليزية وبلغات أخرى موجهة للجاليات الأجنبية المهاجرة فى هذه الدولة ، وبخاصة باللغة الإيطالية والفرنسية والألمانية .

ولقد وصلت هذه البرامج السياسية / الثقافية إلى مستوى عالى جدا ، وتطورت أيضا فى فترة الحرب حتى وصل عدد النشرات الإخبارية الموجهة من الولايات المتحدة إلى

أمريكا الجنوبية سنة ١٩٤٢ إلى ٧٠ نشـرة ، كذلك حدث تطور - وإن كان بطيئا نوعا - فيما يخص البرامج الموجهة إلى كل من أوربا وأفريقيا .

- ارتفاع عدد محطات الإذاعة على مستوى العالم

قبل بداية اندلاع الحرب العالمية الثانية بشهور قليلة ، كانت الإذاعة قد انتشرت على مستوى العالم ، سواء فى ذلك مايتعلق بالبرامج الموجهة أو البرامج على مستوى كل دولة . ووفقا للأرقام المعلنة فى إحصائية عامة للإتصال اللاسلكى - قام بها مكتب الإتحاد الدولى للإتصال عبر الفضاء - كان هناك فى نهاية سنة ١٩٣٧ على مستوى العالم ١٥٥٠ محطة للإذاعة (٣١) .

أما فيما يخص أوربا فإن الإحصائيات تشير إلى زيادة فى عدد محطات الارسـال، وأن الرقم قد قفز من ١٢٣ محطة إلى ٤٦٣ محطة فى الفترة من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٩ . سباق حقيقى فى مجال المحطات لتحقيق السـيطرة الإذاعية .

المبحث الخامس

سلاح الإذاعة فى أثناء الحرب العالمية الثانية

أولا - الإذاعة قبيل الحرب العالمية الثانية

عشية الحرب العالمية الثانية ، كانت الإذاعة قد تطورت مما ساعد فى أن تمسك الدول بزمام هذه الوسيلة ، سواء كان ذلك بأسلوب مباشر أو غير مباشر ، ووضعت الإذاعة الموجهة تحت إشراف دقيق من الحكومات ، بل كانت هناك دول عديدة تمارس الاشراف نفسه على البرامج التى تقدم للجماهير فى داخل الدولة . وهكذا ، كان للانتشار السريع لمحطات الراديو الفضل فى اعتبار الإذاعة أداة سياسية فى يد الدول .

ولم يتوقف عدد المستمعين عن الزيادة المستمرة . ففى سنة ١٩٣٧ ، كان هناك أكثر من ٢٦ مليون جهاز فى الولايات المتحدة وحدها ، وأربعة ملايين جهاز فى فرنسا وثمانية ملايين ونصف المليون فى انجلترا ، ورقم يقترب من ذلك فى ألمانيا ، وحوالى أربعة ملايين جهاز فى الإتحاد السوفييتى ، وثلاثة ملايين فى اليابان .

وعندما اندلعت الحرب فى سنة ١٩٣٩ ، كانت هناك ست وعشرون دولة تبث برامج موجهة إلى مستمعين فى دول أخرى ، وبوجه خاص ألبانيا وألمانيا وأستراليا وبلجيكا وبلغاريا والصين والدنمارك واسبانيا والولايات المتحدة وفنلندا وفرنسا والمجر وإيطاليا واليابان والنرويج وهولندا وبولندا والبرتغال ورومانيا والمملكة المتحدة والسويد وسويسرا وتركيا والإتحاد السوفييتى والفاتيكان ويوغسلافيا .

ثانيا - استخدام الإذاعة كسلاح فى الحرب العالمية الثانية

أصبحت الإذاعة سلاحا ذا فاعلية نادرة فى يد الدول التى دخلت الحرب ، سواء فى ذلك إذا نظرنا إلى دورها الهجومى أو الدفاعى . وقد قام المحاربون بتعبئة وحشد كل

مايرتبط بهذا المجال ، فأقاموا محطات تشويش ومحطات إرسـال قوية وبعيدة المدى ، واستعانوا بمتخصصين فى كيفية استقطاب العقول واحتوائها ... وفى هذا المجال ، لم تكن الحرب العالمية الثانية فقط حرب نار وحديد فى المعارك ، ولكنها كانت أيضا حرباً لاتهدف احتلال الأراضى ولكن تسعى إلى تأليب البشر واحتوائهم .

المعارك الإذاعية فوق القارة الأوربية

كانت أشرس المعارك تدور فوق القارة الأوربية . ففيما عدا الولايات المتحدة ، ينبغى التسليم بأن أكبر عدد من أجهزة الإستقبال ومحطات الإرسال كان يوجد فوق قارة أوربا . ومصير الحرب يتوقف - ولو جزئيا - على الموجات .

ولقد دخلت الإذاعة فى المعركة منذ البداية مثلها مثل أى سلاح آخر وإن كانت تتميز بعدم تعرضها لخط المواجهة . ولايستهدف هذا السلاح المحاربين فى الميدان فقط ولكنه يستهدف أيضا الجبهة الداخلية لتحطيم معنويات المدنيين ، وغالبا مايكون الغرض منها إقناع العدو بأن أية محاولة للمقاومة مصيرها الفشل .

ولقد تساءل بعض القانونيين يوما عما إذا كان الإستخدام المفرط للإذاعة فى حالة الحرب يعتبر انتهاكا للقوانين الدولية . ولقد لوحظ فى بداية توغل القوات الألمانية داخل بولندا عام ١٩٣٩ أن هناك انتهاكا لمبدأ فى القانون الدولى يسمح باستخدام الحيل والخدع ويحرم الغدر والخيانة (٣٢) .

فقد لجأ الألمان بعد نجاحهم فى تحطيم محطات الإرسال فى وارسو إلى استخدام محطة برسلو (٣٣) وإحدى المحطات الألمانية التى تبث على الموجات القصيرة لتقديم أخبار مغرضة عن توغل الجيش الألمانى داخل الأراضى البولندية ، باستخدام الذبذبة نفسها التى كانت تستخدمها الإذاعة البولندية ، بل أذاعوا كذلك وعلى موجة الإذاعة

البولندية أيضا أن الجيش الألمانى يسيطر سيطرة كاملة على الجمهورية البولندية - وكان ذلك قبل الاستيلاء على وارسو بأسبوع - وأذيع ذلك باللغة الفرنسية والألمانية والبولندية .

أساليب السيطرة على الإذاعة فى أثناء المعركة

ولمعرفتها بتأثير الإذاعة كسلاح ، فرضت الدول الشمولية سيطرتها على الإذاعة منذ البداية من خلال أسلوبين :

١ - التشويش على البرامج الأجنبية (٣٤) .

٢ - منع الأستماع إلى برامج محطات الأعداء (٣٥) .

وكانت إيطاليا أولى الدول التى تمنع الاستماع للإذاعات الأجنبية . فقد صدر قانون فى ٨ يونيو سنة ١٩٣٨ بفرض عقوبة بالسجن حتى ستة أشهر وغرامة تصل إلى عشرة آلاف ليرة على من يستمع لبرامج الدول الأعداء .

ولقد قام النازيون فى ألمانيا فور توليهم السلطة بنشر بيانات تحذر من أى اعتداء على « أمن الدولة والحزب » وصدر قانون بذلك فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٣٤ يتلخص فى الفقرة التالية : « كل فرد يقوم بصياغة أو نشر أى فكر معاد أو فج بهدف الإساءة إلى الرايخ أوالسياسة الحكومية أو الحزب القومى / الإشتراكى وهيئاته سيعاقب بالسجن لفترة قد تصل إلى سنتين ، ولن تقل مدة السجن عن ثلاثة أشهر فى حالة نشر هذه الأفكار علنا ...

ولقد نص قانون آخر على أن المستمعين لنشرات أخبار راديو موسكو بغرض خدمة أهداف الحزب الشيوعى سوف يحاكمون بتهمة الخيانة العظمى . ثم صدر قانون بعد ذلك فى ٣٠ أغسطس سنة ١٩٣٩ يمنع الاستماع للمحطات الأجنبية ، نص فيه على أن مروّج الأخبار سوف يحكم عليه بالأشغال الشاقة ، وبالموت فى الحالات الخطيرة .

وفور دخولهم فرنسا ، أصدر الألمان قانونا فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٠ ينص فيه على عقوبات رادعة ومنع الاستماع لبرامج إذاعية أخرى غير الإذاعة الألمانية ، ويحذر ترويج الأخبار المعادية للرايخ التى يبثها الراديو . وبالرغم من ذلك فقد كان عدد كبير من سكان المنطقة الشمالية يستمعون كل مساء لإذاعة البى بى سى أو راديو سويسرا ، لذلك أقيمت خمسة مراكز للتشويش فى أكتوبر سنة ١٩٤٠ ، ولكن كل هذه المجهودات لم تكلل بالنجاح ، فلم يتوقف الفرنسيون عن الاستماع للإذاعة الإنجليزية . ولما كان الألمان يعتقدون فى خطورة ذلك ، فقد واجهوها ببث برامج راديو باريس من خلال مكبرات للصوت وضعت فى الميادين العامة بالمدن (٣٦) .

أما فى المنطقة الجنوبية ، فلقد صدر قانون فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٠ يمنع الاستماع لإذاعة البى بى سى ، وهذا المنع يخص بطبيعة الحال الاستماع لهذه البرامج فى الطرق العامة وفى الأماكن التى يؤمها الجماهير . ولكن من وقت لآخر ، كانت السلطات فى حكومة فيشى (٣٧) تلقى القبض على بعض المستمعين لراديو لندن وتحاكمهم ليكونوا عبرة للآخرين .

ولقد كان الاستماع للإذاعات الأجنبية محرما تماما فى المستعمرات بناء على قانون صدر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٤١ تنص المادة الأولى فيه على أن « الاستقبال أو الاستماع فى أى مكان ، عام أو خاص ، لبرامج الإذاعة البريطانية أو المحطات الأخرى ، أجنبية أو غير أجنبية ، يعد دعاية ضد ألمانيا ، وفرضت غرامات وعقوبات تصل إلى سنتين سجن على من يخالف ذلك .

أما الإتحاد السوفييتى ، فلم يكن الأمر يعنيه فى هذه الآونة ، فلقد كانت معظم أجهزة الاستقبال المستخدمة على أرضه معدة لعدم التقاط أى برامج سوى برامج المحطات السوفييتية ، ولقد عبر هتلر عن أسفه سنة ١٩٤٢ لعدم تطبيق الأسلوب نفسه فى ألمانيا والذى يتيح للدولة « اختيار البرامج التى تسمح بالاستماع إليها » (٣٨) . فقد كانت البرامج تبث عبر أسلاك ، ولاتستطيع أجهزة الاستقبال التقاط أى برامج من خلال هذه القناة .

فى السنوات الأولى من الحرب ، كانت ألمانيا متفوقة تماما فى مجال الإذاعة ، فقد كانت شبكة الإذاعة الالمانية قوية قبل سنة ١٩٣٩ . وفى سنة ١٩٤٠ تم تقوية هذه الشبكة بمجموعة من محطات الإرسال فى الدول التى احتلتها ألمانيا ، فوصل عدد المحطات الألمانية أو التى تحت السيطرة الألمانية إلى ٨٣ محطة . وزيدت شبكة الرايخ (سنة ١٩٤١) ٢١ محطة أخرى فى دول البلطيق الثلاث قوتها ٣٠٠ كيلو وات، ومجموعة من المحطات فى البلقان ، وكذلك محطات كثيرة روسية . وفى سنة ١٩٤٣ وصل عدد المحطات إلى ١٢٠ محطة ، وبدأ هذا العدد يتناقص فيما بعد مع اقتراب نهاية العدوان .

ولايوجد فى تاريخ الإذاعة الأوربية حالة مشابهة لمثل هذا التركيز فى المحطات المختلفة التى كانت تحت تصرف دولة شمولية . ولقد سخرت الإذاعة الألمانية تماما للتأثير على الرأى العام فى دول متعددة ، وكذلك فى شن « حرب الأخبار » . فلقد أنشئت خصيصا لهذه الإذاعة مجموعة محطات الإرسال الأوربية (٣٩) فى ٢١ ابريل سنة ١٩٤١ والتى كانت تبث يوميا من خلال ٥٠ موجة (طويلة ومتوسطة وقصيرة) وفى ٢٩ لغة (١٢٥ ساعة من الأخبار والتحقيقات والتعليقات وهو مايعادل ٧٠ ٪ من إجمالى ساعات البث) ، هذا بالإضافة إلى محطات أخرى عديدة خاصة بالقوات المحاربة (٤٠) .

ويذهب « هادامفسكى » (٤١) ، مساعد « جوبلز » وواحد من خبراء الدعاية ، إلى أن « الراديو أقوى سلاح للعقل الإنسانى وفى استطاعته إخضاع الشعوب بقوة تأثيره » ، و « هادامفسكى» هذا هو صاحب فكرة إنشاء راديو أوربى ، ودخل مشروعه فى إطار « خطة السلام » التى كانت ألمانيا النازية تريد فرضها على فرنسا سنة ١٩٤٠،

ولقد تضمنت خطة السلام هذه شرطا خاصا بالإذاعة الفرنسية الموجهة للخارج ، بهدف تحقيق تجمع إذاعى أوربى . وكان على محطات الإذاعة الفرنسية القوية والتى تستخدم الموجات المتوسطة التى كانت مهمتها الأولى بث برامج موجهة ، كان عليها أن تصبح أعضاء فى منظمة دولية كان يمكن أن يكون مقرها الرئيسى عاصمة الرايخ . كذلك كان على كل محطات البث الفرنسية على الموجات القصيرة أن تمر بهذه المنظمة ، وأن تدمر محطات الإذاعة فى فرنسا وتتركز فى ضواحى برلين ، حيث يجب إقامة شبه مركز أوربى للإذاعة بالموجات القصيرة ، بأسلوب يفرض على كل الدول الأوربية التى تبغى مخاطبة القارات الأخرى ضرورة المرور بهذا المركز (٤٢) .

وجاء فى المادة رقم (١٤) من اتفاقية الهدنة ضرورة وقف البث من محطات الإذاعة الفرنسية ، واحتفظ الألمان الذين يتمتعون بالسيطرة فى مجال الإذاعة بحقهم فى تحديد الظروف التى يمكن للإذاعات الفرنسية « المستقبلة » أن تستأنف العمل فيها .

وبعد فترة ، سمح هتلر شخصيا باستئناف البث تحت اشراف حكومة « فيشى » ، وبدأ بث برنامج واحد فى المنطقة المحتلة من خلال جميع المحطات التى كانت موجودة قبل الحرب ، وتم ذلك تحت إشراف هيئات الدعاية النازية .

— استخدام فرنسا للإذاعة كسلاح

أما فيما يخص الإذاعة الخارجية ، فلقد جاءت المبادرة المهمة والوحيدة من حكومة فيشى من خلال إنشاء برامج « فرنسا المسلمة » (٤٣) ، وتضمنت جميع الفنون الإذاعية آنئذ : أحاديث وفنون تبث إما باللغة العربية الفصحى أو باللهجات ، أو بالبربرية فيما يخص الإذاعة الموجهة إلى الأراضى التابعة لفرنسا فى شمال افريقيا أو التى تحت الحماية، وبطبيعة الحال إلى كل الدول التى ينتشر فيها الإسلام فى الشرقين الأوسط والأدنى .

وغنى عن القول أن السياسة الإستعمارية الفرنسية كان الإيطاليون يهاجمونها باللغة العربية والأسبانية من خلال راديو برشلونة ومن خلال البرامج التى تبث باللغة الفرنسية من الإذاعة السوفييتية . واستهدفت معظم المحطات - وبخاصة الألمانية - السياسة التى كانت فرنسا تتبعها فى سوريا وفى شمال أفريقيا . وبعد تردد قليل من فرنسا والاحتفال بما سمى فيما بعد « التعاون الألمانى / الفرنسى » أظهرت دعاية برلين . عدم رضاها عن الإحتلال الفرنسى بوسائل شتى من بينها الاستعانة بالإذاعة على الموجات القصيرة من «آلوي» (٤٤) ، إذاعة « باريس-العالمية » (٤٥)إذاعة المستعمرات سابقا (٤٦) والتى كانت قد وقعت فى أيدى الألمان فى ٢٠ يوليه سنة ١٩٤٠

وكانت إذاعة « باريس - العالمية » تبث برامجها فى بداية الأمر باللغة الفرنسية ، ثم بالعربية المغربية ، وفى لغة البربر (٤٧) . ويوم بدأ البث من هذه الإذاعة ، قال المذيع إنها « لإعادة الأمور إلى نصابها ، فسوف يمكن لصوت المسلمين أن يسمع من الآن فصاعدا من باريس العاصمة، بعد أن كتمته فرنسا فى شمال أفريقيا » (٤٨).

ـ التفوق الالمانى

فى عام ١٩٤٣ ، كانت ألمانيا تذيع بثلاث وخمسين لغة أجنبية . ولكن ، فيما يتعلق بالإذاعة الخارجية ، كانت هناك صراعات ومعركة دائرة بين وزارة الخارجية التى كان يرأسها « ريبنتروب » (٤٩) وبين الإدارة التابعة لجوبلز فى وزارة الدعاية .

ولقد أبدى الألمان كفاءة ملحوظة فى مجال العمل الخارجى للإذاعة . فهذه الإدارة تعطى فكرة للمسئولين عن الإذاعات الموجهة عن الأسلوب الأمثل الذى يمكن أن يستخدم فى مثل هذه البرامج على النحو التالى :

- الأخبار الموجهة لمستمعين فى الخارج يجب أن تقدم فى جمل قصيرة ومحددة،
- يجب الاكتفاء بإذاعة الوقائع وتجنب الجدل ،

- نشرات الأخبار الموجهة يجب أن تتضمن أكبر قدر ممكن من الأخبار التى تخص الدولة الموجهة إليها هذه البرامج .

- يجب العمل على كسب ثقة المستمعين الذين نتوجه إليهم بالبرامج .

- يجب إعطاء المستمع فى الخارج الخبر فى أكمل بياناته حتى نجنبهم اللجوء إلى الإذاعات الأخرى ، الانجليزية والفرنسية وإذاعة أمريكا الشمالية (٥٠) .

ولقد طالب هتلر بنفسه أن تراعى خصائص المستمعين فى البرامج الموجهة لانجلترا:

« يجب علينا أن نوجز عند مخاطبة الانجليز ، وأن نذكر الوقائع محددة دون الحكم عليها (...) أما بالنسبة للجمهور الألمانى ، فالأمر مختلف تماما ، إذ ينبغى تفسير الوقائع له ، وأن تأخذ معنى دقيقا . فالدعاية الجيدة هى التى تثير ، وينبغى على خدماتنا ألا تمل الحديث عن المخمور « تشرشل » وعن «المجرم روزفلت» (٥١) .

-الإذاعة البريطانية تدخل حرب الموجات

فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، زاد استخدام الحلفاء للإذاعة (٥٢) عن ذى قبل ، لكن موقف الإذاعة البريطانية منهم كان قويا . فقد بدأت البى بى سى منذ عام ١٩٤١ فى بث نشرات إخبارية وبرامج مختلفة بأربعين لغة (مقابل ٢٦ لغة فى سبتمبر سنة ١٩٤٠) . وتزايد إجمالى عدد ساعات البث الموجه من البى بى سى من أربعين ساعة و١٢دقيقة فى نهاية سنة ١٩٤٠ إلى٥٤ ساعة و٣٢ دقيقة فى نهاية سنة ١٩٤١ .

واستطاعت جهود البى بى سى فى حمل مشعل المقاومة فى أوربا أن تحقق هدفها على الرغم من محاولات الردع من الجانب الألمانى ، فسرعان ماغطت البرامج البريطانية بقية العالم ، وكانت البى بى سى فى سنة ١٩٤٤ تبث فى ٤٨ لغة - بما فيها اللغة الإنجليزية - من بينها ٢٤ لغة أوربية ، ومن خلال ٣٨ محطة إرسال - من بينها ٣٤ محطة على موجات قصيرة - كانت البى بى سى تقدم ١٣٣ ساعة من البرامج يوميا .

لم تتأخر الولايات المتحدة كثيرا عن الدخول فى هذه المعركة الإذاعية فحتى سنة ١٩٤١ ، كانت الإذاعات الأمريكية توجه خصيصا إلى أمريكا الجنوبية . وكان عدد محطات الإرسال الأمريكية التى تبث من خلال الموجات القصيرة قليلة جدا . لذلك كان عليهم الإسراع فى التزود بها ، وتولت ذلك ست شركات خاصة (٣٥) استطاعت تقديم ٢٥٠٠ برنامج أسبوعى . ومن خلال مليونين من أجهزة الإستقبال المزودة بالموجات القصيرة فى أمريكا اللاتينية ، يظهر الشغف بالراديو عندما نعرف أن الجهاز الواحد كان يستمع إليه حوالى ثمانية أو تسعة أشخاص بفضل نظام الإستماع الجماعى ، أى أن تأثير البرامج الموجهة من أمريكا الشمالية كان تأثيرا قويا ، وكان عليها أن تواجه الدعاية الألمانية والإيطالية (٥٤) .

ومنذ دخول الولايات المتحدة الحرب ، طرحت الحكومة الفيدرالية فى واشنطن برامج دعائية لمساندة فكرة الحرب ، وأنشىء مكتب خاص لذلك (٥٥) فى يونيو سنة ١٩٤٢ سواء للدعاية على المستوى الداخلى أو المستوى الخارجى ، وكانت مهمة هذا المكتب الإيحاء بالمعركة للشعب الأمريكى من جانب ، وأن ينقل للخارج الأفكار الديمقراطية الأمريكية من جانب آخر (٥٦) ، والتى من أجلها ظهر «صوت أمريكا» (٥٧) الذى حل شيئا فشيئا محل الشركات الخاصة فى مجال الإذاعة الموجهة .

ـ صوت أمريكا :

بدأ صوت أمريكا فى فبراير سنة ١٩٤٢ ببرنامج باللغة الألمانية فى ١٥ دقيقة وكان يبث من نيويورك إلى لندن من خلال خط تليفونى عبر الأطلنطى ثم يرحل إلى ألمانيا بوساطة سبع محطات تابعة للإذاعة البريطانية (البى بى سى). أما فيما يخص المضمون ، فقد قامت الإدارة الخارجية للأخبار فى مكتب التنسيق الإعلامى (٥٨) بإعداد

هذا البرنامج الإفتتاحى . ولقد قام مكتب الأخبـار الحربيـة (owi) الذى حل مكان مكتب التنسيق الإعلامى فى ١٣ يونيو سنة ١٩٤٢ باتخاذ مايجب لاستخدام الشبكة الخاصة بالموجات القصيرة بالولايات المتحدة فى أثناء الحرب ، ولضمان تنظيم البرامج الموجهة لأوربا والشرق الأقصى ، وبدأ مكتب الأخبار الحربية استخدام إسم «صوت أمريكا » فى كل برامجه الموجهة للخارج .

وعلى الرغم من أن الإرهاصات والبداية كانت متواضعة نسبيا ، إلا أن صوت أمريكا استطاع أن يتطور . فبينما كانت معارك الحرب تدور رحاها فوق القارة الأوربية ، كانت برامج صوت أمريكا تصلها من خلال ٢٦ محطة منتشرة على ساحل المحيط الأطلنطى وتستخدم الموجات القصيرة ، وتصل برامج « صوت أمريكا » أيضا إلى الشرق الأقصى بوسـاطة عشر محطات (موجات قصيرة) على الساحل الباسيفيكى ، بالإضافة إلى العديد من برامجه التى كانت ترحل عن طريق محطات فى لندن والجزائر وهاواى وسايبان (٥٩) والفيلبين ، إلا أنه سرعان ما اكتشف الأمريكيون ضعف وسائلهم التقنية أمام الوسائل التى كان الألمان واليابانيون يستعينون بها . ففى عام ١٩٤٢ ، لم يكن لدى الولايات المتحدة سوى ١٢ محطة للموجات القصيرة ، إلا أنها استطاعت التغلب على هذا النقص تدريجيا .

وعلى غرار ما قام به الإنجليز ، وجه الأمريكيون برامج للمقاومة النرويجية والهندية بل وللمقاومة فى الألزاس ، وكذلك برامج موجهة للألمان ضد النازية وللإيطاليين ضد الفاشية . ولقد لاقت برامجهم نجاحا وبخاصة فى المناطق التابعة لفرنسا وانجلترا وفى افريقيا والشرق الأوسط . والى جانب هذا كانت فى صوت أمريكا إدارات خاصة بالإذاعة الموجهة إلى الشرق الأقصى تقدم من محطة ضخمة فى سان فرنسسكو (...) تبث برامجها باللغة الصينية والتايلاندية والكورية واليابانية بغرض مساعدة قوات تشانج كاى تشك (٦٠) .

أما الإتحـــاد الســــوفييتى فقد كانت برامجــه الموجهــة تســتهدف فى بداية الأمر الثوار الشـيوعيين فى العالم ، وهو ما كانت تهدف إليـه برامج الكومنتــرن (٦١) بوجه خاص . ولقد اضطر راديو موسكو تعديل هذه البرامج بعد الغزو الألمانى لكى تتواءم والسياسة التى كانت تستهدف الوقوف ضد الفاشـية والنازية . وقد اقتضى الأمر التراجع فى هذا الموقف بعد التغير المفاجىء الذى حدث عقب التوقيع على المعاهدة الألمانية/ السوفييتية . فقبل قيام الحرب ، كان راديو موسكو قد أذاع باللغة الألمانية عدة برامج لاقت نجاحا مما أدى إلى استخدام النازية لأسلوب الشوشرة ، وكانت هذه البرامج تكشف بوجه خاص الحياة الفاجرة للعديد من قادة الرايخ . ولقد وضعت المعاهدة الألمانية/ السوفييتية نهاية لهذه البرامج ، إلا أنها استؤنفت فور الهجوم الألمانى الذى ألحق الضرر - لفترة ما - بإذاعة الإتحاد السوفييتى الموجهة للخارج . فلقد كان السوفييت يستخدمون الأسلوب الذى يسمح لهم ببث برامج على الموجة نفسها التى تستخدمها المحطات الألمانية . وكان المذيع باللغة الألمانية (ويطلق الإنجليز عليه إسم « ايفان البشع » أو « ميشيل الروسى المجنون ») ، يفند على الهواء مباشرة ما يقدمه المذيع الألمانى ويكذبه ، بل إن هذا المذيع الروسى كان يقوم أحيانا بتقليد هتلر وجوبلز على طول الموجة نفسه الذى تستخدمه المحطات النازية .

أما بخصوص فرنسا الحرة (٦٢) فإن الإذاعة الموجهة كانت تتم من خلال راديو برازافيل الذى كان مركزا للأخبار لكل « الإمبراطورية » الفرنسية فى افريقيا وفى آسيا .

وبعد وصول الحلفاء إلى شمال افريقيا ، أصبح راديو الجزائر المحطة الثانية للبرامج الموجهة للخارج من فرنسا « المناضلة » . ولقد كان من الواضح أن الفرنسيين « الأحرار » لايمكنهم أن تكون لهم برامج فى اذاعة البى بى سى إلا ما توجهه هذه الإذاعة خصيصا إلى فرنسا .

المبحث السادس

الجوانب النفسية والدبلوماسية للإذاعة فى زمن الحرب

تميزت الحرب العالمية الثانية بأنها أول حرب فى التاريخ استخدمت فيها الإذاعة كسلاح فى المعركة وعلى مستوى واسع ، مثلها مثل أى سلاح آخر .

وفى بداية الأمر - كما هو الحال بالنسبة لأى عتاد حربى- تفوقت الأنظمة الشمولية تفوقا ساحقا فى مجال الإذاعة ، سواء فى ذلك بالنسبة لتوافر الوسائل التقنية من جانب أو الخبرة التى اكتسبتها هذه الأنظمة من استخدام الراديو كوسيلة للتأثير على الجماهير من جانب آخر .

- التأثير النفسى للإذاعة .

فى أثناء هذه الحرب « الفريدة من نوعها » ، مهدت المحطات الألمانية الأرض للعدوان الذى قام به جيش الرايخ . وكان أول هدف للبرامج الألمانية تحطيم معنويات الرأى العام فى فرنسا ، وإثارة الشك فى كل من انجلترا وفى فرنسا حول تماسك الجبهة الفرنسية / البريطانية ، ولاقت برامج راديو « شتوتجارت» درجة من النجاح لدى المستمعين الفرنسيين ، ويبدو أن ذلك كان سببا فى «انهيار معنويات الفرنسيين». وعلى كل حال ، كانت هذه البرامج - فى أثناء هذه الفترة - عاملا للتسمم الذاتى (٦٣) .

ولقد أشارت بعض استطلاعات للرأى إلى وجود ارتباط بين الإنهيار النفسى وزيادة الإستماع إلى الإذاعات الألمانية . وفى رسالة موجهة إلى الحكومة ، طالب أحد القادة (٦٤) . بضرورة « اتخاذ إجراءات للتصدى دون تأخير وبقوة للدعاية التى توجهها الإذاعات الألمانية » . وللرد على الدعاية ودحضها ، كان من الضرورى الإستعانة بالأساليب التقنية ، وإعداد برامج مختصرة يتم صياغتها بكثير من العناية والحس الدقيق ، وتقديم هذه الردود قدر الإمـكان على موجة بطول الموجة نفســه الذى تقدم عليه الدعـاية الألمانية (٦٥) ، كما أشار رئيس الجيش الفرنسى كذلك إلى إمكان استخدام عمليات التشويش على البرامج الألمانية فى فرنسا كلها .

وفى أثناء الفترة نفسها ، لوحظت ظاهرة الإستماع للإذاعات الألمانية فى انجلترا أيضا ، ويبدو أن ذلك كان مرتبطا بالقلق والانهيار النفسى . ومن خلال استطلاع تم فى شهر أكتوبر سنة ١٩٣٩ (قام به المعهد البريطانى للرأى العام) (٦٦) ، ظهر أن ٥٣ ٪ من العينة المدروسة يستمعون إلى إذاعات أجنبية ، وخص ٦٢ ٪ من بين هؤلاء الذين يستمعون إلى الإذاعات الأجنبية محطات الإذاعـة الألمانيـة وبالتحـديد راديو هامبــورج (٦٧) و « لورد هاو هاو » (٦٨) . وعندما أجرى استطلاع مماثل فى يناير سنة ١٩٤٠ ، لوحظت زيادة فى هذه النسبة ، فقد اعترف ٦٥ ٪ بأنهم يستمعون للإذاعات الأجنبية ، وخص ٧٧٪ منهم الإذاعات الألمانية ، وادعى أفراد العينة عدم الإستماع للورد هاو هاو إلا للسخرية فقط . ولكن ما من شك فى أن لورد هاو هاوكان له مستمعوه الذين لاينكرون مواهبه وبعد نظره فيما يتعلق بالأحداث (٦٩) .

وفى مقابل ذلك ، نجد أن نسبة الاستماع للإذاعات الالمانية فى الولايات المتحدة لم تكن ذات أهمية . ففى يناير سنة ١٩٤١ أجرى معهد الرأى العام فى بريستون استطلاعا ظهر من خلاله أن من بين كل ثلاثة أمريكيين هناك واحد فقط لديه جهاز للراديو يمكنه التقاط برامج برلين ، وأن نسبة من كانوا يستمعون للبرامج الألمانية قبل دخول الولايات المتحدة الحرب كانت تتراوح ما بين ٥ ٪ و ٦ ٪ من بين أصحاب الأجهـزة . وبذلك قدر

القائمون بالبحث عدد المستمعين للإذاعات الألمانية فى أمريكا بحوالى ١٥٠٠٠٠ مفردة .

وكانت أمريكا قلقة بسبب إمكان الاستماع للإذاعات الالمانية والإيطالية فى أمريكا الجنوبية ، فقد كانت برامج برلين تقدم مع برامج خاصة من روما ومدريد وراديو فيشى . وكانت هذه البرامج تهتم باللغة اللاتينية فى مواجهة أمريكا « الإنجليزية » وبالمصالح الثقافية والإقتصادية المشتركة بين الدول الأوربية ودول أمريكا اللاتينية . وبسبب وجود كثير من الإيطاليين فى أمريكا الجنوبية وفى الولايات المتحدة ، كانت روما وسيطا فعالا للنشاط الإذاعى بالنسبة لدول المحور تجاه هذه المنطقة من العالم .

وقد قامت ألمانيا بارسال مستشارين فنيين إلى روما لتنظيم وتوحيد السياسات الإذاعية بين ألمانيا وإيطاليا ، إلا أن هذا التنسيق قد أصابه شىء من الفتور بعد سنة ١٩٤٢ (٧٠) . ففى ألمانيا ، كانت الإذاعة قد بدأت تعانى من العمليات العسكرية منذ سنة ١٩٤٣ ، فقد ضرب الحلفاء بعض المحطات الموجودة فى الأراضى المحتلة ، وخربت المقاومة البعض الآخر ، وواكب ذلك زيادة فى الاستماع لإذاعة البى بى سى وصوت أمريكا ، وظهرت محطات سرية لحركات المقاومة (فى يوغسلافيا مثلا) . أما فيما يتعلق بالاستماع للإذاعات الأجنبية فى المانيا النازية ، فإنه كان يبدو ضئيلا للغاية فى بداية الحرب،وكان لجوء المستمعين للإذاعات الأجنبية مرتبطا فى وقت الأزمات بحالة القلق وفقدان الثقة فى الأخبار التى تقدمها حكوماتهم لهم . وفى بداية الحرب ، كان الألمان أقل قلقا من الشعوب الأوربية الأخرى ، وعدم ثقتهم فى قادتهم كانت أقل من غيرهم ، ولم ترتفع نسبة عدم الثقة لديهم إلا مع بداية الهزائم المتوالية للجيش الألمانى . فمن خلال تقرير للجستابو - عثر عليه بعد نهاية الحرب - اتضح أن عدد المستمعين الألمان لإذاعة البى بى سى كان حوالى المليون نسمة سنة ١٩٤٣ . وفى خريف سنة ١٩٤٤ قدر عدد الألمان الذين يستمعون للإذاعة الإنجليزية برقم يقع ما بين ١٠ و ١٥ مليونا (٧١) . ولقد أخذت السلطات الألمانية فى الاعتبار وجود إذاعات أجنبية موجهة لألمانيا ، وظهر تأثير ذلك فى الأخبار التى تتعلق بالعمليات العسكرية وفى التطورات التى تخص الموقف الدبلوماسى .

كان للإذاعة الموجهة تأثيرها فى الدول التى كانت تحت الإحتلال ، بالنسبة لراديو ألمانيا فى دول المغرب العربى والشرق الأدنى مثلا*. ولقد استغل راديو برلين إعلان الهدنة الإذاعية سنة ١٩٣٨ ، بين فرنسا وانجلترا من جانب وإيطاليا من جانب آخر ، وكشف عن دعايته ضد الإنجليز والفرنسيين ، واستطاع أن يكسب عددا من المستمعين فى العالم العربى .

ومن المؤكد ، أن عدد أجهزة الاستقبال فى دول المغرب وفى المشرق العربى كان محدودا جدا ، ولكن ، وبوجه خاص، بالنسبة لمن يعرف مكانة الكلمة فى الحضارة العربية (٧٢) ، ويعرف فعالية وسائط نقل الأخبار فى المغرب (المقاهى والحمامات العربية فى المدن ، والأسـواق الأسبوعية فى الريف) فإن الدعاية الشفهية من خلال الراديـو كانت على العكـس ملائمة جدا . ولم تكن الدعاية بوساطة الإذاعة فى أثناء الحرب العالمية الثانية سلاحا فعالا فحسب ، بل كانت أيضا وسيلة لقياس تطور العلاقات الدولية فى أوقات الحرب . واستطاعت أن تتكون لدى المستمع « حاسة سادسة تمكنه من التنبؤ بتطور الأحداث (٧٣) مثل إحساس اليمامة بالمطر وبالعواصف قبل وقوعها » (. . .) فعندما يكون الصوت حادا أو هادئا ، والجمل مصاغة فى تعبيرات جافة أو مرنة ، واذا كانت الألفاظ المستخدمة عامية أو أكاديمية ، فإن ذلك يسمح للمستمع الواعى بمعرفـة « درجة الحرارة » فى ركن ما فى أوربا ، أو « التوتر » بين دول ما فيما وراء البحار . . .» (٧٤) .

وقد تتسبب حرب الإذاعات فى الإساءة للعلاقات بين الإذاعات التى بينها ود قائم، والذى يظهر فى انهيار التحالف الفرنسى/البريطانى فى سنة ١٩٤٠ بعد إعلان الهدنة ، كما يظهر فى الخلاف السياسى بين حكومة فيشى وحكومة لندن . والمثال الواضح أيضا على ذلك ما وقع بين الإتحاد السوفييتى وألمانيا عقب توقيع الإتفاقية الألمانية / السوفييتية وبعد نقضها ، « فلقد وقفت الإذاعات الروسية والإذاعات الألمانية كل منها

فى مواجهة الأخرى ، وكان كل جانب يحذر الآخر ويخشاه ليلا ونهارا ، بعد أن كانت تعمل معها وتقف بجوارها شهورا طوالا فى حرب الإذاعات .. » .

ولقد واجه الحلفاء بطبيعة الحال صعوبات فى علاقاتهم الإذاعية . فلم تكن نغمة برامج راديو الجزائر وراديو برازافيل على وتيرة نغمة البى بى سى وصوت أمريكا . فلم يكن الفرنسيون يخفون تحفظاتهم تجاه البرامج الأمريكية التى كان يفهم منها أن الولايات المتحدة تميل إلى استقلال الأراضى المستعمرة . كذلك كانت النبرة بين انجلترا وواشنطن تختلف من حين لآخر ، فلم يتقبل البريطانيون محتوى البرامج التى كانت توجهها إذاعة صوت امريكا إلى آسيا لأن الأمريكيين لم يخفوا تعاطفهم مع الحركات القومية التى تنادى بالاستقلال وبخاصة فى الهند . واختلفت الآراء كذلك بين لندن وواشنطن فيما يتعلق بالعلاقات بين الجنرال دى جول والجنرال جيرو فى شمال أفريقيا ، وظهر ذلك فى مضمون البرامج التى كانت تقدمها البى بى سى وصوت أمريكا .

وكان الواقع الإيطالى أخطر من ذلك وأدى إلى تدخل مباشر من الرئيس « روزفلت» ومن « ونستون تشرشل » لوضع حد للجدل الذى دار بين الإذاعة الإنجليزية والإذاعة الأمريكية حول مستقبل إيطاليا ، إذ عندما وصل الحلفاء إلى صقلية لم تكن لندن وواشنطن قد عدلتا عن موقفيهما إزاء الملكية الإيطالية ، وكانت البى بى سى تعتقد أنه من خلال ماتقدمه من برامج ، يمكنها توضيح أن « التغيير السياسى فى إيطاليا يعنى نهاية الفاشية وتصدى الإيطاليين للعدو الذى هو هتلر » .

ولقد تبنت إذاعة صوت أمريكا فكرة مضادة ، فقد « كان المعلقون فى إذاعة صوت أمريكا يعلنون أنهم لايرون فى استقالة « موسولينى » حدثا هاما . واستمر الأمريكيون فى كفاحهم ضد الفاشية بدون تمييز بين «موسولينى» و«بادوغليو» (Badoglio)» أو حتى ملك الفاشية نفسه » . ولقد ساندت محطة الإذاعة الأمريكية موقف الولايات المتحدة التى ترى « الإستسلام دون شروط » ، سواء بالنسبة لألمانيا واليابان أو إيطاليا . ومع ذلك ، نجح تشرشل فى الحصول على تصريح من

الرئيس الأمريكى يؤكد فيه أن الحلفاء سيوافقون على مناقشة أى فرد كان بشرط ألا يكون فاشيا : الملك أو رئيس الوزراء (بادوغليو) أو أى عمدة لأية مدينة أو قرية .

وفى محطة إذاعة مونت كارلو التى كانت تحت إشراف مشترك من الفرنسيين والألمان والإيطاليين ، اختلفت النغمة وفقا للظروف - واستمر ذلك حتى ١٩٤٤ - عندما قرر مجلس الإدارة أن تكون لنشرات الأخبار طبيعة خاصة بسبب حياد إمارة موناكو ، وكان الحلفاء وقتئذ فى إيطاليا إلا أنهم لم يتأخروا بعدها كثيرا فى الوصول إلى إقليم بروفانس فى فرنسا .

واذا أخذنا فى الاعتبارأن الراديو كان أداة من أدوات الدعاية والتأثير النفسى من جانب ، وأنه كان من جانب آخر وسيلة اتصال بالنسبة لجماعات المقاومة ضد الإحتلال النازى على مستوى أوربا ، وبخاصة بالنسبة للبى بى سى من خلال برنامجها الشهير « رسائل شخصية » الذى كان يحتل مساحة كبيرة من وقت البرامج . أما بالنسبة للبرامج الموجهة لفرنسا ، فقد كانت هناك يوميا ٣٢ رسالة فى المتوسط زاد عددها بوضوح بعد وصول الحلفاء إلى فرنسا .

وهناك من يرى(٧٦) أن الذين كانوا يقدمون هذه البرامج من لندن لم تكن تخدعهم دائما الجمل التى يقرءونها ، كذلك الأمر بالنسبة للحقائق التى كانوا يقدمونها ، وكانوا آلات فى خدمة الوطنية التى يراد إذكاؤها ، وعزة قومية يراد إيقاظها ..... (٧٧) .

والمشاهد أن إذاعات الحلفاء كانت تحمل بوارق الأمل بالنسبة لشعوب أوربا المحتلة ولجماعات المقاومة . وطوال سنوات الحرب العالمية الثانية ، كانت الإذاعة وسيلة للسيطرة والإستعباد فى أيدى الانظمة الشمولية ، إلا أنها كانت أيضا سلاحا فى معركة التحرر .

وكما هو الحال فى دول المحور ، كان الأمر بالنسبة للحلفاء فيما يخص المسئولين السياسيين والعسكريين الذين استخدموا الإذاعة فى الحرب بضراوة من خلال الموجات . ويمكننا القول هنا بأن الحرب قد دارت على مستويين : « على المستوى الحقيقى المادى فى الحياة اليومية من خلال الغزو والاحتلال من جانب ، وعلى مستوى الرأى العام من جانب آخر » (٧٨) .

وعلى أى حال ، استطاعت الحرب العالمية الثانية أن تغير من طبيعة الراديو . ولقد كان لراديو لندن دور سياسى أكثر تأثيرا فى دول أوربا المحتلة عنه بالنسبة لسلطات الإحتلال . ويمكننا كذلك أن ننظر إلى الإذاعة (فى أثناء الحرب العالمية الثانية وفيما بعدها من خلال فترة زوال الإستعمار) على أنها قوة عسكرية فى حالة الرغبة فى كسب أو فقدان موقف شعب إزاء قضية ما .

ولقد استطاعت رؤية النازية للدعاية ، والاستعانة بالإذاعة لنشرها ، أن تفتح الباب على مصراعيه فى تطوير استخدامات الإذاعة . ولقد خص هتلر الدعاية بفصلين كاملين فى كتابه : « نضالى » (٧٩) ، فقد كان يعتقد أن الدعاية يمكنها أن تقوم بانقلاب عالمى . وظلت المهمة التى خولها هتلر للدعاية إحدى المشكلات التى تعانى منها الإذاعة والإعلام عندما قال : إن « الهدف من الدعاية ليس أبدا فى إعطاء الحق لكل الأحزاب ، بل يجب أن تجذب الإهتمام إلى الحزب فقط الذى نمثله . وهى ليست أيضا فى البحث الموضوعى عن الحقيقة إذا ما كانت هذه الحقيقة فى صالح الآخرين أو فى عرضها على الجماهير بصورة عادلة ، ولكنها فى متابعة فقط ما هو فى صالحها » (٨٠) .

يتضح مما سبق أن الإذاعة التى كانت تعتبر فى بداية الأمر أداة من أدوات الترويح بالدرجة الأولى وللإعلام بدرجة ثانوية ، أصبحت بالنسبة للحرب «قوة حيوية » ، وتحولت الإذاعة ، التى كانت تبدو فى بداية عهدها وكأنها لعبة قومية بالدرجة الأولى مثيرة للتطفل ، إلى سلاح له قيمته فى ميزان علاقات القوى بين الدول تحت ضغوط التوتر الدولية . وهكذا نرى أن الإذاعة سلاح ذو حدين ، ويمكن استخدام هذا السلاح فى إطار التعاون وعند المواجهة معا .

الفصل الثالث

تقسيم الأثير بين المنتصرين
فى
المواجهة بين الشرق والغرب

المبحث السابع : تقسيم الأثير بين المنتصرين .

المبحث الثامن : الشرق والغرب يتنازعان الأثير والعقول.

المبحث التاسع : الحرب الباردة : حرب أيديولوجية .

المبحث السابع

تقسيم الأثير بين المنتصرين

غداة الحرب العالمية الثانية ، كان أكبر عدد من محطات الإذاعة ومن أجهزة الإستقبال الموجودة فى أوربا واليابان غير صالح للإستعمال . وكان الحلفاء يلجأون غالبا إلى إقامة محطات متنقلة لبث برامجهم . وكان من الضرورى إعادة تشييد المحطات التى خربت واستبدال الأجهزة التى دمرت . وإلى أن يتحقق ذلك ، كان لابد من الحد من البرامج الموجهة ، ولكن سرعان ما فرض ترتيب النظام العالمى للإتصال من خلال الموجات نفسه . إلا أن الحرب قد عاقت تحقيق ما جاء فى اتفاقية القاهرة سنة ١٩٣٨ .

وكانت هناك مسألة شائكة وعاجلة تتعلق بتقسيم موجات الراديو والترددات على الإذاعة وعلى الأنشطة الأخرى (مثل الطيران والبحرية والهيئات الأخرى التى تستخدم الموجات فى الإتصال اللاسلكى) ، واحتاج ذلك إلى تنظيم خاص على المستوى العالمى وعلى مستوى كل دولة .

مشكلة تقسيم الموجات القصيرة

بخصوص الإذاعة على الموجات القصيرة ، يجب أن نعرف أن مشكلة الترددات مشكلة جوهرية تتعلق بمدى انتشارها ، وأحيانا لتفادى مخاطر التشويش التى يمكن التغلب عليها ببث البرامج على عدة ترددات ، بحيث يتمكن المستمع من خلال تعديل مؤشر جهاز الراديو أن يتحول من المحطة التى يدخل عليها التشويش إلى محطة أخرى نقية . لذلك يمكن القول بأن الإذاعات الموجهة تحسب ، ليس فقط بعدد ساعات البث ، ولكنها تحسب كذلك - بوجه خاص - بعدد ساعات الترددات .

وقبل انتهاء المعارك ، اهتمت الولايات المتحدة فى الإعداد لما بعد الحرب، فظهرت عام ١٩٤٤ منظمة خاصة للإذاعة (١) ، كانت مهمتها وضع خطة تتقدم بها الولايات المتحدة كمشروع فى المؤتمر الخاص بالإتصالات المزمع عقده عندما تضع الحرب أوزارها .

وفى ١١ و ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٤ ، اجتمع فى واشنطن ممثلون عن الحكومة والصناعة تحت رعاية « لجنة التخطيط التقنى » (٢) التابعة للدولة ، والتى أنيط بها إعداد وجهات النظر الأمريكية فيما يتعلق بمؤتمرات ما بعد الحــرب . وفى هذا الإجتماع ، أصر «وولتر ليمون» ممثل المؤسسة الإذاعية على أن «الإذاعة الدولية قد أصبحت قوة عالمية جديدة ، وأنه ينبغى على الولايات المتحدة أن تتزعمها» ، وتلى ذلك عقد عدة لقاءات تمهيدية فى الشهور التى أعقبت نهاية الحرب . وفى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٦ ،بدأ فى موسكو مؤتمر للإتصالات بين القوى الخمس الكبرى : الإتحاد السوفيتى والصين والولايات المتحدة والجلترا وفرنسا ، ونادى المؤتمرون بعقد مؤتمر فى مدينة « اتلانتيك » بالولايات المتحدة (والذى استمر أكثر من خمسة شهور ، من ١٥ مايو إلى ٢ أكتوبر سنة ١٩٤٧) لإعادة صياغة قوانين الإذاعة ، بدون تجاهل مشكلة حرية الأثير . ولقد أعترفت المواثيق التى خرج بها مؤتمر مدينة اتلانتيك بحق كل دولة السيادى فى تنظيم الإذاعة ، وكان المؤتمر - فى اطار الحرية المكفولة - قد بحث الإمكانات التى تسمح بالحصول على أفضل حيز للترددات . وخلال هذا المؤتمر الأول الذى ضم مئات الأعضاء (فنيين ودبلوماسيين) من ٧٧ دولة ، لم تكن المناقشات على مستوى فنى فقط ، فلقد تقدمت كل دولة بمطالب تغطى حاجاتها القومية فى مجال الإذاعة، إلا أن تحقيق وتلبية حاجات الجميع لم يكن أمرا سهلا، لأسباب سياسية وإقتصادية وفنية ، على الرغم من غياب ألمانيا واليابان وأسبانيا .

فعلى المستوى السياسى ، كان واضحا أن مصالح الدول متعارضة ، لأن مطالب الدول التى لها قوة بحرية ليست مشابهة لما تطالب به الدول التى تقع فى

قلب القارات . أما على المستوى الإقتصادى والفنى ، فهناك شركات كبرى تستثمر صناعة الإتصالات ، وصراعات قوى بين مختلف الجهات المستفيدة .

ومن أهم القرارات التى خرج بها مؤتمر مدينة أتلانتيك فى مجال الإذاعـة ، إنشاء لجنة دولية لتسجيل الترددات (٤) مهمتها تسجيل الترددات المبلغ عنـها - وهى المهمة الإدارية لها - أما من الجانب الفنى ، فتقوم هذه اللجنة بتخصيص الترددات بهدف الحصول على أعلى مردودية من استخدام الأثير فى الإذاعة ، مما يسمح بزيادة فى عدد المحطات فى حيز الترددات المختلفة ، والحد من مخاطر التداخل والتشويش إلى أقصى درجة .ولكن، ظهرت فى مجال الإذاعة مشكلات قانونية منبثقة من عمليات التسجيل يمكن تلخيصها فيما يسمى «حق السبق» (٥) .

ـ « حق السبق » فى تخصيص التردد

منذ تسجيل أول قائمة للترددات فى سنة ١٩٢٨ ، ثار الجدل حول أهمية التاريخ الذى يسجل فيه التردد لإدراجه فى القائمة . فهل تخصيص استخدام أحد الترددات لدولة مايعطى هذه الدولة ميزة تشبه حق الملكية بالنسبة لهذا التردد أمام محاولات الدول الأخرى - فيما بعد - لو سولت لها نفسها استخدام هذا التردد للشوشرة عليها ؟ الإجابة عن هذا السؤال كانت بالإيجاب من كثير من الأعضاء فى مؤتمر اتلانتيك ، وسمى هذا الحق بأنه «حق السبق» أو «حق الأسبقية فى الإستخدام» ، إلا أن هذا لم يستمر طويلا ، بل ظهر مبدأ «يخدم أولا من يصل أولا » (٦) والذى اتضح فى القوانين التى سنها الإتحاد الدولى للإتصالات (٧) وهو منظمة ليست لها أية سلطة تنفيذية تلزم احترام تقسيم الترددات . وللتعميم يمكن القول بعدم وجود أية سلطة دولية يمكنها تخصيص تردد لمحطة ما ، أو لمستفيد ما ، فالدول هى التى تمتلك هذه السلطة السيادية .

يتم تخصيص الترددات بوساطة كل دولة فى اللجنة الدولية لتسجيل الترددات (٨) السابق ذكرها . فبعد أن تتم دراسة الإخطار المقدم من الدولة ، فى ضوء القواعد العامة والفنية التى ارتضتها اللجنة ، يتم تسجيل ذلك في سجل الترددات والذى ينشر محتواه فى الدليل الدولى للترددات ، مما يساعد الدول على معرفة ما تم تسجيله ، وبذلك فان استخدام التردد الذى يتم تدوينه فى السجل الرسمى يعد اعترافا دوليا ، بل يعد أيضا حقا تكفله الحماية الدولية تحافظ عليه وتدافع عنه .

وتباشر لجنة تسجيل الترددات الاجراءات الخاصة بذلك فى إطار من الضوابط الوقائية للدول . وتعد هذه اللجنة - بدرجة أو بأخرى - قفزة فى هذا الميدان ، بما أنها أول مرة تتخصص فيها منظمة دولية لدراسة ما إذا كان التردد يستخدم بصورة لائقة بوساطة الدولة التى خصص لها هذا التردد أو ذاك ، وأن من مهامها كذلك وضع توصيات بهذا الخصوص ، بل أيضا إصدار أحكام (ويمكن هنا ملاحظة فعالية الإجراءات الودية التى تنظم عملية التسجيل) .

ففى مجال الإذاعة يندر وجود صراعات تتعلق باستخدام الموجات الطويلة والموجات المتوسطة (٩) ، التى يتم توزيعها من خلال مؤتمرات إقليمية ، ولكن الصراع يزداد حدة عندما يتعلق الأمر باستخدام الموجات القصيرة في الإذاعات الدولية (١٠) .

ولقد تم فى مؤتمر اتلانتيك سيتى تخصيص مايقرب من ٢٠٠ موجة مختلفة للراديو على الموجات القصيرة وتم عرضها على المؤتمر الذى عقد بعد ذلك فى المكسيك .

ولقد حاول المؤتمرون فى اتلانتيك تحديد عدة خطوط يمكن فى ضوئها تسهيل مهمة مؤتمر المكسيك وإنجاح دوره ، فقاموا بتسجيل رغبات كل دولة من خلال استطلاع للرأى . ومن المعروف أن الحاجة إلى الموجات القصيرة وقتئذ كانت تفوق عدد الموجات التى يمكن استخدامها فعلا ، لذلك فقد لجأوا فى بعض الأحيان إلى تقسيم الموجات بين عدة دول ، خصص لكل منها حصة من الساعات (١١) لدرجة أن عدد الموجات الذى كان من الممكن استخدامها فى البث (٢٠٠ موجة) وصل عدد ساعات البث عليها خلال ٢٤ ساعة إلى ٤٨٠٠ ساعة تردد ، وارتفع هذا الرقم فيما بعد من خلال البث التبادلى على الموجات إلى ٥٥٠٠ ساعة ، ولكن متطلبات الدول فاقت ذلك بكثير ، حيث وصل إلى ١٥٠٠٠ طلب ، وبطبيعة الحال كان من الصعب تلبية احتياجات كل الدول ، وحاول المعنيون - بدون جدوى - تسهيل المهمة على مؤتمر المكسيك من خلال وضع أسس للتفاهم المتبادل .

٨ - المؤتمرات الخاصة بالإذاعة تتم فى مناخ سياسى

اجتمع فى مؤتمر المكسيك ٢٧٠ خبيرا فنيا يمثلون ٦٢ عضوا فى الإتحاد الدولى للإتصالات ، إلى جانب مراقبين من منغوليا وإسرائيل وممثلين للهيئات الدولية . وفى فترة مابعد الحرب والحرب الباردة ، بدت المفاوضة صعبة جدا ، لدرجة أن بعض الدول (مثل افريقيا الجنوبية) أشارت بتنظيم الإذاعات الموجهة بالإتفاق مع الدول التى توجه إليها الإذاعة .

والمشاهد أن الجوانب السياسية قد سادت المناقشات طوال فترة انعقاد المؤتمر، والمثال على ذلك ما ذكره بيير تشايفر (١٢) (أحد المشتركين فى هذا المؤتمر) : «عندما أخذ الفنيون الكلمة ، اختلفوا فيما بينهم وانقسموا إلى فرق حول إمكان تجميع أو عدم تجميع الإتجاهات الدولية ، التى تستخدم أساليب مختلفة ولها مصالح متباينة ، ولم يكن هناك دور فى المؤتمر إلا بالنسبة لممثلى الحكومات المكلفين بالمراقبة ، فقد كانت مهمتهم أكثر بساطة ... » .

والواقع أنه قد ساد التوتر السياسى والنزعة الأنانية لكل دولة على أعمال مؤتمر المكسيك . ولم تنجح المحاولات التى بذلت لتحديد الأسس التى يمكن أن يتم على أساسها توزيع الترددات . ولقد أخذ الإتحاد السوفييتى والدول الشرقية فى الإعتبار عوامل ثلاثة : المساحة وعدد السكان وعدد اللغات الرسمية فى الدولة ، على أنها المحاور الوحيدة التى يمكن على ضوئها تحديد الترددات ، إلا أن الدول الغربية لم توافق على ذلك .

ومن المشاهد فى هذا المؤتمر ، أن التوافق فى وجهات النظر لم يقم على الأحلاف السياسية ، فقد أعجبت بعض دول أوربا الغربية بالمقترحات التى تقدم بها الإتحاد السوفييتى فيما يتعلق بتحديد الأولوية . فقد أشار الوفد السوفييتى بوجه خاص إلى أن « الخدمات الداخلية » سوف يكون لها الأفضلية عن الخدمات التى تستهدف البث الدولى، أى الإذاعات الموجهة .

ولما كان الإتحاد السوفييتى يستخدم - وبغزارة - الموجات القصيرة لبث برامجه على المستوى القومى الداخلى بسبب امتداد مساحته الجغرافية ، فإن الاسلوب المطروح يعتبر فى صالحه بالدرجة الأولى . ولكى يطبق هذا المشروع ، اقترح الإتحاد السوفييتى اعتبار البرامج التى تبث من القادة الأوروبيين تجاه المستعمرات اذاعات « داخلية » (مقابل الإذاعة « الخارجية » الموجهة) ولكن تحالف السوفييت مع القوى الإستعمارية لم يصمد أمام مقاومة الدول الصغيرة .

ولقد كانت هناك بعض الدول فى أمريكا الجنوبية توافق على أولوية الخدمات الداخلية لأنهم رأوها ملائمة بالنسبة لبرامجهم التى تبث على الموجات القصيرة لمصالحهم الوطنية الخاصة ، إلا أنهم لم يوافقوا على أن تشمل الأولوية البرامج الإستعمارية .

وكانت هناك دول أخرى لها تقاليدها فيما يتعلق بالبث الخارجى مثل سويسرا والولايات المتحدة حيث لا تستخدم الموجات القصيرة بالنسبة للبرامج على المستوى

القومى ووقفت هاتان الدولتان مع غيرهما من الدول التى تدافع وتنادى باستخدام الموجات القصيرة للراديو فى الإذاعات الدولية ، وإنهاء الصراع السياسى والمشكلات الفنية أمام إمكان تقسيم الترددات ، أو الخروج باتفاق دولى في مجال الموجات القصيرة .

أسس توزيع ترددات الموجات القصيرة

على الرغم من المحاولات الكثيرة ، لم يتم التوصل إلى تخطيط فيما يتعلق باستخدام هذه الحيزات للراديو (وإن كان ذلك قد تحقق بالنسبة للموجات الطويلة والمتوسطة فيما يخص الموجات المترية والديسمترية فى التليفزيون ، والموجات المعدلة التردد فى الراديو (١٣) ، إذ من الصعب وضع خطة للموجات القصيرة التى يصل مداها إلى بعيد مما يحتم أن تكون عالمية . وفضلا عن ذلك ، فإن الموضوع المراد التخطيط له غير ثابت . ولكن كانت هناك على وجه الخصوص أسباب سياسية هى التى أدت إلى فشل التخطيط ، فلقد رغبت بعض الدول الكبرى الحفاظ على حرية الحركة فى مجال يتعلق بالدعاية الخارجية .

وأخيرا ، توصلوا فى سنة ١٩٥٩ إلى تحديد بعض الأسس التى يتم الإتفاق عليها كل ثلاثة شهور فى إطار اللجنة الدولية لتسجيل الترددات ، إلا أن ذلك لم يكفل الضمانات الكافية بخصوص التشويش والتداخل بين برامج الدول . وقد أدى عدم توافر الحماية ضد التشويش إلى نتيجتين : فمن ناحية ، كان ذلك يجبر هيئات الإذاعة على أن تبث البرنامج الواحد على العديد من الترددات (باستخدام ترددات فى حيز واحد) للتغلب على مخاطر التشويش ، ومن جانب آخر ، أدى ذلك إلى التنافس بغرض السيطرة ؛ فقد حاولت كل إذاعة أن تسيطر على الإذاعات الأخرى ، وظلت محطات الإرسال ذات المائة كيلو وات على الموجات القصيرة أقوى المحطات (١٤) التى من خلالها يمكن تحقيق ذلك .

وللتخلص من مشكلة التشويش ، كان يتعين على الدول التى ترغب فى بث برامج موجهة أن يكون لديها محطات إرسال قوية وكثيرة بما فيه الكفاية لإستخدام الترددات التى خصصت لها بفعالية خلال مساحة زمنية تكفى لإحباط المنافسين الذين يلجأ البعض منهم إلى أسلوب القرصنة (١٥) .

مجمل القول ، أن الإذاعة - فى فترة ما بعد الحرب - كانت ربما ناجحة فيما يتعلق باستخدام حيز الموجات الطويلة والمتوسطة والقصيرة والقصيرة جدا . وربما لم تحصل محطات الإذاعة فى هذه الفترة على مايتلاءم مع احتياجاتها ، ولكن هذا لايمنع من أن الإذاعة كانت تقدم كافة أنواع البرامج الوطنية والدولية ، كذلك تزايد تخصيص ترددات فى الراديو من أجل الإذاعة يوما بعد يوم .

ومن المطالب الأولى للدول النامية فى مجال الإتصال الدولى إعادة توزيع ترددات الراديو من جديد . فمنذ حصولها على الإستقلال ، وهذه الدول تطالب بتوزيع جديد عادل ، لأن التوزيع كان قد تم فى إطار اجتماعات لم تحضرها الدول النامية التى لم تكن قد حصلت بعد على استقلالها ، وبالتحديد ،عندما عقد مؤتمر اتلانتيك سيتى فى سنة ١٩٤٧ ومؤتمر جنيف فى سنة ١٩٥٩ ، وكانت مصالح الدول النامية تدور فى فلك الدول الإستعمارية الكبرى ، ولم يشارك فى المؤتمر الأول سوى ٧٦ دولة (١٩٤٧) ، واشتركت ٩٦ دولة فى المؤتمر الثانى (١٩٥٩).

ولم تظهر الدول لنامية في المؤتمرات الخاصة بالإتصال إلا فى مؤتمر جنيف الذى عقد فيما بعد فى سنة ١٩٧٩ (١٦) (والذى حضره مندوبون عن ١٤٢ دولة وعقد تحت رعاية الإتحاد الدولي للإتصال) . وفى هذا المؤتمر - الذى اشترك فيه ١٨٠٠ عضو واستمر عشرة أسابيع - نوقشت المسائل المتعلقة بالاعلام الدولى عبر الإذاعة .

ولما كانت هناك زيادة مستمرة فى عدد الدول الباثة للإذاعة الموجهة ، وبسبب التطور التقنى الذى حدث فى مجال الإتصال ، أصبحت مشكلة تقسيم الترددات أكثر تعقيدا ومن الصعب التغلب عليها ، وكانت الدول المتقدمة قد استولت على الترددات ولم يتبق شىء للدول الأخرى فى بعض الحيزات . وكانت مهمة مؤتمر سنة ١٩٧٩ إعادة تقسيم الموجات من جديد على المستفيدين (الدول والهيئات والخدمات ، والأفراد إلخ ...) ، الذين يتكالبون للحصول على « مكان فى الأثير »، أو بأسلوب آخر ، الذين يحاولون الحصول على حيز للترددات يمكنهم استخدامه فى مجال الإتصال اللاسلكى من خلال موجات الراديو .

ومن المؤكد أن المشكلة كانت على المستوى التقنى فى صورة مساومات بين الفنيين. ولكن المناقشات كانت أحيانا تأخذ الطابع السياسى ووصلت إلى مواجهة بين الشمال والجنوب . ففى مجال الموجات الديكامترية (الموجات القصيرة) جوبهت الدول النامية بالأسس الثلاثة التى أخذت بها الدول الصناعيــة (١٧) .

وكانت الموجات القصيرة عندئذ ممتلئة تماما ، بل وتستخدم أكثر من طاقتها ثلاث أو أربع مرات . لذلك كان من اللازم أن يتخذ مؤتمر سنة ١٩٧٩ الإجراءات الضرورية لاستخدام الموجات الديكامترية المخصصة للإذاعة على أفضل وجه . ولقد قدمت الجزائر للمؤتمر اقتراحا بتخصيص ٧٠ ٪ من الترددات الديكامترية للعالم الثالث (١٨)، وهو اقتراح ترفضه بطبيعة الحال الدول المتقدمة ، إلا أنها وافقت على وقف تطبيق القاعدة : « من يصل أولا يخدم أولا»(١٩) التى طبقت كثيرا من قبل لصالح الدول الصناعيــة . وفى مقابل ذلك ، حصلت الدول الصناعية على حيزات أكثر للإذاعة على الموجات القصيرة . ويبقى أن نعرف إذا كان التنازل عن حق « من اسـتخدم التردد أولا » يترجم عند التطبيق بزيادة ملحوظة لاستخدام هذه الترددات من قـبل دول العالم الثالث ، فالملاحظ أن ذلك يتوقف بطبيعة الحال على إرادة الدولة التى تستخدم التردد فعلا .

المبحث الثامن

الشرق والغرب يتنازعان الأثير والعقول

الاتحاد الدولى للإذاعة

قبل الحرب العالميـة الثانيـة ، كانت هناك منظمـة دوليـة وحيـدة للإذاعـة (الاتحاد الدولى للإذاعـة) (٢٠) تأسست فى ٤ ابريل سنة ١٩٢٥،ومركزها جنيف ، على إثر انعقاد مؤتمر تمهيدى لدراسة إمكان الوصول إلى اتفاق دولى فى مجال الراديو . وظهر الإتحاد الدولى بغرض إقامة روابط بين مختلف المنظمات الإذاعية الأوربية وغيرها ، وركز على دراسة كافة المسائل التى لها طابع عام يساعد فى تطوير الإذاعة .

وفى بداية الأمر كان الإتحاد لايضم سوى تسع هيئات للإذاعة . وبعد سنوات قليلة، أصبح الإتحاد منظمة لها وزنها وأهميتها العظيمة ، وأصبح الأعضاء العاملون يمثلون غالبية الهيئات الأوربية للإذاعة المعترف بها و تقدم برامج فى دولها . أما فيما يخص الدول خارج القارة الأوربية ، فقد كانت أهم المنظمات فى أفريقيا وأمريكا الشمالية وآسيا أعضاء منتسبين فى الإتحاد ، الذى وصل عدد أعضائه إلى ٥٨ عضوا فى سنة ١٩٣٩ .

وكان الأعضاء العاملون والمنتسبون فى الإتحاد يمثلون إدارات فى الحكومات وفى منظمات نصف رسمية تابعة بدرجة أو بأخرى للدول إلى جانب بعض الهيئات الخاصة .

ولم يكن دور الإتحاد الدولى للإذاعة يقتصر فقط على تنسيق التعاون بين الأعضاء ، ولكنه أيضا كان يعمل على حل المشاكل العديدة التى يمكن أن تعترضهم سواء على المستوى التقنى أو القانونى أو السياسى . ولكى يمكنه القيام بمهمته ، خصصت إدارة هامة للإتحاد مقرها جنيف ، ومركز فنى له فى بروكسل . وأنيطت إدارة الإتحاد إلى لجنة من تسعة أعضاء يتم اختيارهم سنويا بوساطة مندوبى هيئات الإذاعة الأعضاء فى الإتحاد .

- نشاط الإتحاد الدولى للإذاعة فى أثناء الحرب العالمية الثانية

عندما اندلعت شرارة الحرب العالمية الثانية ، واصل الإتحاد الدولى نشاطه فى غياب الدول والمنظمات المعادية للمحور بدلا من أن يقرر الحد من نشاطه وهو ما أخذت به المنظمات الدولية التى كان مقرها فى جنيف ، مما لم ينقص من تدعيم تأثير ألمانيا . ومن جهة أخرى ، فقد تم تعيين أحد الألمان للإشراف على المركز الفنى للإتحاد الدولى والذى مقره بروكسل ، مما جعل البى بى سى تجمد نشاطها فى الإتحاد . أما بخصوص حكومات الدول المحتلة - والموجودة فى المنفى بلندن - أيا كانت هذه الحكومات ، فقد أبلغت الغالبية منها الحكومة البريطانية قرارها بمقاطعة الاتحاد ، وأنها فى أى حال من الأحوال ، لن توافق على أية قرارات تتخذ فى غياب مندوبيها المعتمدين (٢١) .

- انفصام بعض الدول من الإتحاد فى نهاية الحرب

غداة الحرب العالمية الثانية ، كان من الصعب على بريطانيا العظمى وحكومات أوربية عديدة شاركت فى المقاومة أن تعيد عضويتها للإتحاد الدولى للإذاعة الموسوم - من وجهة نظرهم - بالتعامل مع ألمانيا النازية ومساندتها .

وهكذا ، نظم المعارضون للإتحاد اجتماعا عقد فى شهر مارس سنة ١٩٤٦ فى بروكسل ، حضره ممثلون عن عشرين دولة من بينها الإتحاد السوفييتى (٢٢) . وسجل هذا الاجتماع ضرورة تشكيل هيئة لمنظمات الإذاعة فى أوربا لدراسة المشكلات الهامة والعديدة التى تواجه الإذاعة بعد حرب دامت أكثر من خمس سنوات . ولقد كلف اجتماع بروكسل مكتبه - الذى يتكون من ممثلين عن المنظمات الإذاعية فى بلجيكا وفرنسا وبريطانيا العظمى وهولندا وتشيكوسلوفاكيا والإتحاد السوفييتى - بأن يدرس بالتفصيل مسألة إعادة تكوين هذه الجمعية ، وأن ينظم المكتب - قبل أول يوليو سنة ١٩٤٦ - مؤتمرا جديدا لممثلى الإذاعات الأوربية لعرض النتائج التى يتوصل إليها فى شكل مقترحات محدودة . ولقد عقد المكتب المذكور جلسة فى بروكسل فى مايو سنة

١٩٤٦ أشير فيها إلى عدم جدوى التفكير فى إعادة تشكيل الإتحاد الدولى للإذاعة ، وبناء على ذلك قرر المجتمعون تقديم اقتراح إلى المؤتمر القادم للمنظمات الإذاعية بخصوص تشكيل هيئة جديدة تكون لها قوانينها الخاصة وتنظيماتها ، ويكون مقرها فى العاصمة البلجيكية ، التى يوجد بها مركز الإشراف الخاص بالإتحاد الدولى .

ـ ظهور المنظمة الدولية للإذاعة

فى ٢٤ يونيه سنة ١٩٤٦ ، بدأ المؤتمر الجديد لممثلى منظمات الإذاعة فى «المنطقة الأوربية » أعماله ، والذى تحول قولا وفعلا وأصبح جمعية تأسيسية للمنظمة الدولية للإذاعة (٢٣).

وبعد انعقاد هذه الجمعية التأسيسية ، تقابل عدد كبير من أعضائها فى اجتماع غير عادى للجمعية العمومية للإتحاد الدولى للإذاعة فى جنيف ، وحاول مندوبو خمس عشرة منظمة - كانت أعضاء فى الإتحاد قبل الحرب - حاولوا حل الإتحاد إلا أنهم فشلوا . وتعهد الإتحاد الدولى بأن يحل نفسه فى حالة قيام المنظمة الدولية التى يجب إنشاؤها قانونا للقيام بالمهام التى يقوم بها الإتحاد . وفى هذه الآونة ، كان القلق قد بدأ يساور الدول الغربية حول نوايا السوفييت ونشاطهم فى المنظمة ، وبدأت الدول الغربية تفكر فى تعديل لائحة الإتحاد الدولى للراديو بدلا من إنشاء هيئة جديدة يمكن أن تتأثر بميول الدول الإشتراكية .

وهكذا ، وجدت أوربا نفسها بعد الحرب العالمية الثانية أمام منظمتين للإذاعة : المنظمة الدولية فى جانب و الإتحاد الدولى (٢٥) فى جانب آخر . وكانت البى بى سى بعيدة عن كل منهما ، بينما بقيت الدول التالية أعضاء عاملين فى الإتحـاد بعد الحرب : الدانمرك وأسبانيا واليونان وايرلندا وايطاليا والنرويج والبرتغال والسويد وسويسرا وتركيا. أما الأعضاء المنتسبون للإتحاد من خارج القارة الأوربية فكان عددهم خمسة من بينهم الولايات المتحدة والصين . ومن جهة أخرى ، فعلى الرغم من معارضة العديد من الوفود، اشترك الإتحاد فى المؤتمر الذى عقد فى مدينة «اتلانتيك» سنة ١٩٤٧ .

انشقاق بعض الدول عن المنظمة الدولية وظهور اتحاد إذاعات الدول الغربية

مع بداية الحرب الباردة ، كان من الواضح أن الدول الغربية سوف تتجمع . ولم يتأخر الإتحاد السوفيتى بأقماره الصناعية فى تشكيل منظمة خاصة به ، وتوترت العلاقات بين الشرق والغرب فى المنظمة الدولية ، وبدأت بعض الدول الأعضاء فى الإتحاد والمنظمة معا - مثل إيطاليا - تستعد للتخلص من هذا الوضع ، وانتهى الأمر بظهور اتحاد الإذاعات الأوربية (٢٦) فى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٠ ، وانضمت إليه ٢١ دولة ومنظمة وهى بلجيكا والفاتيكان والدانمرك ومصر وفرنسا وبريطانيا العظمى واليونان وايرلندا وايطاليا ولبنان واللوكسبورج والمغرب/ وتونس وموناكو والنرويج وهولندا والبرتغال والسويد وسويسرا وسوريا وتركيا ويوغسلافيا .

واستقر الرأى على أن يكون مقر الإتحاد الأوربى فى جنيف حيث احتلت الإدارة مكاتب الإتحاد الدولى للراديو ، وتم تعيين جميع العاملين فى الإتحاد الدولى فى إتحاد الإذاعات الأوربية ، وظل مركز الإشراف الفنى كما كان عليه الوضع فى بروكسل . وهكذا، تم حل الإتحاد الدولى للإذاعة للتكفير عن أخطائه لمساندته لألمانيا النازية ، ولكن ورثه إتحاد الإذاعات الأوربية (فى المقر والعاملين ...) .

واستمر نشاط المنظمة الدولية للراديو على نطاق ضيق ، وظل مقرها فى بروكسل حتى سنة ١٩٥٩ . وفى سنة ١٩٦٠ ، نقل مقر المنظمة الدولية للإذاعة ، التى أصبح اسمها المنظمة الدولية للراديووالتليفزيون (٢٧)،نقل مقرها من بروكسل فى بلجيكا إلى براغ فى تشيكوسلوفاكيا ، وتضم دول الكتلة الإشتراكية .

وهكذا نرى أن تقسيم أوربا على مستوى الإذاعة يتوافق والتقسيم السياسى والأيديولوجى بين الشرق والغرب . ومنذ ذلك الحين ، وفى أوربا منظمتان للإذاعة هما : اتحاد الإذاعات الأوربية الذى يضم الدول الغربية ، والمنظمة الدولية للراديو والتليفزيون

الخاصة بدول الكتلة الشرقية (٢٨) ، وشاركت المنظمتان فيما بعد وبفاعلية فى الحرب الباردة فوق أرضها الخاصة ، أى على المستوى المهنى للإذاعة .

ولقد أعاقت المنافسة بين الشرق والغرب المشروع الخاص بإقامة نظام عالمى لكافة الوسائل السمعية / البصرية . وقد توصل ممثلو القوى الخمس الكبرى (الإتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا العظمى والصين) الذين عقدوا اجتماعات عديدة تمهد لمؤتمر اتلانتيك سيتى حول الإتصالات عن بعد ، توصلوا إلى التمييز بين الإذاعة على الموجات الطويلة والموجات المتوسطة وبين البث على الموجات القصيرة ، وأقروا بأن استخدام الموجات الطويلة والمتوسطة فى البث الإذاعى يجب أن يتم فى إطار منظمات إقليمية على مستوى كل قارة ، أو أجزاء من القارة ، بينما يجب أن يكون تخصيص واستخدام الترددات العالية على مستوى عالمى ، سواء فى ذلك مايتعلق بالجوانب التقنية أو بالمشكلات الثقافية والقانونية التى قد تترتب على محتوى هذه البرامج .

— التفكير فى إقامة شبكة أوربية للإذاعة

فى نشوة الإنتصار سنة ١٩٤٥ ، طرح الإنجليز فكرة قيام « تحالف أوربى للإذاعة » يكون له شبكته الخاصة من المحطات التى تعمل جنبا إلى جنب بجوار الشبكات الوطنية ، على أن تسمح هذه الشبكة بالتعبير الحر لمختلف تيارات الفكر الأوربى ، وتضمن المشروع البريطانى إمكان تشكيل لجنة من المتحالفين لتنسيق البرامج . أما بخصوص فترة ما بعد الحرب ، فيتم دعوة الدول الأوربية المحايدة للإنضمام لهذا التحالف الذى سوف تبث برامجه بوساطة عدة محطات إرسال تنتشر فى أوربا ، مما سوف يسمح باستقبال هذه البرامج فى أية نقطة على مستوى القارة .

وقد فكروا كذلك فى إقامة مركز قوى للبث على الموجات القصيرة بمدينة طنجة ، يمكن من خلال محطات لها هوائيات موجهة ، أن تبث مختارات من البرامج الأوربية لكى

تصل إلى العالم كله . ولقد تم تحديد مدينة طنجة مركزا لهذا البث ، ليس فقط لموقعها الجغرافى المتميز بين القارات ، ولكن أيضا بسبب وضعها الدولى . مجمل القول ، أن الإنجليز قد اقترحوا على حلفائهم - بما فيهم الإتحاد السوفييتى - إنشاء إذاعة موجهة متعددة الجنسية ، وظل هذا المشروع بطبيعة الحال بدون تنفيذ .

وغداة الحرب العالمية ، بدأت الأمور تتضح ، وأدى انقسام العالم إلى كتلتين إلى استئناف الإذاعة عملها . فقد « استهدفت الحرب الباردة فعلا الصراع الأيديولوجى واستعانت بوسائل البث والاتصال فى الهجوم » (٢٩).

— الحرب الباردة تمتد إلى دول أوربا الغربية

كانت المواجهة الإذاعية فى الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٥ مواجهة روسية - أمريكية بالدرجة الأولى . ولم تكن لدى إذاعات الدول الأوربية الأخرى الرغبة ولاالقدرة على الدخول فى هذه الحرب الإذاعية المكلفة والمشكوك فى نتائجها . بيد أن الأمريكيين قد ترددوا بعض الشىء قبل الدخول فى هذه المعركة ، فقد كانوا ينفرون من الدعاية الحكومية ، فى بلد كل وسائل الإعلام فيه تتركز فى أيدى مؤسسات خاصة ، والحكومة فيه غير مستعدة للهيمنة على محطة للإذاعة الموجهة يكون لها وزنها . وبعد الحرب بقليل ، أوقفت السلطات الأمريكية نشاط مكتبها الإعلامى (٣٠) الذى كانت مهمته - فى أثناء الحرب - إعداد برامج اذاعة شمال أمريكا ، وبخاصة فى مجال البرامج الدولية على الموجات القصيرة .

وبعد انتهاء الحرب مباشرة ، خصصت برامج أمريكا الموجهة للخارج للعمل الثقافى ، وتقلصت منها الدعاية السياسية . وأنشأت السلطات الأمريكية - بصفة موقوتة - إدارة خاصة للإشراف على البرامج الموجهة على الموجات القصيرة (٣١) ، من مهامها إعداد برامج إذاعية لمن يطلبها من منظمات الإذاعة فى خارج أمريكا .

ولقد دارت مناقشات عريضة فى الولايات المتحدة عما إذا كان من الملائم الإستمرار فى هذه البرامج الموجهة ذات الصبغة الحكومية ، وتوصلوا - ربما - إلى ضرورة وقف نشاط « صوت أمريكا » . وهنا يجب أن نتذكر أن الولايات المتحدة لم تلجأ إلى الإذاعة الموجهة إلا عندما تدخلت الإذاعة فى الحرب فعلا ؛ ومن ثم ، بدأت أمريكا تتنبه إلى أن الإذاعة الأجنبية للأنباء يمكن أن تكون لها أهداف أخرى . وفى النهاية ، وقف الكونجرس فى سنة ١٩٤٨ ، فى جانب تشريع خاص بإنشاء خدمة رسمية للإعلام عبر البحار تضم إليها « صوت أمريكا » ، وكذلك مايتعلق بالصحافة والسينما والكتاب ، وبذلك تكون الدولة مسئولة عن كل المواد الإعلامية بما فيها الراديو والخدمات الأخرى من خلال إدارة تابعة لها (٣٢) . وبالفعل ، أصبح صوت أمريكا تابعا لهذه الإدارة منذ سنة ١٩٤٦ .

ولم ينكر المسئولون فى أمريكا أن الحكومة الفيدرالية يجب أن تدير الإذاعة الموجهة :

«إن الإذاعة على الموجات القصيرة والإذاعة الموجهة على الموجات الطويلة لم يستخدمها الأفراد أبدا بسبب عدم مردوديتها . لذلك فإن الدولة يجب أن تتخذ مبادرات جديدة فى هذا المجال لتوسيع دائرة نشر الأخبار والتعارف المتبادل بين الشعوب » .

وعلى الرغم من مقاومة البعض من أعضاء الكونجرس ، خصصت الحكومة الفيدرالية ميزانية ضخمة للعمل الإذاعى الخارجى . ولما كان « صوت أمريكا » يسمع فى أوربا الغربية فى أثناء الحرب ، فقد كان له مستمعون عديدون وكان عليه أن يكسب معركة الموجات فى أوربا الشرقية وفى الإتحاد السوفييتى . وقد بدأت أمريكا البرامج الروسية الموجهة للإتحاد السوفييتى فى سنة ١٩٤٧ ، وعندما اندلعت الحرب الباردة ، اصطبغت موضوعات « صوت أمريكا » بالأيديولوجية بدلا من محاربة الشيوعية .

وفى سنة ١٩٤٨ ، حصلت الإدارة المعنية بالإذاعة على ميزانية إضافية لتحسين خدمة « صوت أمريكا » ، وعمت الحرب الباردة العالم ، وامتدت إلى كافة البلاد ، ولم يبث الصراع الأيديولوجى من خلال الموجات وقفا على أراضى الإتحاد السوفييتى والولايات المتحدة . ففى شهر أغسطس سنة ١٩٤٨ ، بدأ « صوت أمريكا » فى بث عشرة برامج جديدة بلغات أجنبية هى : العربية والفارسية والتركية والنرويجية والسويدية والفنلندية والهولندية والبرتغالية والأكرانية ولغة الدانمارك ، وزادت نسبة

البرامج التى يوجهها صوت أمريكا للدول الشرقية بنسبة ٥٠ ٪ ، وبذلك وصل عدد اللغات المستخدمة فى البرامج الموجهة لصوت أمريكا إلى ٣٢ لغة .

ولقد ترتب على هذه الزيادة فى عدد ساعات البث الخارجى أن زادت الميزانية المخصصة للإعلام فارتفعت من ع [illegible] لايين دولار.إلى ٢٨ مليونا . وشاهد العمل الإذاعى الموجه تطورا مستمرا بعد ذلك حتى وصل مجموع عدد ساعات البث سنة ١٩٥١ إلى ٣٥١ ساعة فى الأسبوع ، وبلغت نسبة الزيادة فى عدد ساعات البث فى سنة ١٩٥١ فقط ٦٢ ٪ بالمقارنة بمثيلتها فى سنة ١٩٥٠ ، ووصل عدد اللغات المستخدمة فى البث إلى ٤٦ لغة .

كذلك كان الأمر فيما يتعلق بالجوانب التقنية التى تطورت أيضا . ففى سنة ١٩٥٢ ، كان صوت أمريكا يستخدم فوق أراضيه ٣٨ محطة للبث على الموجات القصيرة ، إلى جانب محطات للتقوية والترحيل مقامة فى أوربا خاصة بالموجات المتوسطة والموجات القصيرة ، ومحطات مماثلة فى كل من آسيا وأفريقيا . وللوصول بكفاءة إلى الدول الشرقية ، أقيمت فى ميونخ محطة قوية للموجات القصيرة والمتوسطة . وكانت محطة إرسال ميونخ تقوم بتقديم برامجها ليس فقط باللغة الروسية ، ولكن أيضا بلغات أخرى من بينها البلغارية والتشيكية والسلافية والألمانية والمجرية والرومانية والبولندية والعربية والإيطالية والأسبانية .. ويبدو أن البرامج باللغة الروسية كانت تبث بوساطة أكثر من ٦٠ محطة انجليزية وأمريكية مقامة فى أوربا . ومنذ شهر مايو سنة ١٩٤٩ والبرامج الموجهة باللغة الروسية تبث دون انقطاع ، ٢٤ ساعة فى ٢٤ ساعة ، فقد كان لصوت أمريكا محطة قوية للبث فى مدينة «ووفرتويد» (٣٣) فى بريطانيا العظمى ، وفى مدينة طنجة بالمغرب ، وفى سالونيك باليونان ، وفى جزيرة رودس . أما فوق القارة الآسيوية والمحيط الأطلنطى فقد كان لصوت أمريكا محطات فى أوكيناوا وفى الفيلبين وفى كولومبو وفى فيتنام ، وكانت المحطة المقامة فى مونروفيا (٣٤) تغطى القارة الأفريقية (٣٥) .

وإلى جانب الاستوديوهات والخدمات الرئيسية فى واشنطن كانت لإذاعة صوت أمريكا استوديوهات أخرى متفرقة فى العالم . وقد يفسر ذلك أن نسبة كبيرة من البرامج التى توجهها هذه الإذاعة باللغة العربية للشرق الأوسط تعد وتبث من جزيرة رودس .

وفى الأول من شهر يونيه سنة ١٩٤٧ ، وإرضاء للإتحاد السوفييتى ، وافقت فرنسا على وقف استخدام صوت أمريكا للمحطات الموجودة فى الجزائر ، والتى كانت موجهة لوسط أوربا وأوربا الشرقية .

ولما كانت هذه المحطات قد أقيمت فى أثناء الحرب ، فإن ذلك لم يهدد جهد الولايات المتحدة فى البث الموجه إلى الدول الشرقية ، وسعت الإذاعة الأمريكية إلى تدعيم المحطات التابعة لها وبخاصة المحطة الموجودة فى برلين الغربية (٣٦) والتى تم تشغيلها عام ١٩٤٦ ، وقامت بدور هام فى أثناء الأزمات المتتابعة التى حلت ببرلين.

وإلى جانب هذه المحطة الرسمية للحكومة الفيدرالية ، كانت هناك مبادرتان خاصتان ، إلا أن المخابرات الأمريكية كانت فى واقع الأمر توجههما ، وإن كان ذلك يتم عن بعد ، وهما إذاعة أوربا الحرة (٣٧) وراديو الحرية (٣٨) واللتان أقيمتا فى ميونخ وتقدمان برامج موجهة للدول الشرقية .

جملة القول أن هناك خمس محطات للإذاعة الأمريكية كانت تبث برامجها من أراضى جمهورية ألمانيا الفيدرالية (٣٩) .

أما على المستوى الهندسى فقد كان لصوت أمريكا فى ميونخ محطة إرسال للموجات الطويلة قوتها ١٠٠٠ كيلو وات ، ومحطة للموجات المتوسطة قوتها ٣٠٠ كيلو وات .

ولقد بدأت إذاعة أوربا الحرة نشاطها فى شهر يوليه سنة ١٩٥٠ ببث برامج موجهة للديمقراطيات الأوربية الشعبية : بلغاريا والمجر وبولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا . وفى البداية ، كان تمويل المحطة - على حد قول المصادر الرسمية - يتم بوساطة مؤسسات متنوعة ومساهمات خاصة . ولكن عندما اتضح أن المخابرات الأمريكية تختفى وراء هذا التمويل ، اختارت الحكومة الأمريكية فى سنة ١٩٧٣ أن تمول المحطة مباشرة . وكان لإذاعة أوربا الحرة ٣٢ محطة تستخدم الموجات المتوسطة والقصيرة ، وكانت قوتها الإجمالية ٢٢٤٥ كيلو وات ، وكانت هذه المحطات منتشرة فى ألمانيا الفيدرالية والبرتغال ، وتقدم برامجها لمدة ٨٠ ساعة يوميا .

ولقد عانى راديو الحرية وكانت تسانده منظمة خاصة (٤٠) تضم مواطنين أمريكيين مشهورين ، مثلما عانت إذاعة أوربا الحرة . وكانت بداية نشاط المحطة التى بدأت بإسم أكثر التزاما وهو راديو التحرير) (٤١) فى شهر مارس سنة ١٩٥٣ . وكانت برامج راديو الحرية موجهة فقط إلى المستمعين فى الإتحاد السوفييتى ، وباللغة الروسية وثمان عشرة لغة شائعة فى جمهوريات الإتحاد ومنها : اللغة الأوكرانية والأوسيت والكازاخ والتركمان والتشاتانية والأوبذيك (......)(٤٢).

وكانت هذه الإذاعة تقدم برامج تستغرق ٥١٩ ساعة فى الأسبوع . وكان البرنامج المذاع باللغة الروسية ، اللغة الرئيسية للمحطة ، يقدم ٢٤ ساعة فى ٢٤ ساعة يوميا مع إعادة له بسبب الفرق فى التوقيت (١١ ساعة) ، من خلال سبع عشرة محطة للموجات القصيرة منتشرة فى ثلاثة أماكن على مستوى العالم : فى ألمانيا الفيدرالية وأسبانيا وفورموزا .

وفى أثناء فترة الحرب الباردة ، ظهر توحد اقتصادى وعسكرى وأيديولوجى بالنسبة للكتلتين . ولم يكن غريبا إذن مشاهدة حلفاء الولايات المتحدة يشتركون فى هذه الحرب الإذاعية ، وهو ماقامت به فرنسا وبريطانيا العظمى وكندا واستراليا ، وكان مديرو الإذاعات الغربية يلتقون بصفة منتظمة ، ولكن يحتمل أن يكون دور البى بى

سى فى ذلك من أكثر الإذاعات فاعلية . فإلى جانب احتفاظها بصداقيتها وبمستمعيها الذين اكتسبتهم فى أثناء الحرب ، احتفظت الإذاعة البريطانية فعلا بطابعها الحيادى الذى يتميز بالابتعاد عن أى جدل سياسى أو مهاترات لغوية ، والذى يعتبر شيئا نادرا فى وقت الأزمات كما هو الحال فى أثناء الحرب الباردة .

ولم ينج الإتحاد السوفييتى من حرب الموجات هذه ، وكان رده سريعا سواء فى الهجوم أو فى الدفاع ، باللجوء إلى زيادة عدد برامجه الموجهة للخارج من جانب ، والتشويش على البرامج الغربية الموجهة إلى الإتحاد السوفييتى وإلى الديمقراطيات الشعبية من جانب آخر . ولقد أصيبت المنشئات الإذاعية للإتحاد السوفييتى فى أثناء الحرب إصابة بالغة ، وكان على موسكو أن تنتظر فترة كافية لتجهيز المعدات اللازمة لمواجهة الدعاية الغربية . وكان للإتحاد السوفييتى خبرة طويلة فى مجال الإذاعة الموجهة.

ومنذ ذلك الحين ، وهذا النشاط لايتوقف عن التطور فى إطار ما قاله لينين : « الإذاعة صحيفة بدون ورق لاتعوقها المسافات » .

وظلت موسكو المركز الرئيسى للإذاعة السوفييتية ولخدماتها على مستوى القارة الأوربية وفيما وراء البحار . ولكن الخدمات الفرعية للإذاعة كانت توجد فى الأقاليم فى مقر إذاعات الجمهوريات السوفييتية المختلفة ، فى كييف وريجا وطشقند وباكو وجاباروفسكى (٤٣) .

وفى مركز البث الدولى فى موسكو ، توجد محطات قوية للموجات القصيرة حيث تقدم بعض البرامج الموجهة بلغات أجنبية من خلال محطات للبث على موجات طويلة ومتوسطة مسموعة فى البلاد والأراضى المراد الوصـول اليها .

وهكذا نجد أن محطات الموجات المتوسطة فى لينجراد وريجا وتالين (٤٤) تعتبر همزة وصل بالنسبة لمعظم الخدمات الموجهة إلى اسكاندينافيا وفنلندا ، بينما تقوم المحطات

الموجودة فى كيتشنيف ولنوف (٤٥) بالدور نفسه ولكن بالنسبة للبرامج الموجهة ليوغسلافيا ورومانيا . وترتبط محطة الموجات الطويلة فى منسكى (٤٦) . بالمركز الرئيسى للموجات القصيرة بالنسبة للبرامج الموجهة إلى المجر والمانيا وباكو (والتى تستخدم الموجات الطويلة أيضا) والموجهة إلى الأراضى الإيرانية باللغة الفارسية .

وهناك عدة محطات تقوية وترحيل خاصة بالبرامج الموجهة إلى الشرق الأقصى. وتستخدم هذه المحطات الموجات المتوسطة والطويلة من المنطقة الشرقية فى الإتحاد السوفييتى ، وبخاصة المحطات الموجودة فى تشيتا وخابروفسكى وكومسملسكى وفلاديسفوستك ويولان باتور وديدين ويبوتغيان (٤٧) .

ويقوم مركز الإذاعة فى طشقند (فى أرزبكستان) بنشاط مميز ، إذ ينقل البرامج الإخبارية التى توجهها موسكو باللغة الإنجليزية إلى جنوب شرقى آسيا ، ومن البنغال إلى إيران . أما إذاعة باكو ، فإنها تقدم برامج مستقلة باللغتين الفارسية والتركية .

وفى سنة ١٩٤٨ ، بث الإتحاد السوفييتى ٥٢٤ ساعة أسبوعيا برامج موجهة فى ٢٣ لغة . وفى سنة ١٩٥٠ ، ارتفع عدد ساعات برامج إذاعة موسكو الموجهة إلى فرنسا وبريطانيا العظمى وايطاليا والولايات المتحدة . والملاحظ هنا ، أنه كلما زادت حدة التوتر فى العلاقات بين الشرق والغرب زاد حجم البرامج الموجهة من الإتحاد السوفييتى والديمقراطيات الشعبية إلى العالم الغربى.

وفى الواقع ، تميز العقد الخامس بالتفوق الأمريكى فى مجال الإذاعة الموجهة ، إلا أن السوفييت استطاعوا أن يحققوا تقدما ملحوظا فى العقد السادس ، واستطاع الإتحاد السوفييتى أن يحتل الترتيب الأول قبل نهاية الستينيات من حيث عدد محطات الإرسال وقوتها ومن حيث عدد اللغات المستخدمة فى البث الإذاعى .

ولم تترك السياسة الإذاعية للإتحاد السوفييتى أى شىء للصدفة أو للتطور التلقائى ، فقد كان كل شىء مدروسا بعناية ودقة فى ضوء السياسة الخارجية للإتحاد السوفييتى .

وفى سنة ١٩٦٩ ، كانت قوة محطات الإرسال السوفييتى المعترف بها رسميا ١٣٦٧٠ كيلو وات ، ولكن بعض الخبراء فى الدول الغربية قدروا قوة هذه المحطات بأنها فى الحقيقة ١٥٠٠٠ كيلو وات . وكانت هذه المحطات موزعة فوق أراضى الإتحاد السوفييتى وبعض الدول الشرقية . وقد بذل الإتحاد السوفييتى جهودا جبارة تثير الدهشة فى مجال الإذاعة وكانت له سياسته الإذاعية المحددة . فقد كان الإتحاد السوفييتى مهتما بالحفاظ على المنطقة الخاضعة لتأثيره وتدعيمها ، وبأن تغطى برامجه كل الدول فى منطقته ، حتى ولو كان لساعات محدودة ، إلا أنه لم يكن ليسمح لهذه الدول - فيما عدا بعض الإستثناءات - أن توجه بدورها أى برامج للإتحاد السوفييتى . أى أن الإذاعة فى داخل المعسكر الإشتراكى كانت فى الغالب فى اتجاه واحد : من القوة الحامية إلى الدول التى تحميها .

وفى أثناء الأزمات ، كان الإتحاد السوفييتى يهتم اهتماما خاصا بالبرامج الموجهة إلى أوربا الشرقية . وهكذا ، ارتفع عدد ساعات البث الموجه إلى تشيكوسلوفاكيا فى فترة « ربيع براغ » وفى أثناء أزمة تشيكوسلوفاكيا من ساعة ونصف الساعة إلى ١٢ ساعة يوميا .. وبالإضافة إلى ذلك ، بدأت بولندا والمجر - ولم تكن لهما حتى الآن أى برامج موجهة لتشيكوسلوفاكيا - بدأت الدولتان بث برامج تشيكية لمدة ساعتين ونصف الساعة يوميا ، وأخرى باللغة السلافية لمدة ساعتين يوميا . أما رومانيا . التى بدأ يتضح عدم استطاعتها الحصول على استقلالها ، فقد زادت البرامج السوفييتية الموجهة إليها من ثلاث ساعات إلى خمس ساعات يوميا .

أما عن الحملة التى شنتها ألمانيا ضد السوفييت - وخصصت لها سبع ساعات ونصف الساعة يوميا - فإن الإتحاد السوفييتى لم يأخذها محمل الجد ولم يواجهها إلا بثلاث ساعات .

وقد كان لوضع الإذاعة بين الإتحاد السوفييتى والصين الشعبية طبيعة أخرى ، إذ يمثل الجبهة الساخنة الحقيقية للموجات . وكان عنف الصراع الإذاعى يظهر بوضوح من خلال الوقت الذى يكرسه الجانبان للبث والوسائل المستخدمة لذلك ، فقد كان الإتحاد السوفييتى يبث برامج موجهة للصين الشعبية لمدة ٣٠٠ ساعة يوميا فى لهجات صينية متعددة . وكانت الصين الشعبية تقوم من جانبها ببث برامج موجهة للإتحاد السوفييتى باللغة الصينية وفى لغات الأقليات الآسيوية لمدة ٤٨ ساعة يوميا.

وعندما هدأت حدة التوتر ، خفت وطأة البرامج السوفييتية الموجهة لأوربا الغربية. وفى المقابل ، حاول راديو موسكو استخدام عدة أساليب للوصول إلى المستمع فى شمال أمريكا .

وعلى أى حال ، تركزت مجهودات السوفييت فى مجال الإذاعة فى الستينيات على العالم الثالث بوجه خاص . ففى عام ١٩٦٩ ، كانت الإذاعة السوفييتية تبث برامج موجهة للشرق الأوسط فى ست لغات ، وفى عشر لغات افريقية لجنوب الصحراء الكبرى، وفى ١٤ لغة لشبه القارة الهندية ، وفى سبع لغات لجنوب شرقى آسيا وفى لغتين للهنود الأمريكيين . وفى هذا المناخ - المهم جدا بالنسبة للهند وافريقيا - كانت الإذاعة السوفييتية عن بعد أكثر الإذاعات أهمية فى العالم .

وفى نهاية الستينيات تفوق الإتحاد السوفييتى على الولايات المتحدة على مستوى محطات الإرسال وحجم البرامج ويوضح ذلك الجدولان التاليان :

جدول رقم (١)

عدد اللغات المستخدمة فى البث من خلال الإذاعات الموجهة

(فيما خلا اللغات القومية)

المنظمة	صوت أمريكا	البى.بى سى	موسكو	بكين	المانيا	القاهرة	فرنسا
عدد اللغات	٣٥	٣٦	٧٠	٣٣	٢٧	٣٣	١٥

جدول رقم (٢)

مقارنة بين حجم البرامج الموجهة من الإذاعات المختلفة باللغات الأجنبية أسبوعيا

الهيئة	عدد ساعات البرامج		عدد ساعات التردد	
	ق	ت	ق	ت
راديو موسكو	١٥	١٥٢٩	٢٥	٩٧٤٦
راديو بكين	٣٥	١٠٤٢	٠٦	٥٣٠٤
صوت أمريكا	٤٥	٧٠٣	٣٠	٣٣٠٥
البى بي سى	١٠	٤٩٧	٣٠	٢٠٥٤
الدويتش فيلى	٤٥	٣٦٦	١٥	٧٨٧
راديو القاهرة	١٠	٣٢٣	٢٥	٣٧٠
راديو فرنسا	٣٥	٩٦	٤٥	٤٢٠

وبالإضافة إلى ما سبق تضخمت عملية بث البرامج الموجهة التى كان يقوم بها الإتحاد السوفييتى للخارج ودعمتها البرامج الموجهة من دول الكتلة الشرقية . وكانت إذاعة موسكو الموجهة تقوم بعملية التنسيق وتنظيم العمل بين هذه الإذاعات ، وكان ذلك يتم بلاشك من خلال التشاور المستمر ، وقد حددت - فى الغالب - مهمة خاصة لكل دولة شرقية فى مجال الإذاعة الموجهة . ويمكن ملاحظة جهود الديمقراطيات الشعبية بصفة خاصة عند حدوث المقاطعة بين يوغسلافيا التابعة لتيتو وبين ستالين (فى الفترة من ١٩٤٨ - ١٩٤٩) .

ـ التصدى للإذاعات الموجهة

للتصدى للإذاعات الموجهة ، استعان السوفييت بثلاث وسائل وقائية يكمل بعضها البعض (٥١) ، أولها : منع الإستماع للإذاعات الأجنبية ، ثم الإبقاء على أجهزة استقبال الراديو ذات الأسلاك والتى لاتسمح بالتقاط البرامج الغربية ، وكذلك التشويش .

ومن بين هذه الوسائل ، نجد أن عملية التشويش هى وحدها التى يمكن أن تمنع فعلا استقبال برامج الإذاعات الغربية ، جزئيا على الأقل ، فالواقع ، من الصعب التحكم فى الإستماع للبرامج الأجنبية والدليل على ذلك الإستماع لإذاعة البى بى سى فى أثناء الحرب ، على الرغم من العقوبات التى فرضتها ألمانيا . أما فيما يتعلق بأجهزة الإستقبال، فإن الاتحاد السوفييتى والجمهوريات الشعبية لم تستطع أن تواجه التطور التقنى المستمر الذى يطرأ على أجهزة الراديو ، وبخاصة : ظهور الترانزستور. فقد انطلق الإتحاد السوفييتى والدول الشرقية الأخرى - بعد شىء من المقاومة الأيديولوجية - فى إنتاج سريع لأجهزة الراديو العادية .

ولكن فى مقابل ذلك ، استمر استخدام التشويش مع تدعيمه . وكان التشويش قد بدأ منذ سنة ١٩٤٧ ضد بعض برامج صوت أمريكا . وفى سنة ١٩٤٨ طبق فى براغ نظام خاص للتشويش ، وأقيمت شبكات أخرى فى ألمانيا الشرقية وفى الإتحاد السوفييتى للغرض نفسه .

ويمكن للتشويش أن يكون متقطعا غير دائم واختياريا ، أو مستمرا وعاما . ولم يتوقف عدد محطات التشويش عن الزيادة حتى وصل إلى ٤١٦ محطة فى الثمانينيات . ويجدر التنويه أيضا عن أن التشويش يمكن أن يجعل برنامج ما غير مسموع فى فترة معنية .

ولكن ، بسبب انتشار الموجات ، فإن قوة محطات الإرسال الغربية وعدد الترددات المستخدمة ، مكنت الإذاعات الغربية دائما من الوصول إلى مستمعيها فى الدول الشرقية .

ورداً على التشويش الذى كانت تقوم به دول الكتلة الشرقية على برامج الدول الغربية بدأت أمريكا هى الأخرى التشويش على البرامج السوفييتية الموجهة للغرب ، إلا أن ذلك لم يستمر طويلا نظرا لأن الإستماع لإذاعة الدول الشرقية لم يكن يثير اهتمام الغرب .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإتحاد السوفييتى لم يكن يلجأ إلى التشويش إلا بالنسبة للبرامج التى تبث بلغات يتحدثون بها فى الإتحاد السوفييتى وفى الديمقراطيات الشعبية ، أى أن البرامج التى تبث بالإنجليزية من البى بى سى ومن صوت أمريكا لم يكن التشويش يعترضها . كذلك كان الأمر بالنسبة للبرامج الموجهة إلى دول البلطيق ، وكان المستمعون السوفييت فى هذه المنطقة يستقبلون برامج إذاعة فنلندا غير الموجهة ، لذلك كان التشويش غير مجد بالنسبة للأخبار التى تبث على الموجات القصيرة ، لأن التقاطها من الإذاعات المجاورة كان ممكنا .

المبحث التاسع

الحرب الباردة : حرب أيديولوجية

بدأت الدعاية الغربية تصل الجماهير العريضة فى الإتحاد السوفييتى منذ عام ١٩٥٠ . وكانت أجهزة الإستقبال الإذاعى المعدة لالتقاط الموجات القصيرة نادرة فى هذه الآونة ، ولايزيد عددها عن المليونين فى كل الأراضى السوفييتية . وفى الخمسينيات ، أصبحت الإذاعة وسيلة جماهيرية ، فقد ارتفع عدد الأجهزة فى سنة ١٩٥٥ إلى ستة ملايين ، وإلى عشرين مليونا وإلى ٣٥ مليونا فى سنة ١٩٦٠ وإلى ٣٥ مليونا فى سنة ١٩٦٤ على التوالى . وقدر عدد الاجهزة المعدة لالتقاط الموجات القصيرة فى الإتحاد السوفييتى فى سنة ١٩٧٥ بحوالى ٥٠ مليونا .

- قلق قادة الدول الشرقية من الإذاعات الموجهة من الغرب .

بدأ نجاح الإذاعات الأجنبية - سواء فى الإتحاد السوفييتى أو فى الديمقراطيات الشعبية يثير قلقا ملموسا لدى القادة السوفييت وحلفائهم . حتى ذهبوا - فى عام ١٩٦٠ - إلى تجريم الإستماع للإذاعات الغربية واعتبروا ذلك « جريمة أيديولوجية » .

ويرجع هذا الخوف من الإعلام الأجنبى بلا شك إلى الدور الهام الذى تعطيه الأنظمة الاشتراكية للعقيدة . ومن الحقيقى أيضا أنه أنى أثناء الفترات التى كان يسودها التوتر لم تكن الإذاعات الغربية تقدم فقط الأخبار التى يود القادة الشيوعيون إخفاءها عن شعوبهم ، بل كانت ترسم أيضا صورا مظلمة للوضع فى الدول الشرقية ، وتصور قادة هذه الدول على أنهم : « فسقة ومخادعون وطائشون » (٥٢).

ومن جهة أخرى ، كان قادة الدول الشيوعية فى عيون المعلقين فى الدول الغربية فى فترة الحرب الباردة لايمثلون شعوبهم ولن يدوموا طويلا . وعندما تغير اسم « راديو التحرير » (٥٣) وأصبح اسمه « راديو الحرية » (٥٤). كان لذلك معنى فى هذا الموضوع ، وكان ذلك مايراه « فوستر دالاس » (٥٥) بخصوص الدول الشرقية واقتفت اثره فى هذا الاتجاه مجموعة العالم الغربى .

- أهداف العمل الإذاعى الموجه من الولايات المتحدة

فيما يتعلق بأهداف العمل الإذاعى للولايات المتحدة ، يبدو أنه كان هناك اتجاهان فى أوساط القادة الأمريكيين :

١ - المتشددون الذين يرون ضرورة تحقيق النصر التام على الشيوعية والقضاء على الأنظمة الشيوعية الموجودة ،

٢ - وآخرون - وينشدون الضغط المستمر على الأنظمة الشيوعية لكى تتحرر - يميلون إلى تحقيق السلام (٥٦) .

وفى بداية الأمر ، كانت المهمة التى أنيطت بإذاعة أوربا الحرة وبراديو الحرية هى إعلام الشعوب فى أوربا الشرقية . وكان واضحا - رغم ذلك أن بعض المسئولين فى أمريكا - وبخاصة فى جهاز المخابرات (CIA) - ويرون أن الهدف الأول لهذه الاذاعات كان تأجيج غضب شعوب هذه الانظمة وإضعاف الحكومات الشيوعية . ففى مقر المخابرات الامريكية ، « ادعى أنصار التشدد بأن إذاعة أوربا الحرة كانت مسئولة إلى حد كبير عن الانتفاضة الاجتماعية التى حدثت فى بولندا ، والتى أدت فى سنة ١٩٥٦ إلى وصول « فلاديسلاف غومولكا » (٥٧) إلى الحكم ، ووراء الثورة التى قامت فى المجر سنة ١٩٥٧ ، ووراء سقوط الرئيس التشيكى « انتونين نوفوتنى » (٥٨) فى سنة ١٩٦٧ . إلا أن بعض المراقبين فى المخابرات الامريكية - رفضوا الاعتقاد بأهمية دور الإذاعيين بالنسبة لهذه الاحداث الدرامية ، وفى المقابل أكدوا على أهمية الدور الذى قامت به الاذاعتان فى عملية تحويل بطيئة لإنهاء الستالينية ، وتجاه ما يمكن أن يكون تحريرا لبعض دول أوربا الشرقية (٥٩).

– اهتمام الرئيس الامريكى بالإذاعة الموجهة للدول الشرقية

أبدى الرئيس الأمريكى « ايزنهاور » اهتماما خاصا بالبرامج الإذاعية الموجهة للدول الشرقية ، وكان يرى ذلك واجبا ، فإنه « على أمم العالم الحر أن تمد هذه الشعوب الواقعة خلف الستار الحديدى بكل ما يمكن من أخبار عن الواقع التاريخى والإنجازات ، وآراء وأمانى الشعوب التى لايعرفون عنها شيئا أو ما ندر ، وكان الرئيس الأمريكى السابق مقتنعا بأنه « فى اليوم الذى ستعرف فيه الشعوب الشيوعية الأخبار مثل الأمم الحرة ، سيسود الغضب والانتفاضة والثورة هذه المئات من الملايين باحثة عن الحياة ، مما قد يؤدى ربما إلى اصلاحات فى الهيكل الحكومى أو إلى سقوط مباغت للدكتاتوريات الشيوعية » (٦٠) .

تأصيلا على ما سبق ، فإن العالم الغربى ، وعلى رأسه الولايات المتحدة ، خصصت للبرامج الإذاعية مهمة محددة هى قلقلة وربما القضاء على ، الأنظمة الشيوعية، وبالمراجعة التاريخية ، يتضح أن هذا الهدف لم يتحقق . ولكن ، فى فترة الحرب الباردة والمواجهة بين الكتلتين ، لم يكن مستحيلا انهيار الأنظمة الشيوعية فى أوربا الشرقية .

– صورة الولايات المتحدة فى العمل الإذاعى الموجه من أمريكا للخارج

قام المسئولون عن العمل الإذاعى الموجه فى أمريكا بتحديد صورة الولايات المتحدة وسياستها الدولية المراد نقلها للخارج بدقة ومهارة ، وتحددت لهذه الصورة الخطوط العريضة التالية :

١ - الأمريكان شعب طيب ،

٢- أمريكا كريمة وليست لها أطماع ،

٣ - أمريكا ديمقراطية ، ويؤمن الأمريكيون بحرية الرأى والتعبير . وفى الديمقراطية الأمريكية تعيش السلالات وكل الطوائف فى سعادة ،

٤ - يأخذ الأمريكيون بحرية الشعوب الأخرى ، وحكومة وشعب الولايات المتحدة لايقدمان أية مساعدة لسياسة استعمارية ، والولايات المتحدة ليست امبريالية وتنشد السلام .

وفى البرامج الموجهة كانت أمريكا تركز أيضا على السمات الروحية والثقافية للحياة الأمريكية ، وكذلك على سلامة النظام الإقتصادى فى الولايات المتحدة الذى يسمح بتوفير مستوى عال لمعيشة كل المواطنين .

- مضمون الدعاية الداخلية والخارجية للسوفييت

وردا على هذه الحجج ، قدم السوفييت وحلفاؤهم فى دعايتهم الداخلية والخارجية الأنظمة الغربية على أنها سلطات فى خدمة الرأسمالية الدولية . ولذلك ، فإن حكومة الولايات المتحدة والحكومات الغربية الأخرى ليسوا سوى عملاء (٦١) .

ولحساب الكونجرس الأمريكى ، تم حصر ودراسة موضوعات الدعاية الخارجية السوفييتية فى أثناء الحرب الباردة واتضح تردد الموضوعات التالية فى الدعاية السوفييتية بكثرة فى أثناء الحرب الباردة :

١ - الصراع بين الكتلتين ، بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى ، صراع دائم وشامل ، ولايمكن الوقوف على الحياد ، إما أن نكون داخل معسكر أو آخر ،

٢ - عندما يتخذ الإتحاد السوفييتى موقفا عدائيا ، فذلك لأنه يخشى تهديدات الولايات المتحدة ،

٣ - الدول الغربية تتبنى دوما موقفا سلبيا ،

٤ - المشكلة الكبرى للعالم المعاصر هى السلاح النووى ،

٥ - الملايين على مستوى العالم تعتنق الشيوعية عن رغبة قوية ،

٦ - الشيوعية ناجحة مادامت تأخذ بالعدالة من أجل التقدم الإجتماعى ،

٧ - الشيوعية فى الإتحاد السوفييتى تساعد البلاد التى تسعى للحصول على استقلالها وحريتها ،

٨ - الإتحاد السوفييتى يعمل لصالح السلام بينما يأخذ الغرب جانب الحرب (٦٢) .

أما فيما يتعلق بالنظام الأمريكى ، فقد ركزت الدعاية السوفييتية على الجوانب التالية :

- من أجل اختبار ترسانتها المسلحة ، تبحث الولايات المتحدة عن ميادين وقواعد جديدة ، وتطور فى هندستها العسكرية ،

- الأقليات السياسية والعنصرية ليست لها حقوق مشابهة للجماعات الأخرى، والمعارضة تلتزم جانب الصمت ،

- يحاول الرجعيون إلغاء النقابات ،

- الاضرابات والبطالة والتضخم والمشكلات الإقتصادية تثبت ضعف النظام الرأسمالى بصفة عامة (٦٣) .

- الحرب الباردة بين الشيوعية والرأسمالية

فى أثناء فترة الحرب الباردة ، كان توجيه العمل الإذاعى الخارجى يمكن تحديده ببساطه بالنسبة للشرق كما هو بالنسبة للغرب . فقد كان يوجد فعلا معسكران ، يضطر كل منهما اختيار مايخصه ، وكانت الحرب الباردة على المستوى الفكرى . وكانت الدعاية بوساطة الإذاعة بالنسبة لكل منهم تهدف ، ليس فقط إضعاف موقف الخصم ، ولكنها كانت تهدف كذلك إزالة نفوذ العدو . وكانت الإذاعات الغربية تردد موضوع تحرر الدول الشرقية من قبضة الشيوعية ، بينما تعلن الإذاعة السوفييتية ومحطات المعسكر الإشتراكى الإنهيار القريب للنظام الرأسمالى .

ويبدو أن موت ستالين فى سنة ١٩٥٣ كان نقطة تحول رئيسية . حقيقة ، لم يتم بين يوم وليلة ، ولكن نغمة راديو موسكو أصبحت أكثر اعتدالا . وفورا ، بدأت الكلمات العنيفة تختفى شيئا فشيئا من موجات الإذاعة الموجهة للشرق وللغرب ، وأصبح الأمر بالنسبة للمستمع للبرامج الموجهة اتجاها لتقلص الدعاية « المخططة » والتى كانت أحيانا

« ساذجة » . وبوجه خاص ، كان أول المؤشرات على التغيير من جانب الإتحاد السوفييتى نهاية المعارك الإذاعية ضد نظام « تيتو » فى البرامج الموجهة ليوغسلافيا .

و« يمكن أن يظن عند الإستماع للإذاعات الرئيسية للشيوعية والرأسمالية ، أن الغريمين قد تعبا من الحرب الكلامية الحمقاء التى دلرت فى أعقاب المعركة ، ومن هذا التراشق الملحمى بالسباب (...) ، يمكن الاعتقاد بأن الخوف من الحرب الذرية والهيدروجينية كانت البداية لتعقل المسئولين فى أكبر دولتين فى العالم المعاصر» (٦٤).

كذلك ، كان العالم يأخذ طريقه تدريجيا إلى ما سمى بعد ذلك « عصر خفوت التوتر » أو « عصر الهدوء النسبى » . ولاجدال فى أن حرب الإذاعة بين الشرق والغرب قد كسبها الغرب ، إلا أن ذلك لايعنى أنه كسب الحرب الأيديولوجية ، مادامت الدول الغربية لم تستطع عبور فترة زوال الإستعمار التى أعطت أهمية كبيرة للإتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية ، والتى ظهرت على أنها المدافع الوحيد عن الشعوب المظلومة التى تكافح للحصول على أستقلالها .

وفعلا ، اذا كانت الإذاعة الغربية قد كسبت جمهورا عريضا من المستمعين ، فإن موضوعات الدعاية السوفييتية - وشاركتها فى ذلك شبكات أخرى - سادت الرأي العام فى الغرب وفى دول العالم الثالث .

ففى حقيقة الأمر ، كان الإستماع للإذاعات الشيوعية فى الدول الغربية استثنائيا، بينما كانت الإذاعات الغربية أهم مصادر الأخبار بالنسبة للطبقة المثقفة (٦٥) فى الدول الشرقية . ومنذ وصوله إلى الحكم ، اجتهد « خروتشوف » فى تحجيم الخسائر باللجوء إلى التشويش والضغط السياسى معا . بل أصبحت مسألة البرامج الغربية الموجهة للدول الشرقية موضوعا خلافيا فى مقر القيادة السوفييتية فى أثناء الصراع على السلطة بين خروتشوف ومالنكوف فى سنة ١٩٥٥ .

ومن جهة أخرى ، بادر خروتشوف إلى وقف التشويش عن الإذاعات الغربية بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفييتى سنة ١٩٥٦ ، والذى حدد بداية النهاية للستالينية . ويرجع الفضل إلى الإذاعات الغربية فى معرفة السوفييت والمواطنين فى الجمهوريات الشعبية لجرائم ستالين . وقد يظهر من وقف التشويش عن البرامج الغربية أن خروتشوف قد أراد تدعيم مركزه داخليا فى الإتحاد السوفييتى وخارجيا أمام الدول الغربية لكى يبدو رجلا ليبراليا .

ولكن شهر العسل كان قصيرا . فسرعان ما انفجرت مشكلة المجر التى جعلت السوفييت يلجأون إلى أجهزة التشويش مرة أخرى فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ (٦٦) .

ولكى يغطى الإتحاد السوفييتى تدخله العسكرى لجأ إلى إسلوبه الإذاعى المعتاد: الإنتفاضة المجرية حركة بورجوازية مضادة يحرضها عملاء رأسماليون يرغبون فى تحطيم إنجازات الدولة الإشتراكية الحديثة . واتهم الإتحاد السوفييتى إذاعة أوربا الحرة ، أداة الإمبرياليين الغربيين ، بأنها دفعت الجماهير إلى العصيان . وفى الوقت نفسه ، كانت هناك اتهامات فى أوربا والولايات المتحدة بأن السياسة الأمريكية قد دفعت « الشعوب الأسيرة » فى أوربا الشرقية للثورة ولم تساندهم بالسلاح .

ولم يعط التحليل الذى طبق على برامج راديو أوربا الحرة فى أثناء الفترة التى سبقت أحداث المجر أية دلالة يمكن أن تشير إلى الحث المباشر على الثورة . ولكن الاستمرار فى التصريحات التى تؤكد على أن الغرب يعارض وبشدة الإستمرار فى الاستغلال الشيوعى للشعوب الخاضعة ، قد أوضح للمستمعين لإذاعة أوربا الحرة أن الولايات المتحدة ستكون فى مساعدتهم عندما يعلنون الثورة (٦٧) .

ومن جهة أخرى ، فقد وُقّعت بعد هذه الأحداث جزاءات على بعض العاملين فى إذاعة أوربا الحرة ، بل تم عزل وطرد بعض المسئولين فيها على اثر الاحداث السابق ذكرها ولم تمنع المشكلة المجرية خروتشوف من متابعة البحث عن اتفاق مع الولايات المتحدة ،

وسلكت موسكو لذلك عدة أساليب دبلوماسية فى سبيل تحقيق تسوية إذاعية مرضية مع الغرب .

وهكذا أعلن خروتشوف ، فى حوار له على شاشة شبكة « السى بى إس » الأمريكية فى يونيه سنة ١٩٥٧ ، أنه مستعد لإلغاء التشويش عن برامج صوت أمريكا اذا ما عدلت هذه البرامج وأصبحت أقل عداء للإتحاد السوفييتى .

ودار العديد من المحادثات بين موسكو وواشنطن بخصوص التشويش على البرامج الأمريكية ، وكان ذلك بوجه خاص خلال المباحثات التى دارت بشأن التبادل الثقافى بين البلدين فى أثناء إقامة المعرض الأمريكى الكبير فى موسكو سنة ١٩٥٩. ولكن خروتشوف أوقف التشويش على صوت أمريكا بمناسبة زيارته للولايات المتحدة فى سبتمبر سنة ١٩٥٩ . وفى أثناء مباحثاته فى كامب ديفيد مع الرئيس ايزنهاور ، أثار خروتشوف موضوع اتفاق حول ضرورة الحد من البرامج الإذاعية الموجهة إلى الدول الشرقية مقابل وقف التشويش على البرامج الأمريكية ، ولكن الولايات المتحدة رفضت هذا الإقتراح (٦٩) .

وأصبح التشويش على البرامج الغربية يتم بعد ذلك فى فترات متقطعة إلا أنه توقف بشكل تام بالنسبة لبرامج الإذاعة الفرنسية ، بعد أن تبنى الجنرال شارل دى جول - على مراحل - سياسة الإنفتاح تجاه الشرق . وبدأت الحكومة الفرنسية تتابع عن قرب مضمون برامج الإذاعة الفرنسية (٧٠) الموجهة إلى الدول الشرقية ، وغالبا ما كان يقوم باعداد هذه البرامج رجال ونساء تركوا بلادهم هربا من النظام الشيوعى . ولم يكن من المستغرب أن يؤدى هذا التحول الفجائى فى الإتجاه إلى أن تفقد البرامج الفرنسية الموجهة للدول الشرقية جمهورا من مستمعيها .

وقد أصبح التشويش يتم انتقائيا على برامج البى بى سى وصوت أمريكا ومرتبطا بمضمون البرنامج أو الدولة الموجه إليها . ولكن هذا الهدوء النسبى الذى ساد

الإذاعة لفترة لم يدم طويلا بسبب ضرب طائرة تجسس فى أجواء الإتحاد السوفييتى فى مايو سنة ١٩٦٠ (وهى القضية التى عرفت باسم « يو » (٧١) واستخدم التشويش مرة أخرى وبأقصى درجاته ، واستمر ذلك حتى سنة ١٩٦٣ مع فترات للتشويش المكثف صاحبت أزمة كوبا فى سنة ١٩٦٢ وغيرها من فترات التوتر . وكان خروتشوف قد صرح لبعض الزوار الأمريكيين بأن بعض أعدائه ومنافسيه فى المكتب السياسى باللجنة المركزية يستغلون الإذاعات الغربية ضده (٧٢) . وهكذا يمكن اعتبار موضوع التشويش على البرامج الأجنبية مشكلة دبلوماسية سوفييتية على المستوى الخارجى ، وأداة فى الصراع على السلطة على المستوى الداخلى .

وعلى الرغم من كل ذلك ، نجح الإتحاد السوفييتى فى بداية الستينيات أن يصل فى ميدان العمل الإذاعى إلى مستوى الولايات المتحدة ، واستطاع أن يعوض تأخره بسبب الحرب . وقد حددت الخطة السابعة التى بدأت فى سنة ١٩٥٨ أهدافا طموحة فى مجال الراديو والتليفزيون ، واستطاع الإتحاد السوفييتى أن يحققها جميعها ، بل ويتخطاها (٧٣) ، وسجلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى (٧٤) فى جدول أعمالها يوم ٢٩ يناير سنة ١٩٦٠ المشكلات الخاصة بالإذاعة السوفييتية سواء فى الداخل أو فى الخارج .

ولقد أثارت اللجنة المركزية الموضوع مرة أخرى فى نهاية سنة ١٩٦٢ . ونص فى البيان الذى نشر بعد الدورة أن « اللجنة المركزية للحزب الشيوعى قد لاحظت أن تأثير الإذاعة والتليفزيون على شعب الإتحاد السوفييتى والدول الأجنبية يزداد سنة عن سنة ».

وفيما يتعلق بالبرامج الموجهة بوجه خاص ، قدمت اللجنة توصياتها للمسئولين عن هذه المواد بقولها : « يؤخذ فى الإعتبار وبدقة خصائص كل دولة ومجموعة من الشعوب، ويعرض بالتفصيل جوانب الحياة والسياسة الداخلية والخارجية للإتحاد السوفييتى ، ويتم عرض إنجازات النظام الإشتراكى العالمى وكفاح الشعوب من أجل السلام والديمقراطية والإشتراكية ، ويتم عرض الأهمية الدولية لتجربة الشيوعية فى الإتحاد السوفييتى من كل جوانبها ، والكشف عن السياسة غير الوطنية فى الدول الإمبريالية ، وإظهار الحب

والمساعدة الأخوية فى الإتحاد السوفييتى ، والتى يتبادلها بين الشعوب،يمكن أن يحقق نجاحا ملحوظا فى مجالات التنمية الثقافية والإقتصادية والسياسية للشعوب فى كافة الجمهوريات والأقاليم ذات الإستقلال الذاتى وفى المناطق الوطنية للدول » .

وإلى جانب ذلك ، أعطت اللجنة المركزية توجيهات محددة فيما يتعلق بتطوير البرامج الموجهة للخارج . فقد طالبت بالإنتباه بوجه خاص إلى « الزيادة الجذرية لحجم البرامج وتحسين محتواها من خلال « الفصل الدقيق بين البرامج الموجهة للدول الآسيوية والأفريقية وأمريكا اللاتينية » . وبخصوص البرامج الموجهة لأوربا الغربية وأمريكا واليابان « أن يؤخذ فى الاعتبار أن تطور التليفزيون فى هذه الدول يتطلب برامج إخبارية قصيرة خلال الفترة النهارية على أن تكرر الأخبار الهامة والتعليقات » . وأوصت اللجنة من جانب آخر بأن « تستخدم الإذاعة العادية الموجهة للخارج ، والتى تنظمها النقابات السوفييتية واتحاد الهيئات السوفييتية للتآخى والعلاقات الثقافية مع الخارج ، واللجنة السوفييتية للدفاع والحرب ، ولجنة منظمات الشباب والمنظمات الإجتماعية الأخرى ، وكذلك اللجنة الخاصة بالإذاعة فى مختلف الجمهوريات السوفييتية » .

وهكذا دخل الإتحاد السوفييتى معركة جديدة للإذاعة على أمل تعويض الوقت الضائع وكسب المستمع الداخلى الذى اعتاد الإستماع للإذاعات الغربية ، والمستمع الخارجى - وبخاصة فى دول العالم الثالث - الذى أصبح يمكنه الإستماع إلى هذه الإذاعة بفضل الترانزستور .

وفى أثناء الحرب الباردة على المستوى الأيديولوجى بين المعسكرين ، كانت الغلبة للولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى ، وتصدرت كل منهما حرب الإذاعات لصالح معسكرها الخاص . إلا إن هذا لايقلل من دور الدول الأخرى . ففى سنة ١٩٤٨ ، أجرت البى بى سى استطلاعا للرأى أشارت نتائجه إلى أن البرامج الدولية الأساسية تأتى بالترتيب التالى وفقا لأهميتها : بريطانيا العظمى - الولايات المتحدة - روسيا - فرنسا - استراليا - هولندا - بلجيكا - كندا - يوغسلافيا - تشيكوسلوفاكيا - إيطاليا - اسبانيا - البرتغال - رومانيا - تركيا - بلغاريا - بولندا - المانيا .

ـ الإذاعة والصراع الأيديولوجي في آسيا وافريقيا

في أثناء هذه الفترة ، كان العالم الثالث بعيدا عن اهتمام القوى العظمى بالإذاعة . وتركز الصراع الأيديولوجى فى أوربا وأمريكا ، وبشكل ما فى آسيا مع التحول الذى كان يحدث فى الشـرق الأقصى .

وفى الخمسينيات ، ظلت أوربا الشرقية الهدف المميز للإذاعة الدولية . ولكن سوف يصبح الشرق الأقصى والشرق الأدنى والمغرب فيما بعد الأرض المفضلة للمواجهة الإذاعية. فإن الحرب فى كوريا وفى فيتنام والأزمات العسكرية فى الشرق الأدنى ، والانتفاضات فى أفريقيا الشمالية من أجل الحصول على الإستقلال ، قد واكبتها جميعا حرب إذاعية من خلال الموجات تذكرنا أحيانا بأسوأ اللحظات فى الصراع العالمى الأخير .

وفى آسيا ، سوف تواجه إذاعة صوت أمريكا ومحطات التقوية والترحيل الخاصة بها الدعاية الصينية والدعاية السوفييتية معا . وسوف تؤازر البى بى سى الأمريكيين ، اذا تذكرنا أن للإذاعة البريطانية جمهورها العريض من المستمعين فى هذه المنطقة ، وبوساطة استراليا التى كانت قد طورت برامجها الدولية الموجهة لجنوب شرقى آسيا والجزر الموجودة فى المحيط الأطلنطى . وكانت اليابان من جانبها قد بدأت برامجها الموجهة فى سنة ١٩٥٥ ببرامج باللغتين الصينية والروسية بوجه خاص .

واندفعت الصين من جانبها فى السباق الإذاعى منذ وصول الشيوعيين إلى الحكم فى سنة ١٩٤٩ . ومع هذا ، كان لابد من الإنتظار إلى الستينيات لكى نشاهد جمهورية الصين الشعبية تحتل مكانا على الموجات الدولية . وقد لجأت بكين أولا إلى حماية نفسها ليس فقط من خلال التشـويش على برامج « صوت الصين الحرة » (٧٥) من فورموزا ، ولكن أيضا بالتشويش على برامج صوت أمريكا وراديو استراليا والبى بى سى .

الفصل الرابع

الهدنة وأيديولوجية حقوق الانسان

المبحث العاشر : نزع سلاح الموجات : من عصبة الأمم إلى هيئة الأمم المتحدة .

المبحث الحادى عشر: الإذاعات الغربية وضعف الدول الشرقية أمام أيديولوجية حقوق الإنسان .

المبحث الثانى عشر : التدفق الحر للإعلام وخلخلة النظام فى المعسكر الاشتراكى .

المبحث العاشر

نزع سلاح الموجات

من عصبة الأمم إلى هيئة الأمم المتحدة

تعرضت الإذاعة منذ بداية نشأتها لرأيين ، حتى لانقول لفلسفتين ، فيما يتعلق بالدور الذى يمكن أن يكون لها بالنسبة للعلاقات الدولية . فقد كان من الضرورى - بالنسبة للبعض - التفاوض بشأن وضع تشريع دولى للإذاعة لتحديد واجبات الدول والضمانات التى تحقق ذلك . وكانت هناك فئة أخرى ترى عدم فرض قيود على سيادة الدول فيما يتعلق بالبرامج ، إلا ما يمس الإستماع . وكان أصحاب الاتجاه الثانى يؤيدون الحرية الكاملة لكل دولة ، ليس فقط فيما يتعلق ببث البرامج دون قيود ، ولكن أيضا باتخاذ اجراءات لحماية نفسها - إذا لزم الأمر - من البرامج الموجهة إليها بالاستعانة بالتشويش أو بإقرار عدم الاستماع ؛ وفاز الرأي الأخير . فعلى المستوى التقنى لايوجد بوليس دولى فى الأثير لمراقبة البث على الموجات القصيرة . وعلى المستوى السياسى لم تكن هناك رؤية دولية بخصوص محتوى البرامج.

- حرية الإعلام فى المواثيق الدولية

دارت كل المفاوضات الدولية حول المشكلة الخاصة بعدم إمكانية المواءمة بين الخلافات الجوهرية بين الدول حول حرية الإعلام وموقف الحكومات إزاءها . وخلال المناقشات التى دارت فى إطار مؤتمر جنيف فى سنة ١٩٣٦ ، وبعد ذلك فى سنة ١٩٤٧ فى اتلانتيك سيتى ، قدمت بعض الدول اقتراحات من أجل سن قانون دولى للبرامج الإذاعية يؤدى تطبيقه فى الحقيقة إلى إلغاء هذه البرامج .

ولقد أصبحت المشكلة حديث الساعة فى الخمسينيات . فلقد أدت الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، وحرب كوريا ، والحرب الهندوصينية فى آسيا ، والوضع فى المغرب ، والصراع فى الشرق الأدنى ، أدى كل ذلك إلى رفع درجة التوتر بشدة فيما يتعلق

بالإذاعة ، مما ترتب عليه تدخل من قبل هيئة الأمم المتحدة (١) . وهكذا ، أخذت الجمعية العمومية للأمم المتحدة المبادرة في إحياء الوثيقة التى تبنتها عصبة الأمم (٢) فى سنة ١٩٣٦ . وفى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٥٤ ، اتخذت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قرارا يتضمن إستمرار تطبيق ما جاء فى ميثاق جنيف فيما يخص الإذاعة ، وأن هذا الميثاق يشكل « عنصرا هاما فى مجال حرية الإعلام » . وكلف السكرتير العام للأمم المتحدة بدراسة مشروع بروتوكول يأخذ فى الاعتبار « مواد جديدة » واشترط أن تمتنع الأطراف المتصارعة الكبرى عن بث البرامج الإذاعية التى تشكل هجوما غير عادل أو تتضمن قذفا لشعوب الدول الأخرى أيا كانت ، وعندئذ ، تكون الإذاعة متماشية تماما مع المطالب الأخلاقية لصالح السلام الدولى عندما تقدم الحقائق بدقة وبموضوعية ، وهذه المواد من شأنها أيضا أن تمنع الأطراف الكبرى المتعاقدة من إقامة عوائق - فوق أراضيها - أمام البرامج الإذاعية الأجنبية .

وكان المؤتمر الدولى للترددات العالية الذى عقد من قبل فى المكسيك فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٩ قد تبنى - بطلب من السكرتير العام لليونسكو - وثيقة توصى باستخدام الإذاعة الدولية لصالح السلام ، وقد وافق مؤتمر المكسيك فعلا على الحل التالى:

« الإقبال الشديد على الإذاعات ذات التردد العالى التى تساهم بدرجة كبيرة قدر الإمكان فى التنمية والتفاهم الدولى والسلام ، يوصى المؤتمر بألا تستخدم الترددات التى ستوزع بوساطة المؤتمر لأغراض تنافى التفاهم والتسامح المتبادل ... » .

ويمكن التوقف هنا لكى نتساءل عن أهمية وضع تقنين دولى للإذاعة يمكن أن يشكل خطرا لأنه يمس حرية الإعلام . وكانت الدول تميل إلى البحث عن وسائل تساعد فى الحياد المتبادل ، وبالتالى ، فى تنقية كل إذاعة مما يؤذى أية إذاعة أخرى ، دون الإهتمام بحرية الإنسان وحقوقه .

وعلى الرغم من كل ذلك ، فان حرية الإعلام حق جوهرى والنصوص التى أشارت إلى ذلك فى المواثيق الدولية عديدة .

فقد نص الإعلان العالمى لحقوق الإنسان والمواطن فى ٢٦ أغسطس سنة ١٧٨٩ فى مادته الحادية عشرة على أن « حرية الفكر والرأى من أثمن حقوق الإنسان ، وكل مواطن يمكنه إذن أن يتحدث ويكتب ويطبع بحرية ، إلا فيما يتعلق بالحالات التى يحددها القانون » .

ولقد نص فى ميثاق الأمم المتحدة فى المادة التاسعة عشر للإعلان العالمى لحقوق الإنسان أن « كل فرد له حرية التعبير عن الرأى ، وبالتالى الحق فى ألا يقلق إزاء آرائه ، والحق فى أن يبحث ، دون اهتمام بالحدود ، وأن يستقبل ، وأن ينشر المعلومات والأفكار بأى وسيلة من وسائل التعبير » .

وفى مادته العاشرة ، نص الميثاق الأوربى لحقوق الإنسان كذلك على أن « كل فرد له الحق فى حرية التعبير . وهذا الحق يشمل حرية الرأي وحرية استقبال أو إرسال معلومات أو آراء دون أن يكون الفرد مضطرا للحصول على تصريح من السلطات ، وبصرف النظر عن الحدود السياسية » .

١ - وفى الميثاق الدولى المتعلق بالحقوق المدنية والسياسية الذى تم الأخذ به فى سنة ١٩٧٦ ، أكدت المادة التاسعة عشر هذا الحق الذى ينص على أنه لايحق لأى فرد أن يقلق إزاء آرائه .

٢ - لكل فرد الحق فى حرية التعبير ، وهذا الحق يتضمن حرية البحث ، واستقبال ونشر معلومات وآراء من أى نوع ، وبصرف النظر عن الحدود ، بالأسلوب الشفاهى ، أو المكتوب ، أو المطبوع ، أو الفنى ، أو بأى وسيلة أخرى يختارها .

وهكذا تم وضع الأساس . ولكن كانت هناك عدة مشاكل عند التطبيق . فقد كان من الصعب الفصل بين الإعلام والدعاية ، وبالتالى ، بين الإعلام والتدخل فى الشئون الداخلية للآخرين ، وهو ما كان يحدث فعلا في مجال الإذاعة الموجهة . ألا يعتبر إعلام الرأى العام فى دولة أجنبية عن النظام السياسى فى هذه الدولة ، والأخطاء التى يقترفها النظام الحاكم فيها تدخلا ؟ كذلك فإن الإعلام الذى يبث يمكن أن يهدد الوحدة الوطنية داخل الدولة الموجه إليها هذا الإعلام . فالحكومات تشرف على الإذاعات الموجهة وتنتقى أخبارها من خلال بعض الإستثناءات . « وهكذا يمكن لحكومة ما أن تضلل الرأى العام وتثيره ضد الدولة الأجنبية ، وليس هناك أخطر من ذلك على التعاون الدولى والحفاظ على السلام » (٣) .

ولقد صوت الأعضاء فى أحد المؤتمرات لصالح هذا الموضوع وصدر قرار بذلك (٤) يحدد بدقة عناصر المشكلة « حرية التعبير عن الأفكار ، سواء من خلال القول أو الكتابة ، تمثل شرطا أساسيا لتنمية الرأى العام العالمى النشط واليقظ أمام أى محاولة اعتداء ؛ وأخطر مايهدد الإنسانية ما تمارسه الحكومات الشمولية عند حجب الإعلام الخارجى عن شعوبها ، والتجربة الرئيسية التى خرجنا بها من الحرب العالمية الأخيرة ، أنه لم يعد فى الإمكان تحقيق الحرية ، والسلام ، والأمان ، إذا لم نوفر للبشر سبل معرفة الحقيقة بوساطة مختلف وسائل الإعلام العامة » (٥) .

ولقد تمت دراسة هذا الموضوع طويلا فى مؤتمر جنيف الخاص بحرية الإعلام (وكانت قد اشتركت فيه ٥٤ دولة ، وعقد فى الفترة من ٢٣ مارس إلى ٢١ ابريل سنة ١٩٤٨ ، بتوصية من المجلس الإقتصادى والإجتماعى للأمم المتحدة) . وفى هذا المؤتمر، اتخذت عدة قرارات من بينها أربعة عشر قرارا بخصوص حرية البث والإستقبال للإعلام ، ووافق المشتركون فيما يخص حرية الإستماع للإذاعة على القرار التالى :

« مؤتمر الأمم المتحدة الخاص بحرية الإعلام الذى يأخذ بأن إقرار حرية تبادل الإعلام والآراء يساهم فى رفاهية كل الأمم ، ولاغنى عنها لتحقيق السلام فى العالم ، يوصى بأن تعطى الحكومات لكل مواطنيها حق امتلاك وتشغيل أجهزة استقبال الراديو على كل

الموجات بأطوالها المختلفة المستخدمة للإذاعة ، على المستوى القومى والعالمى ، بدون أى ضغوط أو تهديد ، وبشرط احترام القوانين العامة التى تحكم التصريح وحقوق الإنتاج .

وقد ناقشت الأمم المتحدة عدة مرات هذا الموضوع وتمت الموافقة على عدة نصوص ، إلا أن هذه النصوص كانت متناقضة . وهكذا تبنى المجلس الإقتصادى والإجتماعى فى سنة ١٩٦٠ نصا يخص حرية الإعلام جاء فى مادته الأولى : « حق المعرفة وحق البحث عن الإعلام بحرية » ولكن المادة الخامسة اشترطت أن يتحدد هذا الحق فى إطار «متطلبات الأمن القومى ، والنظام العام ، والأخلاق ، والرفاهية العامة فى مجتمع ديمقراطى » (٦) .

ومنذ ذلك الوقت ، وأى حكومة يمكنها أن تتعلل « بمتطلباتها » للحد من حرية الإعلام . ولقد تضمنت نصوص الأمم المتحدة صورا تعسفية أخرى ، وكان القرار الذى صدر فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٦٨ فيما يخص حرية الإعلام قد ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير . فقد اعترفت هذه الوثيقة بأن الإجراءات المختلفة التى كانت الأمم المتحدة قد أقرتها منذ سنة ١٩٤٧ فيما يتعلق بالحفاظ على حرية الإعلام ، مازالت غير كافية .

ومن المؤكد أن الأسس الرئيسية لحرية الإعلام كانت مقبولة ، ولكن هيئة الأمم المتحدة لم تتوقف منذ إنشائها عن تجريم أى شكل من أشكال الدعاية لدولة ضد أخرى . ففى قرار اتخذ فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٧ جرمت الجمعية العمومية للأمم المتحدة « كل دعاية موجهة من أية دولة كانت ، تشكل أو تشجع أى تهديد للسلام ، أو تصدع السلام، أو تشجع أى عمل عدائى » .

وفى أثناء انعقاد مؤتمر جنيف فى سنة ١٩٤٨ درس موضوع الدعاية جنبا إلى جنب مع حرية الإعلام ، ولقد أدانت الدول التى حضرت هذا المؤتمر بشدة « أى تهديد للسلام ، وخلخلة السلام ، أو أى عمل عدائى ، وأى تزييف أو تحوير للأخبار » .

وهذه المادة التى تتناول القذف الدولى والدعاية الحربية » قد وافقت عليها الدول الشرقية والغربية بالاجماع . ومنذ ذلك الحين ، يمكن أن نتساءل عن جدوى هذه المادة وبخاصة عند التطبيق الفعلى وذلك فى ضوء اختلاف مفهوم حرية الإعلام ومفهوم الدعاية بين الشرق والغرب .

وغالبا ماتكون الدول التى تحكم بنظام الحزب الواحد هى التى ترفض الإعتداء والتدخل الإذاعى فيما يتعلق بشئونها الداخلية. وعلى الرغم من ذلك ، فالحقيقة أن هذه الحجة قد طرحتها أيضا الديمقراطيات التعددية ، وبخاصة فرنسا وبريطانيا العظمى فى فترة زوال الاستعمار .

ولقد جاء فى المادة رقم عشرين من الميثاق الدولى للحقوق المدنية والسياسية والذى صدر فى سنة ١٩٧٦ مايلى :

١ - أى دعاية لصالح الحرب ممنوعة بقوة القانون ،

٢ - أى دعوة للكراهية الوطنية ، والعنصرية الدينية تشكل تحريضا على التفرقة والعداوة والعنف ممنوعة بقوة القانون » .

وكان موضوع البرامج الموجهة يتضمن غالبا الحديث عن الدعاية والتخريب ، لذا لم تتردد بعض الدول عن الحديث عن التخريب والعنف ، ووصف البرامج الإذاعية الموجهة بأنها عنيفة . ولقد صدر قرار فى الأمم المتحدة فى الأول من ديسمبر سنة ١٩٤٩ يوصى الدول أن « تكف عن أى تهديد أو أى فعل ، مباشر أو غير مباشر ، يهدد الحرية، والإستقلال أو النظام فى أية دولة كانت » .

ولقد شبه « التخريب » فى نص آخر (أقر فى ٧ نوفمبر ١٩٥١) بأنه « اعتداء خارجى فى حالة ما إذا كان يهدف إثارة المشكلات لصالح قوة أجنبية » .

ومن جانب آخر « الإعلان عن تدعيم الأمن العالمى » والذى أقرته الجمعية العمومية فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٧٠ » يؤكد بشدة أن الدول يجب أن تحترم تماما سيادة

الدول الأخرى ، وحق الشعوب فى تقرير مصيرها بعيدا عن كل تدخل خارجى فى صورة إكراه أو إجبار ، وبخاصة عندما يشكل هذا التدخل تهديدا ، أو استخدام العنف بأسلوب مباشر أو غير مباشر ، وأن تترفع الدول عن أية محاولة من شأنها خلخلة الوحدة الوطنية لأى دولة سواء جزئيا أو تماما .

ويؤكد هذا الإعلان من جانب آخر على أن « على كل دولة أن تترفع عن تنظيم أو تشجيع أى فعل من شأنه إثارة حرب أهلية أو أعمال إرهابية فوق أراضى دولة أخرى ، أو المشاركة فيها أو تشجيعها » .

وللتصدى للإعتداء الخارجى عن طريق البرامج الإذاعية ، كانت بعض الدول تلجأ إلى التشويش على هذه البرامج مستندة على حق الدفاع الشرعى على الرغم من رفض الأمم المتحدة لهذا الموضوع ، والذى درسته طويلا اللجنة الفرعية لحرية الإعلام والصحافة التى شكلتها لجنة حقوق الإنسان سنة ١٩٥٠ .

وظل الحل الذى طرح بعد ذلك فى المجلس الإقتصادى والإجتماعى وفى الجمعية العمومية موضع نقاش طويل . وقد دار هذا النقاش حول نقطتين متعارضين : فلقد أخذت بعض الوفود بأن التشويش وسيلة دفاع مشروعة ضد البرامج الموجهة التى تشكل دعاية معادية ، وساندت هذه الوفود وجهة النظر القائلة بأن الدولة لها حق الدفاع عن نفسها ضد هذا النوع من الدعاية مثل محاربة التجارة غير المشروعة للمخدرات والمطبوعات المخالفة للأخلاقيات فوق أراضيها . وكانت وجهة النظر المقابلة ، والتى تبنتها غالبية الوفود ، أن الدول لاينبغى أن تقيم حواجز من أى نوع أمام حرية تدفق الأخبار . فمن رأيهم أن المستمع يجب أن يتمكن من الحكم على قيمة البرنامج وأن يتوقف عن استقباله إذا لم يعجبه . واعتبروا التشويش انتهاكا للإتفاقيات الدولية الخاصة بالإذاعة .

ولقد تبنت الدول الشرقية الدفاع عن التشويش كإجراء خاص بالحماية تحت إسم سيادة الدول وفى إطار مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية .

ولكن ، فى هذه الآونة ، كانت الدول الغربية تشكل أغلبية فى الأمم المتحدة ، مما أدى إلى التصويت ضد التشويش على البرامج الموجهة بنسبة ٤٩ صوتا مقابل خمسة .

وهكذا فازت وجهة النظر المعادية للتشويش . وأدانت الوثيقة التى وقعت فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٥٠ « أى محاولة من هذا النوع بوصفها رفضا للقانون ، الذى يتيح لكل فرد أن تصله الأخبار والآراء والأحكام بدون أى اعتبارات للحدود و « دعوة حكومات كل الدول الأعضاء أن تترفع عن حرمان شعوبها من الحق فى حرية الإعلام » .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن إدانة التشويش كانت محكومة بالمطالبة بالاعتدال . ولقد دعا القرار فعلا « بألا تقوم الحكومات ببث برامج إذاعية تشكل هجوما غير عادل أو أى قدح ضد أى شعب آخر ، وأن تلتزم بشدة - لصالح السلام العالمى - بالمبادىء الأخلاقية عند سرد الوقائع كما هى وبموضوعية » .

ـ التمييز ما بين الدعاية والإعلام

وإلى جانب المسألة الخاصة بالسيادة على الموجات الإذاعية ، كانت هناك مشكلة تتعلق بالفصل ما بين الدعاية والإعلام (٧)، فقد كانت الدول الشرقية ، وبخاصة الإتحاد السوفييتى ، لاتوافق على أى تحديد لصلاحية الدول فيما يخص السيادة على الموجات الإذاعية ، بينما كانت الدول الغربية موافقة على تقييد السيادة لفترة طويلة حتى لايتعرض النظام الداخلى للدولة للخطر . وعلى ضوء الاختلافات بين هذين النوعين من المجتمعات ، لم يكن يبدو ممكنا أن يتفق الطرفان على تحديد الشيىء الذى يشكل تهديدا للنظام الداخلى وتعريفه .

أما عن الفصل بين الدعاية والإعلام ، فلكل فريق أسلوبه فى الدعاية ، ولم يحدد القانون الدولى تقنينا لهذا الموضوع . فبالنسبة للدول الشرقية - على سبيل المثال - يعتبر كل برنامج يبث أخبارا لاتتماشى واتجاه النظام القائم ، دعاية عدائية تشكل

خطرا على التفاهم بين الشعوب . ولكن الإتحاد السوفييتى لايتعرض للدعاية التى تقوم بها أى حركة للتحرير . ومن جهة أخرى ، وتحت ضغط الدول الشرقية ودول العالم الثالث ، أقرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى نصوص عديدة الدعاية ضد الإستعمار وضد التمييز العنصرى فى جمهورية أفريقيا الجنوبية.وفى قرار اتخذ فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٧٢ ، دعت الجمعية العمومية بالفعل « الحكومات والمنظمات إلى تشجيع وسائل الإعلام للمشاركة فى حملة ضد التمييز العنصرى من خلال بث أكبر قدر من الأخبار عن مساوى التمييز العنصرى والمجهودات المبذولة على الصعيد العالمى للقضاء عليه » .

وفى نص آخر أقر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩٧٥ « التأكيد على أنه من اللازم بشدة وفورا - إقرار توفير أكبر قدر من الأخبار حول مضار وخطورة النزوع إلى الإستعمار وبخاصة حول كفاح الشعوب فى المناطق المستعمرة فى افريقيا للحصول على استقلالها ، وكذلك حول الجهود التى تبذل حاليا على الصعيد الدولى للمساهمة فى القضاء على آخر بقايا الإستعمار فى شتى صوره » .

وفى تقريره عن الإتصال الدولى - وبمبادرة من اليونسكو - لخص «ماك برايد» بدقة الحوار الدائر منذ الحرب العالمية الثانية على النحو التالى :

يشكل تعريف مفهوم حرية الإعلام العديد من المشكلات ، وبخاصة على المستوى الأيديولوجى والسياسى والقانونى وعلى المستوى اللغوى ، كذلك فى إطار أن التعبير ليس له حدود واضحة ، ويتسبب ذلك فى عدم التوصل إلى تعريف يمكن الأخذ به عالميا. فمادامت كلمة « حرية » هى التى اختيرت من بين عدد كبير من الكلمات وتستخدم كصفة ومقصد أو كستار لكل الأنظمة السياسية فإنها تشير جيدا إلى أن الأسس المتهمة نفسها معقدة وغير واضحة . وببساطة ، يبدو أن حرية الإعلام تتضمن : حرية البحث عن الأخبار والأفكار ، وحرية التعبير عن الآراء ، ونشر الأخبار بوساطة وسائل مختلفة ، وحرية استقبال الإعلام . وفى حالة ما إذا كان اتخاذ الآراء لايصبح ملموسا بالنسبة للآخرين إلا عند التعبير عن هذه الآراء ، فإن حرية التعبير تقطع حرية الرأى وتختلط

وتمتزج مع حرية الإعلام . وفى حالة ما إذا كان التعبير يعنى نشر ما نريد أن تقول ، فإن حرية التعبير تقطع حرية البث ، حرية تدفق الإعلام والمعارف والأفكار . أى أن مفهوم حرية الإعلام يتضمن عناصر متراكبة ومتكاملة وتتفاعل كل منها مع العناصر الأخرى ، ومن شأن ذلك أن تبوء بالفشل كل محاولة للفصل بينها .

واذا كان اختراع المطبعة وتطورها قد أضاف إلى حق القول والرأى حق التعبير وما يترتب عليه ، فإن حرية الصحافة وتطور وسائل الإعلام الجديدة فيما بعد، قد أعطى لمفهوم حرية الإعلام أهمية رئيسية . ووفقا لوجهة النظر هذه ، فإن ترتيب الحقوق الخاصة بالإعلام يمكن أن تأخذ إطارا وترتيبا زمنيا : الرأى والتعبير والإعلام . وفى الإمتداد نفسه ، وعلى ضوء التطور التقنى والتعدد المذهل لمصادر الإعلام ، يمكن إضافة حق تدفق الإعلام فى شتى صوره وفى كل مظاهره دون أن تؤخذ الحدود فى الإعتبار (٩).

وهنا ، يجب الاعتراف بعدم وجود إجماع دولى حول حرية الإعلام وتعريف الإعتداء فى مواد الدعاية الإذاعية . كذلك ليس من السهل تعريف خصائص الحرب العادلة والحرب غير العادلة ، ومن ثم ، صعوبة التمييز بين العمل الإذاعى المدمر المسموح به وعمل آخر يدان ، ونشير فى هذا الموضوع إلى المثال الأول للتشويش فى التاريخ فى مجال الإذاعة بوساطة حكومة «دلفوس » (١٠) فى سنة ١٩٣٤ لمنع الاستماع للدعاية الألمانية النازية فى النمسا . هذا المثال كان يشار إليه كثيرا فى الخمسينيات ، ليس فقط فيما يتعلق بالعلاقات الإذاعية بين الشرق والغرب فى أثناء الحرب الباردة ، ولكن عندما يكون الحديث أيضا عن العلاقات الإذاعية بين الشمال والجنوب مع بداية ظهور وانتشار حركات التحرر الوطنى .

وإذا كان الإتحاد السوفييتى قد أخذ المبادرة فى التشويش على برامج الدول الغربية الموجهة إلى أوربا الشرقية ، فإن فرنسا وبريطانيا العظمى قد قامتا بالتشويش على برامج الإذاعة المصرية الموجهة لافريقيا والشرق الأدنى ، فى الوقت الذى كانت فيه هذه المناطق لاتزال تحت سيادة فرنسا وبريطانيا .

وبعد أن كانت الأمانى تراود البعض بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، لم تنجح الدول فى التوصل إلى استخدام صحيح للبرامج الإذاعية الموجهة . كذلك لم تتوصل الدول إلى الوسائل التى يمكن أن تصد هذه البرامج وتمنعها من عبور حدود الدول ، وفشل كل حظر فى هذا الخصوص . وإذا حاولنا معرفة حصالة ما تم - ليس بوساطة الدول ، بل ما قامت به الإذاعة بوصفها أداة للعمل - فسوف نلاحظ أن دورها الفعال والبناء يفوق كثيرا دورها السلبى على العلاقات الدولية . وعلى الرغم من الإستخدام السيىء الذى يمكن أن يكون لهذه الوسيلة ، فإن دورها فى عرض الأفكار بحرية كان ومايزال دون منافسة .

المبحث الحادى عشر
الإذاعات الغربية وضعف الدول الشرقية
أمام أيديولوجية حقوق الإنسان

تبدو أهمية الإتصال فى العلاقات ما بين الشرق والغرب من خلال المعرك الأيديولوجية والدبلوماسية حول مشكلة حرية تدفق الإعلام ، واعتمادا على الدور الذى يمكن أن يوفره التقدم التقنى للغرب أو تفوقه فى هذا المجال ، وأرض المعركة نفسها تشير إلى تفوق الدول الغربية . ومع انتشار وسائل الإتصال الجماهيرية ، لم يجد الغرب أى حاجة فى الإستماع إلى « دقة الناقوس » المحذرة من الدول الشرقية ، وكان للرقابة دور وراء استماع المواطنين فى الدول الشيوعية إلى الوسائل الغربية (١١) ، فكان أن لجأت الدول الشرقية إلى التشويش لمواجهة ماتقوم به الدول الغربية .

- سلاح التشويش

يعتبر التشويش أقدم تقنية تستخدم لإعاقة التدفق الإعلامى ، والذى يعتبر - دائما - فيما عدا فى أثناء الفترات الحاسمة ، السلاح الذى بوساطته استطاع الإتحاد السوفييتى وحكومات شيوعية أخرى عزل مواطنيهم عن هذا الاحتكاك المعدى بثقافات المجتمعات المفتوحة خارج حدود بلادهم وأنماط الحياة فيها ، وهذا « اعتراف ضمنى باستحالة الرد منطقيا » .

والمشاهد هنا أن كثيرا من الأفراد يستمعون للبرامج على الرغم من التشويش «ربما أحيانا بسبب التشويش نفسه ، الذى يعطى لهذه البرامج الأجنبية طعم وإغراء الفاكهة المحرمة » (١٢) . أى أن التشويش لايضمن الحماية الكاملة ، بفضل كفاءة محطات الإرسال وتضاعف عدد الترددات ، فتصل البرامج الغربية دائما وتتغلغل فى المناطق غير المحمية .

وللحصول على تشويش فعال ، يتعين توافر الفين وخمسمائة محطة تصل تكلفتها السنوية إلى ٢٥٠ مليونا من الدولارات . وينفق الإتحاد السوفييتى والدول الشرقيـة فى عملية التشـويش على « راديو الحريـة » (١٣) وعـلى « إذاعة أوربا الحرة » (١٤) حوالى ضعف ماتنفقه الحكومة الأمريكيـة على تشـغيل المحطتين و « صوت أمريكا ». (وتبلغ مصروفات الحكومة الأمريكية على هذه المحطات ١٧٠ مليون دولار فى السنة).

وكانت ضخامة أجهزة التشويش التى أقيمت فى الدول الإشتراكية تعوق كذلك الإذاعة الإسرائيلية والألبانية والصينية (١٥) .

ولقد جاء فى مذكرات « جيرى بليكان » (١٦) ، المدير السابق للتليفزيون التشيكى ، أنه وفقا للأرقام الخاصة لسنة ١٩٦٨ ، نجد أن ما أنفقته تشيكوسلوفاكيا على التشويش كان يمكن أن يكفى لبناء محطة جديدة للتليفزيون الملون ، بكل الأجهزة والمعدات اللازمة لتشغيلها . وعندما توقف البولنديون عن التشويش لفترة فى سنة ١٩٥٦ ، بلغ قيمة ما وفروه ١٧ مليونا ونصف المليون من الدولارات ، أى ما يعادل – فى هذه الفترة – الميزانية العالمية لصوت أمريكا « فلا يبالغ إذن من يقول بأنه فى خلال الثلاثين عاما السابقة كلفت الجهود المكثفة للتصدى للإذاعات الغربية شعوب الكتلة السوفييتية آلاف الملايين من الدولارات » (١٧) .

وفى خلال فترة الحرب الباردة ، شاع التشويش على البرامج الغربية ، ففى أثناء كل أزمة بين الشرق والغرب كانوا يلجأون إلى عملية التشويش ، كما حدث فى أثناء أزمة المجر سنة ١٩٥٦ ، والسويس ، وأزمة كوبا فى سنة ١٩٦١ ، والحروب الإسرائيلية / العربية فى ١٩٦٧ وفى ١٩٧٣ ، والأزمات فى بولندا سنة ١٩٥٦ و ١٩٧١ و ١٩٨١ والاعتداء على تشيكوسلوفاكيا فى ١٩٦٨ ، وعلى أفغانستان فى سنة ١٩٨٠ وأزمة بولندا فى سنة ١٩٨١ .

وفى فترة ما بين الأزمات كان التشويش على البرامج الغربية يمثل بارومترا للعلاقات بين الشرق والغرب ، اتضح فى ظهور فترة فى الستينيات ساد فيها عدم التوتر

عندما توقف التشويش ، على الأقل بالنسبة للإذاعات التابعة للدول مباشرة : صوت أمريكا والبى بى سى والإذاعة الألمانية . وفى مقابل ذلك ، لم يتوقف التشويش على الإذاعات الخاصة . راديو الحرية وإذاعة أوربا الحرة وكانتا تبثان من ألمانيا الفيدرالية ، وقد ظلت هاتان المحطتان تصولان وتجولان فى المعركة الدبلوماسية للدول الشرقية التى تنشد الانغلاق تحت إسم الهدوء .

وفى أثناء المباحثات التى تعددت بين بون وموسكو ، طالب السوفييت مرات عديدة بوقف هذه البرامج التى تقدم من المانيا الفيدرالية أو أن تخضع هذه البرامج لاشراف حكومة ألمانيا الغربية .

ولقد اتخذ البولنديون موقفا مشابها تجاه الولايات المتحدة بمناسبة زيارة الرئيس نيكسون لوارسو فى شهر مايو سنة ١٩٧٢ . وكاد هجوم الدول الشرقية على راديو الحرية وإذاعة أوربا الحرة أن يؤتى ثماره ، فلقد تزامن ذلك مع الافصاح عن علاقة بين هاتين المحطتين وبين المخابرات الأمريكية . وفى واشنطن ، تصور بعض الشيوخ الليبراليين وبخاصة السيناتور الأمريكى « فولبرايت » (١٨) أن هاتين الإذاعتين تمثلان العصب فى الحرب الباردة .

وكانت البرامج الغربية التى تبث من برلين الشرقية هى أيضا موضع نقاش فى أكثر من مناسبة . ففى الفترة ما بين ١٩٦٨ و ١٩٧٠ ، توصلت المانيا الديمقراطية والإتحاد السوفييتى إلى أن أى إذاعة من برلين الشرقية لاتحتوى على برامج يمكن أن تشكل قلقا لمصالح الدول الإشتراكية .

وعندما اجتمع سفراء الدول الأربع الكبار فى ٢٦ مارس ١٩٧٠ لمناقشة مشكلة برلين ، رأى ممثل السوفييت أن العاصمة القديمة للرايخ يجب أن تكون محايدة (١٩) في مجال الإعلام (٢٠) . وفى ٢٦ مايو ١٩٧١ ، قدم السفير السوفييتى (٢١) مذكرة طالب فيها أن يكون النشاط السياسى فى برلين الغربية موائما للقوانين الدولية فيما

يتعلق بعدم التدخل فى الشئون الداخلية للآخرين . وكانت هذه المذكرة تشير إلى محطات الإذاعة الغربية التى تبث من برلين ، ومع ذلك لم ينص فى معاهدة ٣ سبتمبر سنة ١٩٧١ على أى التزامات غربية تتعلق بمشكلة الإعلام .

وتقدم معظم الدول الغربية بثا إذاعيا موجها للإتحاد السوفييتى وأوربا الشرقية ولكن تظل محطة صوت أمريكا والبى بى سى والدويتش فيلى (٢٢) الألمانية أهم هذه الإذاعات .

من الصعب تقويم التأثير الذى سيكون للمحطات الغربية على تطور النظم الشيوعية على المدى الطويل ، ولكن هناك ما يشير إلى أن الإذاعات الغربية قد أجبرت الدول الشرقية على إعطاء قدر من الحرية لوسائل الإعلام فيها .

فلم تكن إذاعة الدول الغربية للأخبار التى تتناول المشكلات والأزمات التى يمر بها الإتحاد السوفييتى ودول أوربا الشرقية الأخرى دون نتائج ، فلقد أدى انتشار هذه الأخبار إلى تحجيم الدور الذى كانت الحكومات الشيوعية تقوم به ، والتشكيك فى مصداقيتها وأدى ذلك إلى تقويض جزء هام مما تقوم به فى مجال « نشر عقيدتها والدعاية لها » . وهكذا، ساهمت الإذاعات الغربية بأسلوب ما فى تكوين رأى عام حقيقى وتعددي ينقد الدول الشرقية . وبفضل الإعلام ، يمتلك الغرب إذن وسيلة هامة للضغط على الدول الشرقية .

ولقد أبدى الرئيس ايزنهاور تفاؤله عندما كتب : « فى اليوم الذى تصبح فيه الشعوب الشيوعية على علم بالأحداث مثلها مثل الشعوب الحرة ، فإن عدم الرضا والحركات والثورات سوف تنتشر بين هذه الملايين من المخلوقات مما قد يؤدى ربما إلى تعديلات فى النظم الحكومية أو إلى الإنهيار المفاجىء للدكتاتورية الشيوعية » (٢٣).

جدول رقم (٣)
البرامج الموجهة للأتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية

المتغيرات	اســـــــــم المحطـــــــــة				
	اذاعة أوربا الحرة وراديو الحرية	صوت أمريكا	البي بي سي الدولية	دويتش فيلي الألمانية	اذاعةفرنسا الدولية
المناطق التي تغطيها	الاتحاد السوفييتي و بلغاريا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر	المناطق الرئيسية في العالم (خدمة عالمية) + برامج خاصة موجهة للدول الشرقية	خدمة عالمية + برامج خاصة موجهة للدول الشرقية	خدمة عالمية + برامج خاصة موجهة للدول الشرقية	- افريقيا - أوربا الشرقية والأتحاد السوفييتي - أمريكا اللاتينية
عدد اللغات المستخدمة	٢١ لغة الروسية و ١٥ لغة أخري في الأتحاد السوفييتي	٣٩ لغة من بينها الروسية وسبع لغات أخرى في الأتحاد السوفييتي	٣٧ لغة من بينها عشر لغات في الأتحاد السوفييتى ودول أوربا الشرقية	٣٤لغة	الفرنسية والبولندية
الوقت المخصص للبث الموجه إلى الدول الشرقية ١ - يومياً المجموع :	بالروسية : ٢٤ ساعة بلغات في الأتحاد السوفييتي: ٤٠ساعة بلغات في الديمقراطيات الشعبية : ٨٦ ساعة ١٥٠ ساعة	بالروسية : ١٢ ساعة بلغات في الأتحاد السوفييتى : ١٠ساعات بلغات في الديمقراطيات الشعبية : ١٠٫٣٠ساعة ٣٢٫٣٠ساعة	بالروسية : ٥٫٣٠ ساعة بلغات الديمقراطيات الشعبية : ١٢٫٤٥ ساعة	بالروسية : ٢٫٤٠ ساعة بلغات الديمقراطيات الشعبية : ١٠٫١٥ ساعات	بلغات في الدول الشرقية ١٥٫٣٠ ساعة
٢ - أسبوعياً المجموع :	الاتحاد السوفييتي : ٤٦٢ ساعة الديمقراطيات : ٥٥٥ ساعة ١٠١٧ساعة	الاتحاد السوفييتى : ١٦٨ ساعة الديمقراطيات : ٧٣٫٥٠ ساعة ٢٤١٫٥٠ساعة	الاتحاد السوفييتى : ٣٨ ساعة الديمقراطيات : ٨٢ ساعة ١٢٠ساعة	الاتحاد السوفييتى: ١٩ ساعة الديمقراطيات : ٨٦ ساعة ١٠٥ساعات	٧٥٫٣٠ ساعة
عدد المستمعين (تقديرياً) فى الأسبوع	في الأتحاد السوفيتى والديمقراطيات ٣٥ مليونا	في الأتحاد السوفييتى ٤٠ الى ٤٥ مليونا	في الأتحاد السوفييتى عشرة ملايين	في الأتحاد السوفييتى ثمانية ملايين	لم تتم أى دراسات بشأنها

ولكن حنكة الدبلوماسية الأمريكية تجسدت فى « هاريمان » (٢٤) الذى لم يخطىء عندما قال : « بث الأخبار للشعوب فى الدول الشيوعية من أهم ضمانات الأمن القومى » .فالشعب الجاهل يمكن أن يتحكم فيه الكرملين أو غيره بسهولة شديدة ، و الرأي العام المحيط علما يصعب التأثير فيه بسهولة (٢٥) .

وهكذا نجد أنه فى أثناء أزمة كوبا سنة ١٩٦١ ، جندت الولايات المتحدة ٥٢ محطة إرسال على ٨٠ ترددا تبث من خلالها برامج مختلفة موجهة إلى الإتحاد السوفييتى للتغلب على التشويش . ومنذ وقت قريب اختار صوت أمريكا « برززنسكى » (٢٦) لكى يشرح للمستمعين فى الإتحاد السوفييتى وفى أوربا الشرقية الإستراتيجية الجديدة للرئيس كارتر فيما يخص القنبلة الذرية « هذه المراجعة للنظام الإستراتيجى الأمريكى كانت تهدف تجنب الموقف الذى قد تتعرض له الولايات المتحدة لقرار مدمر ، أى فى حالة الحروب والأزمات ، وضرورة الاختيار ما بين حرب جماهيرية فى التو واللحظة موجهة ضد الشعوب،وتسوية واستحواز ، أو استسلام » كما قال « برززنسكى » فى رده على الصحافة السوفييتية التى اتهمت الحكومة الأمريكية قبل هذا التصريح بأنها « دفعت العالم بتخطيط محكم إلى كارثة نووية » (٢٧) .

ولقد أوصى البعض رغم ذلك بالتنسيق ما بين الإذاعات فى الدول الغربية فى وقت الأزمات ، والذى يمكن أن يتحقق على المستوى التقنى والسياسى من خلال حلف الأطلنطى (٢٨) .

– موقف المعسكر الاشتراكى من إذاعات الدول الغربية

ومن جهة أخرى اجتهدت دول المعسكر الإشتراكى – بما فيها رومانيا – لاتخاذ موقف موحد فى مواجهة تدفق الإعلام القادم من الدول الغربية . ولما فشلت فى الحصول

على امتيازات من هذه الدول ، تجمعت الدول الشرقية لإقامة « جبهة أخرى (٢٩) . وبعد شهور من أحداث تشيكوسلوفاكيا ، فى بداية سنة ١٩٦٩ ، عقدت فى بولندا العديد من الندوات واشترك فيها ممثلون عن الدول الإشتراكية الأخرى ، لدراسة مشكلات الحرب النفسية التى تشنها وسائل الإعلام الامبريالية ضد الدول الإشتراكية » . وفى خلال هذه الفترة أنشىء معهد سياسى دولى فى برلين الشرقية بهدف أساسى هو متابعة « الحرب النفسية والتخريب الذى تقوم به الدول الغربية ».ولقد قام هذا المعهد بعد ذلك بدور هام ، فقد نظم فى فبراير ١٩٧٣ اجتماعا اشتركت فيه كل الدول الإشـتراكيـة فيما عدا المجر ورومانيا كان موضوعـه « التعايش السلمى والحرب الأيديولوجية » .

ولقد سبق هذه الندوة مؤتمر علمى عقد فى موسكو فى بداية سنة ١٩٧٠ ، بهدف تنسيق جهود الدول الموقعة على ميثاق وارسو ضد « التخريب المعادى للشيوعية » وتحديد استراتيجية موحدة . ومنذ بداية السبعينيات ، بدأ فى الإتحاد السوفييتى وفى الديمقراطيات الشعبية برنامج لتدريب الصحفيين القادرين على الرد على الإعلام الغربى . وفى المدرسة العليا لأعضاء الحزب فى موسكو وفى معهد الصحافة فى وارسو ، كانوا يستعينون بنصوص البرامج « المخربة » التى تبثها إذاعات الدول الغربية لاعداد حجج مضادة ، وتـم دراسة ذلك طويلا بمساهمة متخصصين فى الصحافة وعلماء اجتماع وعسكريين .

ولقد أوضحت هذه المبادرات أنه على الرغم من انخفاض حدة التوتر ، وربما بسبب ذلك ، كانت الدول الشرقية والإتحاد السوفييتى تعتبر نفسها دائما فى حرب أيديولوجية مع الغرب . وفى مثل هذه الظروف ، اعتبر الإعلام عملا تخريبيا . واعتبر عملا تخريبيا كذلك ويهدف إلى خلخلة أسس الإشتراكية كل نقد للنظام الاشتراكى وأى أحكام ضد أى جانب من جوانبه .

- مفهوم التعايش السلمى بين الشيوعية والرأسمالية .

غنى عن القول أنه ، ومنذ البداية ، ولكل من الشرق والغرب مفاهيم مختلفة للتعايش السلمى وحدة التوتر . ومن هنا شاعت فكرة أن النظم الشيوعية سوف تخفض درجة العنف سواء فى السياسة الداخلية أو فى السياسة الخارجية ، وانها ستسمح بقيام تبادل أكثر أهمية بين الشرق والغرب فى مجال الإتصال ، وأدى ذلك إلى زيادة التفاهم بين الشعوب التى تعيش فى كنف أنظمة سياسية أو أنظمة اقتصادية واجتماعية مختلفة . وذهب بعض الموالين للسلم إلى القول بأن خفض حدة التوتر سيساعد فى تحرر النظام السوفييتى ، الذى سيسعى عندئذ للإتفاق مع الغرب وبأى ثمن . فقد « كان القادة الغربيون يسعون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى إدخال الإتحاد السوفييتى فى القوى العظمى ، والتغلب على ما سببته نكسة أكتوبر سنة ١٩١٧ من انقسامات جوهرية فى المجتمع الدولى (٣٠) .

ولكن ، لم تتحقق وجهة النظر المؤيدة لتخفيف حدة التوتر الأيديولوجى . بالعكس ، زاد حرص الدول الشرقية والإتحاد السوفييتى . فبالنسبة للدول الشيوعية، ترجع المطالبة بنبذ الكفاح الأيديولوجى - الذى يترتب عليه تقسيم العالم فى نظامين - إلى ما يشاع من آراء غير صحيحة (٣١) . أى أنه بالنسبة لهذه الدول ، لايوجد ، ولن يوجد أبدا ، تعايش سلمى بين الشيوعية والرأسمالية . ومن جهة أخرى « كيف يمكن رفض أيديولوجية ذات طبيعة عالمية بدون رفض السلطة التى تعتبر مصدرها الشرعى ؟» فى أى الحالات ، فإن التعايش السلمى وخفض التوتر بالنسبة للسوفييت لايعنيان سوى العلاقات بين الدول ، أى أن الصراعات بين الدول لايجب أن تحسم بالرجوع إلى القوة . « ولكن خفض التوتر لايلغى بأى شكل قوانين الكفاح الأيديولوجى (٣٢) .

وينتهى خفض التوتر هكذا حيث تبدأ الأيديولوجية . ولقد خبر ذلك السيد جسكار دستان (٣٣) عند زيارته الأولى للإتحاد السوفييتى فى سنة ١٩٧٥ بوصفه رئيس دولة . فلقد أخذت تصريحات جسكار لصالح تخفيف التوتر الأيديولوجى (والتى أراد

التأكيد عليها بزيارة لمقبرة « لينين ») ، بعكس ما كان ينشده منها لدى القادة السوفييت ، لدرجة أنه قد « وجد نفسه فى خريف بارد يراوح قدميه في الميدان الأحمر أمام باب الكرملن التى أوصدها بريجنيف فى وجهه تعبيرا عن غضبه »(٣٥) .

وكان ذلك سببا فى معرفة الرئيس الفرنسى بأهمية برامج الإذاعة الموجهة للدول الشرقية ، وطلب إعادة بثها بعد أن كانت قد ألغيت عند تقسيم الإذاعة الفرنسية إلى خدمات (٣٦) .

وبسبب مقاطعة وسائل الإعلام السوفييتية له ، لم يستطيع الرئيس جسكار دستان توضيح موقفه للرأي العام فى الدولة التى يزورها .

وكانت كل تصريحات القادة فى الدول الشرقية توضح لهم أن وسائل الإعلام فى خدمة المواجهة الأيديولوجية بالنسبة لهم . ويندرج هذا الصراع فى إطار السياسة العامة للتعايش السلمى مع الغرب ، وهى جدلية منطقية من وجهة النظر السوفييتية . ولكن هذا المفهوم يتعارض فى الغالب والفرضية الغربية ، مما جعله حوارا بين صم . ولقد نسب هذا الموقف إلى « الغموض الذى يفصل - على مستوى القيم - النظام القضائى السوفييتى والغربى » . وهكذا يصر رجال القانون فى الكتلة الشيوعية على أن قاعدة عدم التدخل فى شئون الغير تعانى من استثناء بخصوص التدخل الذى يحدث لصالح حركات التحرير (٣٧) .

وفى مقابل ذلك ، فإن نشر خبر عن إضراب فى دولة شرقية يعتبر تدخلا فى الشئون الداخلية للدولة صاحبة الشأن . وقد ظلت هذه المشكلات التى كانت على المستوى الدلالى والسياسى دون حل ، وكانت محور المناقشات فى مؤتمر الأمن والتعاون فى أوربا قبل أن تصبح نقطة الخلاف أمام تطبيق اتفاقيات « هلسنكى » . وبالاعتماد على الوثائق الموجودة فى العاصمة الفنلندية ، وبالاستناد إلى حقوق الإنسان ، اتخذت الدول الغربية من هذه القاعدة نقطة هجوم فى المحادثات بين الشرق والغرب طوال السبعينيات .

وفى واقع الأمر ، ومنذ أن اتضح أن مؤتمر الأمن والتعاون في أوربا لايستطيع التوصل إلى الاحتفاظ بالوضع الذى نتج عن الحرب العالميـة الثانية ، والغرب يريد التوصل إلى مخرج لتجنب أن يصبح الاتفاق لصالح المعسكر الاشتراكى تماما ، وعندما تعذر تعديل الحدود التى رسمتها الحرب ، اجتهد المعسكر الغربى للوصول إلى أن تكون هذه الحدود أقل إحكاما . ومن الواضح ، أنه مع الاعتراف بالامبراطورية السوفييتية ، استماتت الغربيون لفتح عملية يمكن أن تؤدي إلى وضع حد لعزلة الدول الاشتراكية على أمل أن يودى التبادل بين الجانبين إلى خلخلة النظام يوما ما فى أوربا .

ويصدق ما سبق جزئيا على ألمانيا الغربية التى ضحت فى فترة تخفيف حدة التوتر بالمطالبة بإعادة توحيد ألمانيا على المدى المتوسط . وكان التدفق الحر للناس والأفكار يمثل إذن بالنسبة لألمانيا الفيدرالية أقل مايجب أن يكون لتخفيف الآثار السياسية والإنسانية لقبول التقسيم لفترة طويلة (٣٨) .

وفى البداية ، كان الإتحاد السـوفييتى يتـوقع نجاح سياسـة تخفيف حدة التوتر ، وأحس بخطورة الاعتداء الغربى .. ولهذا السبب ، رفض السوفييت فى بداية الأمر الاشتراك فى المباحثات الخاصة بالتدفق الحر للرجال والأفكار .

وكانت للدول الشرقية رؤية تختلف عن رؤية الدول الغربية بخصوص هذا الموضوع، فقد كانت الدول الشرقية ترى أن حرية التدفق لايمكن أن تكـون سوى نتيجة - ربما ثانوية - للأمن وتخفيف حدة التوتر فى أوربا . وبالعكس، كان الغربيون يرون أن حرية التدفق للرجال والأفكار تمثل واحدا من أسس التعاون ، وبناء عليه ، للأمن والسلام (٣٩). وإلى جانب اختلاف وجهات النظر هذه كانت هناك المشكلة الأزلية التى تتعلق باختلاف مفهوم الإعلام .

وأمام تشبث الغربيين ، انتهى الأمر بقبول الاتحاد السوفييتى طرح المشكلة فى المباحثات التى سبقت قمة هلسنكى فى جنيف سنة ١٩٧٥ . ولكن فى البداية ، أرادت الدول الشرقية إدراج الموضوع فى إطار المناقشات حول التعاون الثقافى والعلاقات بين

المنظمات الحكومية المختصة بالتبادل . وبالنسبة للمعسكر الاشتراكى ، فإن تنظيم الاتصال بين الشرق والغرب يجب أن يبقى من مهام الحكومات فقط . وطوال المباحثات ، وممثلو الدول الشيوعية يصرون على سيادة الدول فى مجال الإعلام . ولم ينسوا بطبيعة الحال طرح موضوع الإذاعات الغربية التى تبث برامج موجهة للدول الشرقية ، للإعلان عن رفضهم التدخل فى شئونهم الداخلية . وفى مقابل ذلك ، وتحت شعار حرية تدفق الإعلام ، طالبت الدول الغربية بوقف التشويش فى أثناء المباحثات فيما عدا التشويش على إذاعة أوربا الحرة وراديو الحرية ، ولكن الإتحاد السوفييتى رفض دوما أى تعهدات بهذا الشأن .

- الاتفاق بين الشرق والغرب

فى جنيف سنة ١٩٧٤ ، تمت تسوية بين الشرق والغرب فى شكل اتفاقية تنص على مسئولية كل دولة فى اختيار نظامها السياسى والاجتماعى الخاص بها ... إلا أنها تحث هذه الدول - وفقا للاتفاقيات الدولية المعمول بها - على تقوية التعاون الثقافى وتشجيع حرية تدفق الإعلام .

وقد أصبحت قاعدة حرية تدفق الإعلام - التى ينادون بها هنا تحت شعار حقوق الإنسان والتفاهم الدولى - خاضعة لإرادة الحكومات ، إذ أن « تطبيقها يتوقف على ماتقره السلطة وتقبله » (٤٠) .

ويعتبر ما توصل إليه مؤتمر هلسنكى تسوية بين وجهات النظر الشرقية والغربية . وهكذا ، « يتضمن التقرير النهائى عناصر تأخذ - كثيرا أو قليلا - بالرأى الغربى الذى يطالب بحرية تبادل الأخبار ، وبالرأى الاشتراكى الخاص بالتبادل المحدود للأخبار » (٤١).

ولقد أصبح لزاما أن تكون هناك قراءة مزدوجة للنص ؛ فالدول الشرقية احتمت خلف مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية عند قراءة النص « وفضلا عن ذلك ، فان حكومات أوربا الشرقية لاتحتكر تفسير التقرير النهائى : تضخيم ظاهرات الانشقاق يؤدى

إلى فصم الشعوب عن التناغم الأوربى الشامل وارتباط المحكومين بهذه الحريات الأساسية التى يصفها كثير من مجالس الادارات فى العالم الاشتراكى ببساطه بأنها حاسمة » (٤٢) وربما يكون هنا أكبر مكسب لمؤتمر هلسنكى والاجتماعات الدورية التى كانت تدور حول دراسة تطبيق القرارات التي خرجت من العاصمة الفنلدية . هذه اللقاءات - فى بلجراد ٧٧ - ١٩٧٨ وفى مدريد ٨٠- ١٩٨١ - تعتبر غرف الصدى التى ترددت فيها المطالبة باحترام حقوق الإنسان فى الدول الشرقية . وفى كل مرةكان الإتحاد السوفييتى يجد نفسه مضطرا لاختيار أسلوب تخفيف حدة التوتر وقبول مناقشة الموضوع من موقف ضعيف .

ولقد بدأ مبدأ احترام حقوق الإنسان يصبح أكثر فأكثر سلاحا أيديولوجيا مرهوب الجانب من قبل الغرب ضد الدول الشرقية . ولقد جعل الرئيس كارتر من حقوق الإنسان المحور الرئيسى لأولى حملاته الإنتخابية للرئاسة فى سنة ١٩٧٦ . ومن بين ما اتخذه كارتر فور وصوله البيت الأبيض فى سنة ١٩٧٧ كان زيادة قدرة برامج محطات الإذاعة «صوت أمريكا » و «إذاعة أوربا الحرة » و « راديو الحرية » التى كانت تغطى الإتحاد السوفييتى والدول الشرقية . ولقد فسر هذا الموقف بأن الرئيس الأمريكى يقف إلى جانب حقوق الإنسان فى الدول الشيوعية . وبدا الرئيس كارتر وقتها مخالفا لسياسة « كيسنجر» الذى لم يكن يرى - تحت اسم السياسة الحقة (٤٣) - خلخلة أوربا الشرقية . ولقد أطلق إسم واحد من مساعدى كيسنجر(٤٤) على هذه السياسة التى تحذر من أى تشجيع للتحول المباغت فى العلاقات بين الإتحاد السوفييتى والدول الأوربية التى تدور فى فلكه .

ولقد رأى « بروزنسكى » الذى وصل إلى البيت الأبيض مع جيمى كارتر - أن تخفيف حدة التوتر قد أدى إلى تغييرات هامة فى الإتحاد السوفييتى وموقفه الاوربى . وبكل تأكيد ، لجأ الرئيس كارتر إلى « شماعة » حقوق الإنسان لأن الأخذ بالأخلاقيات فى السياسة الدولية ليس أمرا سهلا . ولكن كانت لمواقفه التى بادر بها صداها ، واتهامه فيما بعد باللعب بالنار لربطه ما بين السياسة الخارجية للولايات المتحدة ومفهوم حقوق

الإنسان . ولقد نسب إلى هذه السياسة مسئولية عدم الاستقرار فى إيران وبعض الجمهوريات فى جزر الكاريبى . ونسبوا إليه أيضا ابتعاد اثيوبيا عن الغرب وانضمامه للاتحاد السوفييتى ، ورغم ذلك ، كانت المحصلة فى مجملها إيجابية - ربما - بالنسبة للغرب . فبعد أن كان الغرب مدانا لفترة طويلة بسبب سياسته الحربية « الاستعمارية » و « الامبريالية » أصبح مدعيا ، وانتقلت الدول الغربيّة هكذا على المستوى الأيديولوجى من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم .

وفى علاقاته بدول العالم الثالث وبالدول الشرقيـة ، تحرر الغرب من عقدة الذنب . وفى هذا الاطار بدت حقوق الإنسان بوجه خاص على أنها دفاع مضاد وجاد ، منذ عدة عقود ، للأيديولوجيات الغربية ، فى مواجهة تأثير الماركسية اللينينية والقوميات فى العالم الثالث . وتحول العالم الغربى لأول مرة من موقف المعتدى عليه إلى موقف الهجوم المضاد فى المقولة : « رفقا ، نحن أيضا لنا قيم لها أهميتها ، وليس فى استطاعتكم تحقيقها » (٤٥) .

ويذهب آخر إلى أبعد من ذلك بالاعتقاد بأنه « فيما بين سـنة ١٩١٧ و ١٩٥٠ ، كان النظام السوفييتى يشكل تهديدا أيديولوجيا للغرب ، بينما كان الغرب يهدد الإتحاد السوفييتى عسكريا . وانقلبت علاقات القوى فى هذين المجالين الأيديولوجى والعسكرى. فقد أصبح الغرب منذ ذلك الحين يشكل تهديدا أيديولوجيا للنظام السوفييتى ، وأصبح الإتحاد السوفييتى مصدر تهديد عسكرى للغرب » (٤٦) .

ومن الواضح أنه ، مهما كانت هناك شكوك وعدم ثقة فى سياسة كارتر ، فإن حملته لصالح حقوق الإنسان كانت ورقة رابحة بدرجة قد لاتستطيع الولايات المتحدة أن تتخلص منها . وإذا كانت الأخلاق غير موجودة فى السياسة ، فانها موجودة فى منطق الحرب الأيديولوجية » (٤٧) .

ولم تنخدع الأحزاب الشيوعية فى أوربا الغربية ولا اليسار المعادى لأمريكا . إذ يرى « سومسكى » (٤٨) أن « سياسة كارتر القائمة على حقوق الإنسان ليست سوى ذرة فى مؤسسة ضخمة لترميم نظام أيديولوجى بأكمله كان قد انهار فى الستينيات . وفى عصر كيندى ، ساد المثقفين والعاملين فى مجال الدعاية شعور بالغبطة ، واحتفلت أمريكا ، ليس فقط بما يسمى العصر الأمريكى أو بأسلوب آخر : القرن الأمريكى ، ولكن احتفلوا أيضا بالظرف واللطف الأمريكى الذى أصبح الجوهر المثالى للسياسة الامبريالية .

واليوم ، انهارت هذه الصورة . ولكن ، لما كانت التعهدات الأساسية للولايات المتحدة ثابتة ، فمن الواجب استبدالها بأيديولوجية أخرى . وهنا كان دور السلوك الجديد لكارتر ... » (٤٩) .

ـ موقف الشيوعية فى أوربا من الامبريالية الامريكية

بدأت الأحزاب الشيوعية فى أوربا تتأهب وتحتاط تجاه الاعتداء الأمريكى . ففى فرنسا ، شكل « جورج مارشيه » (٥٠) سكرتير الحزب الشيوعى لجنة للدفاع عن الحريات وعن حقوق الإنسان فى مارس سنة ١٩٧٩ .

وفى تصريح له لوكالة الانباء الفرنسية ، أرجع مارشيه مبادرته لسببين :

« أولا ، أنه تحت تأثير من اللجنة الثلاثية وبخاصة من الرئيس كارتر تقود الامبريالية اليوم حملة ضخمة موضوعها حقوق الإنسان وذلك لكى تحجب طبيعتها الحقيقية الظالمة والعدوانية ، بل والإجرامية . وعلى العكس ، تغالى الامبريالية فى تضخيم عيوب بعض الدول الاشتراكية فيما يتعلق بالديمقراطية »

« ثم ان غالبية هؤلاء الذين يدعون أنهم يدافعون عن حقوق الإنسان لهم مفهوم ضيق وسطحى ومبتور وبعيد جدا عن التعريف الحقيقى الذى نص عليه ميثاق الأمم

المتحدة منذ سنة ١٩٤٨ .. ولانستطيع ترك المجال خاليا لكل هؤلاء الذين يجتهدون تماما لتقليص هذه الفكرة القيمة لعصرنا (٥١) » .

وفى شهر ديسمبر ١٩٧٩ ، وبمناسبة اليوم العالمى لحقوق الإنسان ، هاجمت الصحافة السوفييتية بعنف الدول الغربية لانتهاكها حقوق المواطنين فيها . وامتلأت صحافة موسكو بالمقالات والصور التي توضح البؤس والقمع فى الدول الغربية . وتناولت الأقلام بوجه خاص التصنت الذى يقوم به رجال البوليس فى الدول الغربية ، والبطالة ، ومحاولة الحكومات الحد من سلطة النقابات . وكتب أحد المعلقين بأن نقد وضع حقوق الإنسان فى الدول الشرقية سيجعل الغربيين يحاولون إضعاف القوة المغناطيسية الجاذبة للأفكار الاشتراكية » .

وفى شهر يونيه سنة ١٩٨٠ ، ولأول مرة ، عقد فى وارسو مؤتمر لحقوق الإنسان فى الدول الاشتراكية . هذا « المؤتمر العالمى للسلام وحقوق الإنسان » كان بمبادرة من رجل الأعمال الأمريكى « ادموند هامير » (٥٢) بالتعاون مع ممثلين للدول الشرقية والغربية . ولقد اعتبر البيان العام الذى أعلن فى نهاية المؤتمر أن « انتهاك حقوق الإنسان يتسبب فى نشوب صراع بين الأمم ويضع العراقيل أمام تخفيف حدة التوتر مما يتسبب فى انتفاء مايتطلبه نزع السلاح من ثقة وتفاهم .

وبفضل الاذاعة الدولية ، تخطت الحملة الخاصة بحقوق الإنسان حدود أوربا الشرقية ووصلت إلى الصين . وفى أثناء فترة التحرر ، ناشدت جماعة ممن يدافعون عن حقوق الإنسان الرئيس كارتر والكونجرس الامريكى الاهتمام بما وصلت إليه حقوق الإنسان فى الصين ، من خلال نداء (٥٣) كتب على ملصقين وعلق على « الحائط الديمقراطى » فى بكين وقد تناول هذا النداء خطاب الرئيس كارتر عن حقوق الإنسان التى يجب ألا تعوقها الحدود الجغرافية والسياسية . بل يجب أن تكون حقا لكافة الناس على وجه الأرض .

— حقوق الإنسان : أيديولوجية جديدة فى مجتمع الرفاهية

بعد مطالبة الكونجرس بتبنى قانون يجعل من مسألة حقوق الإنسان «سياسة قومية أمريكية » ، دعا أصحاب هذا النداء الشعب الأمريكى « الكبير والحر » إلى الاعتزاز بالحرية والتمسك بها لأنها أكثر الاشياء نفاسة » (٥٤) .

ولاشك فى أن حقوق الإنسان أهم مسألة في عصرنا ، وربما يرجع ذلك إلى أن الأيديولوجيات الأخرى تفقد سرعتها . « عندئذ كانت العودة إلى ما يمكن أن يحوز درجة من القبول العام . ومن جانب آخر ، وفى مواجهة المجتمعات الأخرى ، وباسترجاع الماضى، عرفت المجتمعات الغنية قيمة ما كانت تسميه باحتقار من قبل « الحريات الشكلية » ، فتمسكوا بهذه الأيديولوجية الجديدة فى مجتمع الرفاهية الذى تغيب فيه البصيرة الثاقبة ... » (٥٥) .

ولم يكن الانفجار التقنى فى مجال الاتصال غريبا فى نشأته وفى تطور هذه الظاهرة .. وفى الواقع ، لاتشكل الأفكار الرجعية أية أهمية بالنسبة لمن يشنون الحملات لصالح حقوق الإنسان ، فالهدف هو المهم ، والهدف هنا يتركز فى أن حقوق الإنسان وحق الإعلام والاتصال لايزال مطلبا لنسبة كبيرة من سكان المعمورة .

التدفق الحر للاعلام
وخلخلة النظام فى المعسكر الاشتراكى

لا تعتبر حاجة الانسان ورغبته فى الاتصال مع أمثاله شيئا جديدا ، إنما الجديد هو تحول هذه الحاجة إلى حق ، على الرغم من أن « حق الإنسان فى الاتصال ما زال فى طور المفهوم » و « هذا الحق المتوقع فى المستقبل لم يعثر بعد على شكله ولا على محتواه الحقيقى » . والمادة التاسعة فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان والخاص بحقه فى الاعلام غير كافية بهذا الشأن . « وفي يوم ما يمكن الاعتراف بحق أكثر شمولا » (٥٧)، وزيادة على ذلك ، فإن المجتمع الدولى منقسم دائما ؛ ولم ينجح بعد فى تحديد لمن يكون حق الاتصال ؟ هل هو للفرد ؟ أم للجماعة ؟ أم للأثنين ؟ (٥٨) ورغم ذلك ، فإنه منذ قرارات « هلسنكى » ، وقاعدة حرية تدفق الناس والأفـكار ، أو بأسلوب آخر حرية الاتصال ، وهذه القاعدة فى واحد من النصوص الأساسية التى تنظم العلاقات الدولية بعد الحرب .

– التدفق الاعلامى بين الشرق والغرب فى السبعينيات

شاهدت العلاقات ما بين الشرق والغرب فى السبعينيات تقدما ملحوظا على مستوى التدفق الاعلامى . وكانت أول نتيجة لهذا التطور أن تعارف النظامان وبخاصة من الجانب الثقافى ، ولم تكن وسائل الاعلام الغربية شيئا جديدا على مستوى التنمية فى الدول الشرقية ، وبالنسبة لبعض أنماط السلوك الاستهلاكى والأخلاقيات وميل الشباب إلى الموسيقى والآداب الحديثة . ويمكن أن نتصور أيضا أن ظاهرة النزاع قد فازت عن جدارة بفضل ازدهار الاتصال الدولى (٥٩) . فلقد كانت وسائل الاعلام الغربية فعلا ، وبخاصة محطات الاذاعة الموجهة للدول الشرقية،تمثل غرف الصدى وتعكس هذا الصدى

للداخل ، مسببة ما يشبه العدوى . وفى هذا الخصوص ، أشار أحد النقاد (٦٠) إلى أنه عندما يستقبل فى موسكو صحفيين من أمريكا ، فإن « أول ما يقلقه أساسا » ليس أن يسمع صوته فى أمريكا ، ولكن ، أن يسمع صوته « فى البيت المجاور له من خلال الراديو » (٦١) ، وعندما توفى « باسترناك » (٦٢) ، قدم مئات الأشخاص لتشييع جنازته فى قرية قريبة من موسكو ، على الرغم من أن المراسم لم تعلن على الجمهور ، ولكنه علم بها من وسائل الاعلام الغربية . وفي كتاب له ، روى العالم السوفيتى المعروف « مد فيد ف » (٦٣) أنه عند خروجه من إحدي المصحات النفسية التى حاول المسئولون إبقاءه فيها لآرائه الجريئة كان أول ما فعله عند دخول بيته هو الاستماع لنشرة إخبارية تقدمها إذاعة البى بى سى باللغة الروسية ، وتضمنت هذه النشرة خبرا عن الإفراج عنه متبوعا بتحليل إخبارى يشرح الوضع الصعب للمثقفين المنشقين فى الاتحاد السوفيتى والوسائل التى تستخدم لاسكاتهم (٦٤) .

وتشكل الاذاعات الغربية في واقع الأمر الوسيلة الوحيدة للمنشقين والمعارضين، فهى التى تسمح بسماع صوتهم داخل دولهم . وقد أشار إلى ذلك يوما ما أحد القادة البولنديين عندما كتب إلي مدير الخدمة الخارجية للبى بى سى يقول : « إن ما سيقوله « واسزنسكى » (٦٥) فى خطابه لن يسمعه فى بولندا سوى بضعة آلاف من الأفراد ، ولكن إذا تناولت البى بى سى هذا الموضوع باللغة البولندية فى برامجها فإن الدولة كلها ستكون على علم به » .

وفى أثناء إضرابات العمال فى بولندا خلال صيف سنة ١٩٨٠ ، لعبت الاذاعات الغربية دورا وسيطا ومهما عندما قامت بنقل أخبار ما يحدث فى كل منطقة للمناطق الأخرى ، بينما ظلت وسائل الاعلام البولندية لفترة طويلة تخفى انتشار هذه الحركة وعموميتها . كذلك كان الفضل للاذاعات الغربية فى متابعة المواطنين فى الدول الاشتراكية الأخرى لتطورات أزمة بولندا ، لأن صحف وإذاعات أوربا الشرقية عندما كانت تتناول هذه الأزمة كانت تعمل على إخفاء أهم الأحداث (٦٦) .

وبعد الانقلاب العسكري الذي حدث في ديسمبر سنة ١٩٨١ ، لعبت الاذاعات الغربية دورا هاما بترديدها كلمات من قاموس النقابة والتضامن .

وقد اتهمت صحيفة البرافدا السوفيتية عدة مرات إذاعة أوربا الحرة وراديو الحرية باستغلال أحداث بولندا للقيام بنشاط معاد للاشتراكية .

وفي ٢٢ فبراير سنة ١٩٨١ ، وقعت عملية تفجير في المبنى الذى تقع فيه محطة إذاعة أوربا الحرة مما أدى الى جرح ثمانية أفراد من بينهم ثلاثة كانت إصاباتهم خطيـرة . ولم يتأخر البعض - بطبيعة الحال - في الربط بين هذا الاعتداء ، والحملة التى شنتها الدول الشرقية ضد المحطتين الموجودتين في ميونخ .

وفي أثناء انعقاد مؤتمر مدريد (١٩٨٠-١٩٨١) ، طالب الاتحاد السوفيتى من جديد بوقف إذاعة أوربا الحرة وراديو الحرية . ولتبرير هذا الطلب الذى قدم على أنه اقتراح لكى يأخذ به ٣٥ عضوا في مؤتمر الأمن والتعاون بأوربا ، أكد المندوب السوفيتى (٦٧) أن محطات الراديو هذه تشيع جوا من الشك يتعارض والميثاق النهائى لهلسنكى ، وأشار إلى أنه يعنى المحطات الأمريكية التى تبث من ألمانيا الفيدرالية والتى تمولها الولايات المتحدة ، التى تتدخل في الشئون الداخلية للدول التى توجه إليها برامجها بدلا من أن تكتفى بتقديم أخبار هذه البلاد .

وتحدث مندوب هولندا (٦٨) باسم « العشرة » الذين يشكلون دول السوق الأوربية المشتركة ورد علي ما قاله مندوب الاتحاد السوفيتي بأن طلبه هذا يخالف ميثـــاق هلسنكى ، فهو يرى ، على العكس من ذلك ، ضرورة تقديم أخبار كثيرة . وأضاف بأنه فى حالة موافقة مجلس الأمن والتعاون الأوربى على هذا الطلب فإن ذلك يعنى أنه ينصب من نفسه رقيبا على أوربا .

أما المندوب الأمريكى (٦٩) ، فقد أشار من جانبه إلى أن راديو موسكو يذيع هو أيضا برامج عدائية للغاية موجهة للولايات المتحدة ، إلا أن الحكومة الامريكية تثق فى مواطنيها الذين يمكنهم التمييز بين الحقائق وبين الدعاية ، وأضاف أنه من الأفضل للاتحاد السوفييتى أن يوقف التشويش على الاذاعات الأجنبية التى تصل إلى أراضيه . وهكذا إذا كان هناك تدفق أفضل للاعلام بين الشرق والغرب ، فان ذلك لا يرجع إلى إرادة الدول الاشتراكية ، ولكنه يرجع إلى التطور التقنى ، وإلى الترانزستور بوجه خاص .

— احتكار الاذاعات والتليفزيون فى الدول الغربية للاعلام فى البلاد الشيوعية

الملاحظ أن الإذاعات المجاورة فى المانيا الشرقية بالنسبة لبعض مناطق من المجر وفى تشيكوسلوفاكيا وفي ولايات منطقة البلطيق ، وكذلك البرامج التي تبثها شاشات التليفزيون فى الدول الغربية ، تحتكر الاعلام فى البلاد الشيوعية . « ولأن هذا الاسلوب الهام للاتصال يفلت من الاحتكار التام ، ولأن كل مواطن فور عودته إلي بيته يمكنه أن يتلقى الأفكار والأخبار وأن يرى العالم دون إشراف أو تحكم من الجهات العليا ، وبإدارة مفتاح فقط ، فان الديمقراطيات الشيوعية تعتبر ذلك تهديدا خطيرا ومستمرا » (٧٠) .

وترتب على الاقبال على الاعلام من مصدر غربى زيادة سريعة فى الدول الشرقية لعدد أجهزة الاستقبال الاذاعى المزودة بموجات قصيرة . وقد ارتفع عدد الأجهزة من ... ٢٠٠ ٢٠ جهاز في سنة ١٩٥٥ إلى ... ٧٠٠ ٥٩ فى سنة ١٩٦٥ ، وإلى ... ٢٠٠ ٩٤ فى سنة ١٩٧٦ ، وقدر عدد هذه الأجهزة فى سنة ١٩٨٠ بحوالى مائة مليون جهاز .

وبعكس ما هو معروف فى دول العالم الثالث حيث الاستماع للاذاعات الموجهة ينتشر بين الصفوة ، يبدو أن الاستماع لهذه الاذاعات فى البلاد الشيوعية ينتشر على المستوى الجماهيرى ، وبخاصة بالنسبة للبلاد التى تدور فى فلك الاتحاد السوفيتى . ففى

هذه البلاد ، لا يعتبر الاستماع للاذاعات الغربية مصدرا فقط للاخبار ، ولكنه وسيلة كذلك للاحتفاظ بالهوية الثقافية والقومية لهذه البلاد فى مواجهة السيطرة السوفيتية (٧١) .

ومن المفارقات هنا أن البرامج الغربية الموجهة للعالم الثالث تشكل تهديدا للتجانس الثقافى فى الدول النامية ، فى حين أن البرامج الموجهة للدول الشرقية تشجع التعارض وتؤكد الهوية القومية ، حتى بالنسبة للجماعات الإثنية غير الروسية فى الاتحاد السوفيتى . ولقد أدى ذلك إلى قيام الأنظمة الموجودة فى أوربا الشرقية بالمطالبة بشدة بالمصالح القومية لبلادها فى إطار درجة استقلالها الذاتى بالنسبة للاتحاد السوفيتى . ويبدو أن الأنظمة التى كانت ترتفع فيها نسبة الاستقلال الذاتى كانت تخشى تأثير الاذاعات الغربية بدرجة أقل .

والاستماع الجماهيرى للاذاعات الغربية لا ينفى أن الطلبة والمثقفين كانوا فى الحقيقة يشكلون نسبة كبيرة من جمهور المستمعين لهذه الاذاعات . ولكن من الصعب تقدير حجم جمهور الاذاعات الغربية فى الدول الشرقية بدقة ، لاستحالة القيام بدراسات ميدانية فى الدول الاشتراكية .

ومن المؤكد أنه يجب النظر بتحفظ شديد للمؤشرات التى تقدمها بعض الاذاعات (بهدف الحصول على تمويل أكبر من الحكومات التى يهمها الدور الذى تقوم به هذه المحطات) .

وتعتبر إدارات البحوث والدراسات الخاصة بالمستمعين فى إذاعة أوربا الحرة وراديو الحرية مصدرا لمعظم الاحصائيات المتاحة فى هذا الصدد ، إلا أن هناك أيضا التقديرات التى يقوم بها السوفيت أنفسهم والتى يعرضها الجدولان التاليان : (٧٢)

جدول رقم (٤)

نسبة الاستماع للإذاعات الغربية
بين فئات المجتمع فى الاتحاد السوفيتى

الفئات / نسبة الاستماع	المستمعون للاذاعات الغربية		الاستماع للأخبار هو الدافع الرئيسى	
	وفقا لتقدير السوفييت	وفقا لتقدير اذاعة الحرية	وفقا لتقدير السوفييت	وفقا لتقدير اذاعة الحرية
عمال	٥٦ر٦	٦١	- ر٩٤	٥٤
فلاحون	٤٩ر٣	٤٤	- ر٤٠	٥٨
مهندسون وفنيون	٧٢ر٤	٦٩	٦٢ر٩	٧١
طلبة	٧٤ر٩	٧٧	٥٣ر٨	٦٩

جدول رقم (٥)

نسبة الاستماع للإذاعات الغربية

المتغير / المحطة	صوت أمريكا	اذاعة الحرية	الاذاعة الالمانية (دويتش فيلى)	الاذاعة البريطانية (البى بى سى)
وفقا لتقدير السوفييت	٣٣	٣٣	١٧	١٧
وفقا لتقدير اذاعة الحرية	٣٨	٢٧	١٨	١٧

وكان جمهور المحطات الغربية في الدول الأخرى التابعة للمعسكر الاشتراكي موضع دراسة هامة . فلقد قامت إذاعة أوربا الحرة بالاشتراك مع العديد من معاهد بحوث الرأى فى أوربا خلال الفترة من نهاية ١٩٧٣ إلى فبراير ١٩٧٤ بإجراء دراسة على عينة قوامها ٤٨٠٧ مفردة من سكان دول أوربا الشرقية الموجودين فى أوربا الغربية ويمثلون خمس دول هى : بلغاريا (٦٣٢ مفردة) وتشيكوسلوفاكيا (٦١٧ مفردة) والمجر (١١٣٤ مفردة) وبولندا (١٣٣٨ مفردة) ورومانيا (١٠٨٦ مفردة) .

والجدول التالى يعرض النتائج التى توصلت إليها هذه الدراسة *

جدول رقم (٦)

الاستماع للمحطات الغربية فى الدول الاشتراكية

محطة الاذاعة / الجنسية	بلغاريون	تشيكوسلوفاكيون	مجريون	بولنديون	رومانيون
إذاعة أوربا الحرة	٥٣	٣٩	٥٥	٥٧	٦٠
صوت امريكا	٢٥	٢٢	٢٣	١٨	١٨
البى بى سى	٢٨	٢٤	٢٦	٢٥	١٧
الدويتش فيلى					
دويتش رونتفونك (٧٤)	١	٢٢	٩	٢	٦
راديو الفاتيكان	٦	٧	٣	٢	١
راديو باريس	٣	٦	٢	٢	٧
راديو لوكسمبورج	١٨	٢٨	١٥	١٤	٩
محطات أخرى غربية	٥	٥	٣	٢	٦
لا يستمع للمحطات الغربية	٤٧	٢٤	٣٣	٣٠	٢٨

* انظر نتائج الدراسة الاستطلاعية التى قمنا بها فى بعض الدول العربية بالنسبة لاذاعة صوت العرب .

والملاحظ هنا أن نسبة الاستماع للاذاعات الغربية فى الاتحاد السوفيتى ، على الرغم من أهمية حجمها ، إلا انها أقل أهمية من نسبة الاستماع لهذه الاذاعات فى دول أوربا الشرقية . ويبدو أن عدم تعرض الاذاعات الغربية فى برامجها للنظام السوفيتى كان له رد فعل قومى لدى العديد من المستمعين فى الاتحاد السوفيتى ، الذين كانوا يعتبرون النقد الموجه لموسكو ضربة موجهة لعزتهم القومية .

- الاذاعات الغربية والشباب فى الاتحاد السوفيتى .

كانت الاذاعات الغربية تتسبب دائما فى إثارة قلق المسئولين السوفييت . فلم تكن هذه الاذاعات تمد فقط المواطنين فى الاتحاد السوفييتى بالأخبار التى يحاول القادة هناك عدم نشرها ، ولكنها كانت أيضا - بالنسبة للشباب السوفيتى - تشكل احتكاكا بالعالم الخارجى يراه مضراً قادة الكرملن .

وقد كان الشباب السوفييتى الذين يستمعون للاذاعات الأجنبية أول ضحايا «الحرب الأيديولوجية» التى شنها الغرب ضد الاتحاد السوفييتى : فقد كانوا يتشبعون دون وعى « بالدعاية الأمبريالية » بين قطعتين موسيقيتين للجاز والديسكو كما جاء فى الجريدة التى تصدرها البراقدا للطلائع (١١ - ١٥سنة) ، والتى حذرت قراءها من هذا الاسلوب الخطير جدا « للهو الايديولوجى » (٧٥) . ولم يكن الجميع يرون هذا الخطر الماثل والدليل على ذلك مثلا خطاب لطفل من موسكو نشرته الصحيفة جاء فيه : «اشرحوا لى ما الخطر الذى يمكن أن يختفى وراء الموسيقى الحديثة أو وراء الحديث عن الفضاء» .

ولقد ردت الصحيفة المذكورة على هذا الخطاب بأن المسئولين عن الاذاعات الغربية يقومون ببث رسائلهم الأيديولوجية التى تتضمن أن الحياة فى الغرب سهلة وبلا متاعب ، أو أن المستوى التقنى فى الغرب أكثر تقدما عنه فى الشرق ، ويتم ذلك بتقديم خلفية

من الموسيقى الحديثة ، وأنه - أى الطفل الذى أرسل الخطاب للجريدة - لا يعى بلا شك هذا الاسلوب المرائى لعدو « له مستواه » . وقد أكدت الصحيفة على أن هذه « الأصوات المعادية » - كما يطلق عليها رسميا فى الاتحاد السوفيتى - تستهدف أساسا جمهور الشباب على أمل الاستفادة بنقص معلوماتهم عن الحقائق .

وعرفت الجريدة « العدو » بدقة بأنه « راديو الحرية » و « البى بى سى » و « صوت أمريكا » والاذاعات الالمانية التى « تشرف عليها غالبا المخابرات الامريكية » ، وأضاف الكاتب أن البرامج الموجهة للاتحاد السوفيتى يقدمهـــــا « منشقون وجاحدون وأناس طردوا من الاتحاد السوفيتى لإثارتهم الجماهير أيديولوجيا » ، وأن أسس منظمة الشباب واضحة فى أن : « الذين يستمعون إلى « الأصوات المعادية » لمعرفة آخر نغمات الروك يعرضون أنفسهم للوقوع فى هاوية خطيرة ، وينحرفون رويدا رويدا عن قراءة الكتب المدرسية ، بل وأيضا عن أصدقائهم. والأدهى من ذلك ، أن الشباب سيفقد الوقت اللازم للاستماع لراديو موسكو ولقراءة الصحف المحلية ؛ باختصـــــار ، سيبتعد الشباب عن معايشة الواقع السوفييتى».

أما بالنسبة لهؤلاء الذين يمكن أن يتصوروا براءة الاستماع لكونشرتو « بنك فلويد » (٧٦) من البى بى سى ، أو لحفل جاز من صوت أمريكا ، فإن صحيفة الطلائع المذكورة تواجههم بدليل أخير فى شكل تساؤل هو : « لماذا يلجأ أعداؤنا الألداء ذوو المستوى العالى إلى إنفاق الملايين من أجلنا ؟ » .

ولمحاربة كفاءة الاذاعات الغربية على التسلية ، لجأت الصحيفة إلى مخاطبة الاحساس بالولاء الذى يجب أن يشعر به كل طفل تجاه وطنه : « أيا كانت وسائل الاذاعات الأجنبية ، فإن أقوى إذاعة تصبح عديمة الجدوى وعاجزة إذا نحن حولنا قليلا مؤشر جهاز الاستقبال ... » ومع هذا ، يبدو أن هذه الحجج لم تقنع الشباب بالتحول عن الاذاعات الغربية ، فالجيل الجديد من الشباب السوفيتى بفضل الموسيقى عن

الأيديولوجية ، ولهذا السبب ، فإنه لا يعطى اهتماما كبيرا للتحذيرات الرسمية التى تنشد « تدعيم الوعى الأيديولوجى » .

ولقد أرسل واحد من رجال الغد السوفييت إلى الصحيفة يقول : « أعرف أن من بين مقدمى البرامج فى الإذاعات الغربية الموجهة للاتحاد السوفييتى هناك العديد من الجواسيس والخونة ولكننى لا أهتم بمن يقدم البرامج ، أنا أستمع للموسيقى » .

ومن جهة أخرى ، فإن السوفييت يعلمون أن برامجهم لا تشبع التطلعات الثقافية بالنسبة للشباب وللصفوة من المواطنين .

- الاعلام السوفيتى وحاجات الشعب

فى شهر ابريل سنة ١٩٧٥ ، درست اللجنة المركزية للحزب السوفييتى الموضوع من جديد ، وسجلت أنه غالبا ما يعجز الاعلام والدعاية عن تلبية حاجات الشعب مع الارتفاع المطرد فى المستوى التعليمى والثقافى .

ولقد صدر قرار نشرته وكالة تاس - بتدعيم الكفاح الأيديولوجى على الساحة العالمية . وأضافت الوكالة أن البرامج التى يوجهها الغرب والمعتدون المتطرفون من بكين تفتك بلا هوادة بفكر الشعب السوفيتى ، ويعتبر ذلك ضعفا وعدم كفاية تتضح أحيانا فى المواد الاعلامية والتربوية والدعائية .

« ولقد كتب المراسل الخاص والدائم لإحدى الصحف الفرنسية أن رئاسة الحزب الشيوعى قد طالبت المسئولين عن الاذاعة بأن تكون ردود فعلهم فورية وهجومية . إلا أن التطبيق الفعلى لهذه التوصية قد عاقته العادات والروتين الذى يعتبر البعض منها جزءا لا ينفصم من تاريخ روسيا وفقا لما يروى عنها بالنسبة للقرن الثامن عشر والتاسع عشر » .

وفى هذا الخصوص ، نوّه مراسل صحيفة الحزب الشيوعى الفرنسى كذلك عن التعتيم الاخبارى عندما قام الاتحاد السوفييتى بشراء غلال من أمريكا الشمالية ، ولكن المستمعين السوفييت كان يمكنهم أن يعرفوا هذه الأخبار بفضل « إذاعة أوربا الحرة » و «راديو الحرية» و «صوت أمريكا» ، التى تبث باللغة الروسية ولغات روسية أخرى . ففى موسكو ، « يثبت سائقو سيارات الأجرة مؤشر الراديو على صوت أمريكا بلا مواراة ، ولقد استمعت إلى المحطة فى أماكن رسمية جدا ، ويستمع إليها كثير من الشباب لأنها - كما يقولون - تذيع الموسيقى التى يميلون إليها » (٧٨) .

وفى الواقع ، يعتبر المستمع للاذاعة الموجهة مستمعا للأخبار ، وهو ما لم تفهمه الاذاعات الاشتراكية ، أو ما لا يمكنها تطبيقه بسبب صرامة أنظمتها . ومن المؤكد أن التنافس بين الاذاعات الغربية قد أجبر إذاعات الدول الشرقية على بث كم أكبر من الاعلام وتقديم الأخبار بسرعة أشد . ولكن السياسة الاعلامية بالنسبة للدول الاشتركية ، سواء فى الداخل أو فى الخارج ، تعانى دوما من سوء الأنظمة المركزية .

الفصل الخامس

المواجهة الإذاعية بين الشمال والجنوب

و

التنمية القومية

المبحث الثالث عشر : الإذاعة وتصاعد الحركات القومية .

المبحث الرابع عشر : المحطات السرية والإذاعـة الرسميـة .

المبحث الثالث عشر
الإذاعة وتصاعد الحركات القومية

توجد علاقة توصف بأنها وثيقة بين تطور وسائل الاعلام والتنمية القومية . فالبعض يرى وجود علاقة ما بين الإتصال الجماهيرى وبزوغ فكرة العمل القومى (١) ، ومن ثم ، يبدو الاتصال وكأنه ضرورة بالنسبة لتنمية الأمم وتطوير الفكر الإنسانى ، وهنا تشكل الوسائل الحديثة للإعلام وسيطاً لا مثيل له فى مجال نشر الأفكار (٢) . وفى مثل هذه الظروف ، من المؤكد أن الاذاعة قد لعبت دوراً لا يمكن إنكاره فى ظهور وتطور الحركات القومية بالعالم الثالث وتولت الدعاية من الاذاعتين الألمانية والإيطالية فى أثناء الحرب فتح الطريق لها ، وكانت تحض على ثورة الشعوب التى كانت ترزخ آنئذ تحت السيطرة الفرنسية / البريطانية .

وبعد سنة ١٩٤٥ ، كانت برامج المحطات الأمريكية التى تنادى بالحرية والديمقراطية ، وكذلك الإذاعات الشيوعية ، تمارس ضغطا على القوى الاستعمارية . ولمقاومة هذا الضغط ، قامت فرنسا وبريطانيا العظمى وكل من هولندا وبلجيكا بادخال الراديو فى معظم الأراضى التى كانت تحتلها ، فقد كانت القوى الإستعمارية ترى فى الراديو وسيلة لتدعيم سيطرتها السياسية والثقافية فى هذه المناطق . ولقد كان للراديو ردود فعل متناقضة لدى المستعمرين : فقد أسعد البعض أن هذه الوسيلة تساعدهم على متابعة المعارف والثقافات فوق القارة الأوربية ، ولكن هناك من نظر إلى الراديو بشك وريبة على أنه « وسيلة امبريالية » ، إلا أنهم استعدوا لاستخدامه يوم الحصول على الإستقلال (٣) .

ولقد كانت الإذاعة طفرة فجائية فى الدول المختلفة فيما بعد الحرب حين كان الراديو والتليفزيون آخر ما ظهر حديثاً من وسائل الاتصال فى العالم الغربى ، فهما نتاج متأخر للتصنيع بينما ظهر الراديو فى الدول النامية قبل التصنيع ، بل قبل الكتاب والصحيفة أحياناً ، « فمن المؤكد أن الراديو - فى بعض الحالات - قد لعب دوراً هاماً فى تشكيل

الوعى القومى الجديد ، سواء فى أثناء مراحل زوال الإستعمار أو فيما بعد الإستـــــقلال » (٤) . فالقومية فى دول العالم الثالث لم تولد مع الإذاعة ، كما لا يمكن القول بأن القومية الأوربية قد ظهرت مع المطبعة (٥) ، ولكن المؤكد أن الراديو ، بوصفه وسيلة من وسائل البث التى لا مثيل لها فى مجالات الإعلام ، قد هيأ مناخاً ملائماً فى دول العالم الثالث يستطيع أن يعمل فيه الموالون للتحرير . «فالإعلام بصفة عامة هو الذى يدفع إلى التغيير ، والإعلام هو أيضاً الذى يهيىء المناخ اللازم لتشكيل أمة » (٦) .

وفى الواقع ، هناك نوع من الاذاعات التى ظهرت فى الخمسينيات فى ظل الصراع ضد الاستعمار والكفاح فى سبيل التحرر القومى فى أفريقيا وفى آسيا وفى أمريكا اللاتينية . فقد كانت غالبية الحركات الثورية - عندما تسمح لها الظروف - تسارع فى إدخال الراديو ، هذا السلاح السياسى والعسكرى ، وكان ذلك يتم أحياناً بمساعدة البلاد الصديقة التى تضع محطات الإرسال تحت أمرها (٧) .

ولقد أشار « جيفارا » (٨) إلى دور الراديو الجوهرى عندما قال : « فى الوقت الذى فيه كل السكان فى إقليم ما ، أو فى بلد ما ، تغلى فى عروقهم حمى الكفاح ، ترتفع قوة الكلمة بدرجة حرارة هذه الحمى ، وتفرضها الإذاعة على كل واحد من محاربى المستقبل ، فالإذاعة تفسر وتعلم وتدفع وتحدد للأصدقاء والأعداء مواضعهم المستقبلية» .

- صوت العرب : ظاهرة إذاعية في المنطقة العربية وعلى مستوى القارة الافريقية

يعتبر « صوت العرب » من أهم الظاهرات الإذاعية التى ميزت فتــــــــرة الخمسينيات ، لدرجة أن واحداً من مندوبى جريدة لوموند الفرنسية (٩) كتب يقول : « لا أعرف مطلقاً مقهى واحداً فى أى بقعة من العالم العربى لا يقدم فيه لرواده البرامج التى

تبث من مصر بأعلى درجة ممكنة فى الصوت أثناء لعبهم الطاولة أو تدخينهم النارجيلة .
كذلك فإن كل مؤشرات الراديو فى سيارات الأجرة ، فى بغداد كما فى دمشق وفى المدن العربية الأخرى - مثبتة على الصوت القادم من القاهرة ، وقد يبلغ انفعال السائق والركاب الحد الذى يهدد حياة المشاة فى الشارع بالخطر » .

وفى أثناء حرب الموجات بين الشمال والجنوب ، لعبت مصر دوراً هاماً . فإن موقعها الجغرافى ووضعها الديمغرافى وثقلها الثقافى بسبب وجود أقدم جامعة عربية وإسلامية (الأزهر) فى القاهرة - قد مكنها من أن يكون لها دائماً دور الزعامة فى العالم العربى . فقبل الانقلاب العسكرى * الذى وقع فى يوليو سنة ١٩٥٢ والذى أدى إلى خروج الملك فاروق من مصر والقضاء على الملكية ، كانت القاهرة ملتقى القادة القوميين فى الأراضى العربية التى لم تحصل بعد على استقلالها ، وبخاصة من دول شمال افريقيا التي كانت تحت الادارة الفرنسية . وأنشأت الجامعة العربية « مكتب المغرب العربى » وكان يديره القوميون المغاربة ، وكانت مهمة هذا المكتب الإعداد للكفاح ضد المستعمر الفرنسى .

وقد دعم وصول « الضباط الأحرار » إلى السلطة تحت رئاسة البكباشى ناصر من وضع القوميين الذين كانوا يكافحون للحصول على استقلال بلادهم ، إلى جانب أن جمال عبد الناصر قد تبنى سياسة الإصلاح الزراعى وتأميم المصالح الأجنبية فى الداخل ، وعدم الانحياز لا إلى موسكو ولا إلى واشنطن بالنسبة لسياسته الخارجية ، فى الوقت الذى كانت فيه الحرب الباردة قد اشتدت وطأتها .

ولكى تنجح سياسته ، مهد جمال عبد الناصر للوحدة والاشتراكية العربية ببعض اللمسات الأيديولوجية الخفيفة ، وهكذا أصبح شعار الناصريين على مستوى العالم العربى « حرية ، اشتراكية ، وحدة » . أما بالنسبة لناصر ، فإن الاستعانة بسلاح الإذاعة

---

* ترجمة حرفية لما ذكره المؤلف .

لتحقيق أهدافه لم يكن بمحض الصدفة . فقد لجأ الزعيم المصرى إلى الراديو بوصفه « أداة نفسية أكثر فعالية » بسبب عدم توافر أسلحة حديثة لديه لتحقيق أهدافه . وقد كان يكفيه الإستحواز على ألباب أتباعه ببرامج من إذاعته تمارس ضغطاً خفياً وملحاً ومستمراً لتقويض أسس الأنظمة المعادية لسياسته واحتواء الإضطراب الشعبى لصالحه (١٠) .

ولقد ذكر محمد حسنين هيكل فيما بعد ، وقد كان وقتها واحداً من أقرب المستشارين لناصر ورئيسا لتحرير جريدة الأهرام ، أن الإذاعة بالنسبة لجمال عبد الناصر قد لعبت الدور نفسه الذى لعبه الحزب لدى لينين ، وأن ناصر - بفضل الإذاعة - كان على صلة مستمرة بالشعب . وقد أشعل ناصر من خلال الراديو حركات جماهيرية فى المنطقة العربية . ومن خلال خطبه المذاعة استطاع ناصر إسقاط حلف بغداد الموالى للغــرب . وبفضل الراديو استطاع أيضاً أن يوهن من شأن الإستعمار البريطانى فى جنوب شبه الجزيرة العربية (١١) .

وقبل ثورة ١٩٥٢ ، كانت قوة الإذاعة المصرية لا تتعدى ٢٠ كيلووات ، وفى أقل من سنة بعد الانقلاب العسكرى ، فى الرابع من يوليو سنة ١٩٥٣ ، افتتح اللواء نجيب - رئيس الدولة فى ذاك الوقت - إذاعة صوت العرب التى قال عنها إنها « المعبرة عن العرب فى الكفاح من أجل العروبة وعزتها ، وأن الهدف من هذه البرامج الجديدة تنمية المشاعر القومية لدى الشعوب التى تعانى من الاستعمار ، وتدعيم الروابط الثقافية والوطنية بين البلاد العربية ومعرفة هذه البلاد ومشاكلها جيداً لكى تتحاب أكثر » .

وفى الواقع ، وبفضل أحمد سعيد أول مدير لصوت العرب وهو المعلق السياسى الماهر ، كان لابد من أن يصبح صوت العرب أداة متطورة لخلخلة الأنظمة فى أفريقيا كما في الشرق الأدنى .

وفى هجومها على « الامبريالية » الفرنسية والانجليزية بل وأيضاً الأمريكيـة وعلى عملاء الامبريالية من المسلمين ومن غير المسلمين ، وعلى الصهيونية أفضل عميل للامبريالية ، سادت برامج صوت العرب التى كانت طويلة فى الغالب نبرة عاطفية وعنيـــــفة . وكان صوت العرب يستخدم الأسلوب الحماسى لمس الجانب العاطفى لدى المستمعين عند عدم توافر البراهين الجادة

ولقد كشف جمال عبد الناصر عن وظيفة هذه المحطة فى الثالث من يوليو سنة ١٩٥٦ بقوله : « لقد أطلقت مصر صوت العرب ليدخل المعركة ضد الامبريالية وليكون شوكة فى ظهر الخونة ... »

ومنذ ذلك الحين ، أصبح تطوير الإذاعة وتدعيمها إحدى المهام الرئيسية للنظام الناصرى بعد أن أصبحت الإذاعة الأداة الرئيسية للحكومة . وهكذا ، ارتفع عدد ساعات بث إذاعة صوت العرب من ساعتين يوميا عند إنشائها فى سنة ١٩٥٣ إلى خمس ساعات فى سنة ١٩٥٥ ، ثم إلى عشر ساعات ونصف الساعة فى ٣ مارس سنة ١٩٥٦ ، لكى يصل إلى حوالى ٢١ ساعة يومياً فى سنة ١٩٦٠ ... (١٢) .

ولكن اهتمام السلطات لم يقف عند تطوير صوت العرب فقط ، فقد اهتمت أيضاً بتطوير المحطات الإذاعية الأخرى . ولقد كان التطور على المستوى التقنى ملموساً أيضـــــاً . فبعد أن كانت قوة الإذاعة فى سنة ١٩٥٢ . عشرين كيلووات ارتفعت فى سنة ١٩٦٠ إلى ١٠٠٠ كيلو وات .

أما عن اللغات المستخدمة ، فبعد أن كان عددها خمس لغات فقط فى سنة ١٩٥٢ (هى العربية والانجليزية والفرنسية واليونانية والإيطالية) أصبح عدد اللغات فى سنة ١٩٦٠ اثنين وعشرين لغة من بينها الأمهرية (أثيوبيا) والسواحيلية ، والكردية والتركية (العراق وايران وتركيا) والفارسية والأردية (باكستان) والعبرية

(اسرائيل) ... (١٣) ، فى حين كانت فرنسا تبث مثلاً فى الفترة نفسها بتسع عشرة لغة أجنبية على مستوى العالم .

وهكذا كان يمكن للقاهرة أن تتباهى حقاً بالتفوق فى مجال «السـلاح الإذاعى»، ليس فقط فى الشرق الأوسط ، ولكن أيضاً على مشتوى معظم القارة الأفريقية ، فقد كان الأمر بالنسبة للقادة المصريين فى الفترة المذكورة يتعلق بسلاح . فكما يقول عبد القادر حاتم (وزير الدولة المكلف خصيصاً بالدعاية) عند افتتاح المبنى الجديد للراديو والتليفزيون المصرى فى العاشر من أغسطس سنـة ١٩٥٩ : « لقد جرب الرئيس جمال عبد الناصر ضد الإمبريالية كافة الأسلحة وعرف أن الإذاعة من أكثر الأسلحة فاعلية ... » (١٤) .

ولم يستخدم النظام المصرى سلاح الإذاعة فى محاربته فقط للامبرياليين بل استخدم هذا السلاح كذلك ضد « الحكومات العربية العميلة للإمبريالية » أى ضد الذين رفضوا الأخذ بمفهوم القومية العربية الذى تبنته القاهرة ، والانضمام إلى زعيم هذه القومية العربية جمال عبد الناصر . وكان راديو القاهرة يخاطب مباشرة الشعوب العربية المناضلة ضد قادتهم « المرتشين والفسدة والخونة والرجعيين ... ». والمشاهد أن كل الثورات والحركات المسلحة التى تهدف إلى عزل هؤلاء القادة كانت تسبقها وتساندها حملة إذاعية عنيفة .

وفى كل مكان فوق الكرة الأرضية تدور فيه معركة ما بين شعب من شعوب العالم النامى وبين مستعمريه القدامى الغربيين ، كان لراديو القاهرة دور فعال . ولم تكن الأخبار التى يذيعها غالبا حقيقة يمكن التأكد منها ، إلا أن هذا لم يمنع العراقى والسورى واللبنانى ، بل والعربى في اسرائيل ، من أن يثق فى التوكيدات التى تنقلها موجات القاهرة .

وكان لصوت العرب تأثير كبير فى جيل كامل من الشباب فى الدول العربية . ففى أثناء الإنقلاب العسكرى الذى قام به العقيد فى ليبيا سنة ١٩٦٩ ، تحدث مراسل لصحيفة لومند الفرنسية عن وصول « جيل صوت العرب » إلى السلطة (١٥) .

ولم تكن مصر قوية إلى الدرجة التى تمكنها من فرض إرادتها على أصدقائها وعلى أعدائها ، لذلك اختار جمال عبد الناصر سلاح الدعاية على الرغم من أن هذا السلاح لا يخلو من عيوب . ومن سنة ١٩٥٦ إلى ١٩٦١ كانت الناصرية مصدر تهديد لكافة الأنظمة العربية .

ولقد عرف النظام الناصرى كيف يلعب على وتر القومية العربية ، واستطاعت الدعاية والإذاعة أن تثير الشعور الخفى وراء هذه القومية أمام كل تأثير خارجى ، وأصبح النظام سجيناً لهذه القوى داخل الحدود المصرية كما فى خارجها .

وبالإضافة إلى المستوى التقنى لمحطات الإرسال فى مصر ، يجب ألا نغفل قدرات اللغة العربية . « فالمثير حقاً فى هذه البرامج الدعائية استخدام التكرار فيها بدون حد ، والإكثار من الإطناب ، فقد طبقوا إلى أقصى درجة المقولة العربية التى تشير إلى أن : « التكرار مفيد دائماً » . ومن النادر أن يكون التعليق السياسى عرضاً منطقياً وعقلانياً فهو تكرار متتابع للشعارات ، والنداءات والسباب ، مع الاستفادة بالخصائص الإذاعية التى تميز صوت المذيعين والمعلقين ، فأصوات الرجال حادة دائماً وقوية وخشنة ، ولا يصلح ذلك للخبر ولا للتفسير ولا للتوضيح ، بل للزئير والصراخ والإستحواز ، على حد قول الكاتب فكرى أباظة الرئيس السابق لرابطة الصحفيين المصريين (من خلال ميكروفون صوت العرب فى السادس من يوليو سنة ١٩٥٥) (١٦) . والمعروف أن العرب « يحملون اللغة المسئوليات الرئيسية للتعبير والحث لما يفرضه المجتمع على نفسه لتحديد مصيره فى تحمل هذه المهمة الضخمة بعيداً عن الأنماط الأخرى للتعبير » (١٧) .

ومن ١٩٥٦ إلى ١٩٦٧ ، أى منذ قضية السويس إلى هزيمة العرب أمام اسرائيل فى حرب الأيام الستة ، كان ناصر سجين الأيديولوجية التى روجها فى العالم العربى : الكفاح ضد الامبريالية من أجل الحرية ، والكفاح ضد الاقطاع المحلى والرجعية لإقامة اشتراكية ، وتحقيق حلم الوحدة العربية بالإستعانة بالإذاعة التي كانت قادرة على ذلك . ولكن ، تحطم الحلم الناصرى فى إقامة وحدة عربية . وربما بالغ جمال عبد الناصر فى تقدير فعالية الدعاية من خلال الإذاعة وأهمل الشروط الموضوعية اللازمة لتحقيق مشروعه .

وفى المغرب ، وفى الشرق الأدنى كما فى أفريقيا ، حيث أغلبية السكان من الأميين ، كانت الإذاعة فعلاً وسيطاً هاماً لنشر الأفكار والمذاهب التى تدعو لوحدة الدول العربية والوحدة الافريقية . ولقد لاحظ « جول موش » (١٨) ، الذى كان وزيراً للداخلية فى الجمهورية الرابعة لفترة طويلة ، وبخاصة بالنسبة للجزائر ، « أن ما يحدث على الساحة العالمية سوف يؤدى إلى استقلال الدول على مستوى العالم » . ويقول « حتى الأميين يستمعون للراديو فى المقاهى العربية عندما لا يكون لديهم أجهزة » .

وفى جنوب الصحراء بأفريقيا ، ليس من النادر أن تقابل من يعترفون بأنهم كانوا فى وقت ما يستمعون لراديو القاهرة بالسواحيلى أو بالهوسا أو بالفرنسية أو بالانجليزية على الرغم من أن الإدارة الاستعمارية تمنع ذلك . وفى الستينيات ، كانت القاهرة تبث برامج إذاعية لثلاثين حركة من حركات التحرير قبل استقلال دولها .

- صوت الجزائر الحرة

من أكثر الإذاعات تأثيراً نذكر « صوت الجزائر الحرة » الذى حاول المستعمر الفرنسى الحد من الإستماع إليه وبخاصة فى القرى حيث يوجد أكبر عدد من الموالين لمنظمة التحرير . ولتنفيذ ذلك ، أصدر الحاكم العام للجزائر (١٩) مرسوما فى ١٨

أكتوبر سنة ١٩٥٥ ينص على وقف بيع أجهزة الراديو التى تعمل بالبطارية ومنع تسرب هذا النوع من الأجهزة من الجمارك ، وأصبح بيع هذه الأجهزة لا يتم إلا بتصريح خاص من الأمن . وكان على التجار أن يسجلوا ما لديهم من مخزون من هذه الأجهزة وأسماء وعناوين المشترين لها وكذلك رقم التصريح الرسمى وتاريخه وأى بيانات إضافية يمكن أن تسهل عملية المراقبة والمتابعة .

وكانت حيازة جهاز الراديو فى الجزائر عام ١٩٥٥ تعتبر الوسيلة التى تمكن من متابعة مصدر غير فرنسى يوفر للمواطنين معرفة « أخبار الثورة » . فقد كان « صوت العرب » و « صوت الجزائر الحرة » من القاهرة يقدمان يومياً بيانات عن نشاط المقاومة ، وكان البعض (٢٠) يرى أن « الكفاح الوطنى ، وإنشاء إذاعة الجزائر الحرة يمثل طفرة جوهرية للأفراد . فلقد ظهرت الإذاعة هناك فجأة ولم يحدث ذلك تدريجياً .. وشاهدنا انقلاباً شاملاً فى وسائل المعرفة (...) ووهب صوت الجزائر ، الذى لم يتكلف شيئاً ، حياة للأمة ، وأعطى لكل مواطن وضعاً جديداً عرفه به بوضوح » .

وهكذا يبدو أن الراديو كان وسيلة للعمل الثورى حيث ربط « فانون » (٢١) ما بين اللغة والثورة : « فقد كان لصوت الجزائر المجاهدة أهمية قصوى على مستوى التلاحم بين الجماهير واحتوائها . وسوف نرى أن استخدام اللغة العربية ولغة البربر واللغة الفرنسية فى آن واحد ، وكان لها الفضل فى تطوير وتدعيم وحدة الشعب كما اعترف بذلك الاستعمار؛ فقد جعلت الإذاعة « جرجرة »(٢٢) تشارك فى المعركة مع الوطنيين الجزائريين فى « باتنا » أو « نيمورس » (٢٣) ، لأن الأحداث التى يتناولها مراسل إحدى الصحف الموالية للسلطة المستعمرة بدرجة أو بأخرى ، مجزأة ومقسمة ومجمعة ، أو تلك التى تروجها السلطات العسكرية المعادية ، تفقد طبيعتها الفوضوية لتنتظم فى فكر سياسى قومى وجزائرى فتأخذ مكانها فى استراتيجية شاملة تحقق السيادة الشعبية » .

وإلى جانب منع حيازة الأجهزة التي تعمل بالبطارية ، لجأت السلطات الفرنسية إلى أسلوب التشويش على البرامج الموجهة من القاهرة ؛ وشيئاً نشيئاً ، أصبح صوت

العرب وصوت الجزائر المجاهدة غير مسموعين تقريباً فى الجزائر ، إلا أن هذا لم يمنع الشعوب من متابعة هذه البرامج ، فإن « صوت الجزائر هذا ، الذى تعقبته طوال شهور عديدة المحطات القوية التى أقامها العدو للتشويش عليه ، هذا « الصوت » ، غير المسموع فى الغالب ، كان يشعل رغبة المواطن فى الثورة . هذا الصوت الذى نحس بوجوده ، والذى يمكن التنبؤ بحقيقته ، إذا ما قورن بأهمية موجات التشويش التى ترسلها محطات متخصصة للعدو ، كان ثقله يزداد يوماً بعد يوم ، والتخريب المعادي هو الذي يؤكد وجود هذا الصوت القومي وكفاءته : وكان الصوت المعبر عن الجزائر التى تكافح ، وصوت كل جزائري ، راديو المجاهدين الشبيه بالشبح ، تعبيراً قوياً عن المعركة .

وفى مثل هذه الظروف ، كان التصريح بالاستماع إلى « صوت الجزائر » طمساً وتزويراً للحقيقة ، ولكنه بوجه خاص فرصة للإعلان عن مشاركة سرية فى روح الثورة . هو اختيار حر على الرغم من عدم وضوحه فى الشهور الأولى ، بين الكذب الذى فطر عليه العدو وكذب المستعمر نفسه الذى يصبح له فجأة جانب من الحقيقة (..) ، وجهاز الراديو هو الذى يضمن بأن هذا الكذب أصبح حقيقة » .

ومن قبيل الصدف حقا القول بأن وجود برامج إذاعية لمنظمة قومية يكفى لفرضها على شعب دولة أو مكان ما . ولكن فى هذا الموضع فإن « صوت الجزائر الحرة » قد دعم فكرة وجود قومية ودولة جزائرية . وفى حالة قيام هذه البرامج بالتعبير عن رأى الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (٢٤) ، فإنها أصبحت ليس فقط مصدر إلهام وتشجيع للجزائريين المحاربين ، بل أصبحت أيضاً مصدراً للأخبار بالنسبة للصحفيين والدبلوماسيين الذين يتابعون تطورات الموقف ، وبخاصة ما يتعلق بالأحداث والمباحثات مع فرنسا .

زاد عدد البرامج التي تحمل إسم « صوت الجزائر المحاربة » وأصبحت لا تقدم فقط من القاهرة بل وأيضاً من تونس والرباط ودمشق وبغداد وطرابلس وكلها موجهة للجزائر . وبدأت السلطات الفرنسية تقلل تدريجياً من التشويش على هذه البرامج ، إلا أن حرب الإذاعات لم تتوقف . ولقد قابلت فرنسا البرامج الإذاعية لمنظمة التحرير (٢٥) بتدعيم برامجها الموجهة باللغة العربية وبلغة البربر وبالفرنسية والتى كانت تبث من الجزائر أو من فرنسا . وكانت بعض البرامج تعد بالإشتراك مع إدارة التوجيه المعنوى للجيش والتى كان يشرف عليها الكولونيل « لاشروا » (٢٦) ، الذى حاول تقديم دعاية ضد الثوريين بالاستعانة بالتقنيات التى استخدمها الفيتناميون والصينيون فى آسيا ، واقتنع المكتب الخامس فى الجزائر بفعالية هذه البرامج . وفى ليلة ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ ، أمر ممثلو قيادة جبهة التحرير الجزائرية فى فرنسا كل الجزائريين الذين كانوا يتعاونون مع الإذاعات العربية والبربرية (٢٧) التى يقدمها راديو فرنسا بباريس باعتزال العمل ، وتم ذلك دون إنذار مسبق ، بغية وضع العراقيل أمام البرامج الفرنسية الموجهة للجزائر ودول شمال افريقيا الأخري .

– موقف الدول الغربية من الاذاعات الموجهة من افريقيا

وعلى أى حال كان الفرنسيون والانجليز يعتبرون البرامج « المدمرة » الموجهة من الإذاعة المصرية السبب فى كل ما يواجههم من مشكلات مع الحركات القومية فى افريقيا وفى الشرق الأوسط (٢٨) .

وبعد حصول ساحل الذهب (لا كوت دى لور) على استقلالها (وحملت بعدئذ اسم غانا) (٢٩) ، طرح الرئيس كوامى نكروما (٣٠) سنة ١٩٥٨ برنامجا لإقامة محطات قومية . وأنشئت خدمة خاصة للبرامج الموجهة للخارج بلغات متعددة بالإنجليزية والفرنسية والعربية والبرتغالية والسواحيلى والهوسا ، أى بجميع اللغات الأكثر شيوعاً من حيث الاستخدام والفهم فوق القارة الافريقية . وعند افتتاح هذه البرامج ، عبر نكروما

عن أمله فى أن تصبح إذاعته قوة لها فعاليتها فى الكفاح من أجل تحرير القارة ووحدتها بقوله : « من هذه المحطة ، التى ترمز لصوت افريقيا ، سوف نستكمل الكفاح من أجل الاستقلال التام وحتى تتحرر القارة الافريقية كلها وتتحقق الوحدة السياسية الافريقية لدولها . وسوف يرتفع هذا الصوت شيئاً فشيئاً ولن يتنازل عن قضية السلام لكى يسود الحب والتفاهم بين شعوب العالم ودوله » .

وعلى مستوى القارة الافريقية ، اهتمت ثلاث دول بتطوير اذاعاتها بهدف توسيع نشاطها وهى : مصر الناصرية ، وغانا تحت حكم نكروما ، وجنوب افريقيا (٣١) .

ولقد أخذت القاهرة وأكرا تحت حمايتهما حركات معارضة متعددة أو ضد فرنسا وبريطانيا العظمى والبرتغال .

ولمواجهة هذا « التخريب » ، شكلت فرنسا هيئة خاصة للإذاعات الموجهة لما وراء البحار (٣٢) لإقامة محطات تبث برامج تلائم المستمع الأفريقى ، وافتتحت لذلك خمس عشرة محطة فى افريقيا السوداء . أما البى بى سى ، فقد كانت تبث فى سنة ١٩٥٨ ١٨ ساعة يومياً موجهة لأفريقيا باللغات : الانجليزية والفرنسية والعربية والصومالية والسواحيلى والهوسا .

ولقد بدأ اهتمام الولايات المتحدة بافريقيا بعد سنة ١٩٥٩. ولكن فى سنة ١٩٥٦ كانت هناك خمس إذاعات خاصة للأمريكيين فى طنجة تبث برامجها من خلال خمس محطات تستخدم الموجات المتوسطة ، ومحطتين بالموجات القصيرة تصل قوتها الإجمالية إلى ٧٤ كيلووات ، وكانت هناك كذلك محطة ترحيل فى طنجة لتقوية إذاعة صوت أمريكا وأصبح لها تسع محطات علي الموجات القصيرة قوتها الإجمالية ٦٣٥ كيلووات . وعلى أية حال ، أدى إلغاء النظام الخاص بطنجة بصفتها مدينة دولية إلى اتساع احتكار المغرب للإذاعة على هذه الأراضى ، وأدى ذلك إلى توقف نشاط المحطات الخاصة الواحدة بعد الأخرى . ولذلك كانت الولايات المتحدة من حيث البرامج

الموجهة لافريقيا فى المرتبة الرابعة بعد مصر والاتحاد السوفيتى وجمهورية الصين الشعبية.

فقد كان صوت أمريكا - فيما عدا محطات الترحيل المقاومة فى المغرب - يعانى من قصور على المستوي التقنى ، إذ كانت قوة محطات إرساله المقامة فى منطقة نيويورك لا تتخطى مائة كيلووات مما لا يسمح لها بالوصول إلى افريقيا التى كانت تتهيأ عندئذ للحصول على استقلالها . وقد تقدمت العديد من الحركات القومية بطلب المساعدة من الولايات المتحدة ضد القوى الاستعمارية ، وكانت بعض حركات السود فى أمريكا قد أقامت روابط مع القوميين الأفارقة . وتعهدت واشنطن بتنفيذ برنامج لتوفير المعدات التى تسمح بسماع صوتها فوق القارة السوداء ، وأنفق صوت أمريكا ٢٣ مليوناً من الدولارات لإقامة محطة ذات كفاءة أكبر فـــــى « كاليفورنيا » الشمالية ، وإنشاء محطة ترحيل فى « مونروفيا » عاصمة ليبريا . وكانت هذه المحطات تقوم ببث برامج موجهة لافريقيا باللغات : الإنجليزية والفرنسية والعربية ، والسواحيلى والهوسا المحلى فى « ليوبولدفيل » (عاصمة الكونغو (البلجيكية) و « الرباط » وفى « اديس أبابا » وفى « لاجوس » وفى « داكار » .

- الاذاعات الشيوعية ودول العالم الثالث

أما فيما يتعلق بالعالم الشيوعى ، فغالباً ما ننسى أن الصين الشعبية كانت أول الدول الشيوعية فى توجيه برامج عن طريق الإذاعة لافريقيا فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ أى أنها سبقت روسيا بسنتين فى هذا المجال (٣٣) ، وهذا يعنى أن بكين ، التى تلاقى برامجها شعبية فى العالم الثالث ، قد اهتمت أكثر من موسكو - بمساندة الحركات القومية ووعت دور الراديو بوصفه أداة للعمل الثورى . وكانت برامج راديو بكين الموجهة لافريقيا تبث باللغات : الانجليزية والفرنسية والعربية والبرتغالية والسواحيلى . ومن الطبيعى أن نتصور أن هناك ازدواجاً فى المهام بين الاتحاد السوفيتى وبين الصين : فقد كان الفريق الأول يهتم بالعالم الثالث ، وركز الفريق الآخر اهتمامه الإذاعى على أوربا الغربية وأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية . وكان الإتحاد السوفيتى قد بدأ فعلاً برامجه الموجهة

لافريقيا حتى قبل وقوع الشقاق بينه وبين الصين ، لكن موسكو وبلاد أوربا الشرقية الأخرى لم تطور برامجها الموجهة لافريقيا إلا بعد سنة ١٩٦٠ ، أى بعد حصول الدول الافريقية على الاستقلال .

ـــ الراديو وتصاعد الحركات القومية فى افريقيا

عن العلاقة بين الراديو وتصاعد الحركات القومية ، نجد أن ذلك لا يظهر إلا فى افريقيا وفى الشرق الأدنى ، بسبب التأثير الذى نسب لصوت العرب من ناحية ، ومن ناحية أخرى ما رصده « فانون » بدقة لما حدث فى الجزائر ، يضاف إلى ذلك حركة «بيافرا» القومية على الرغم من فشلها أمام الحكومة المركزية فى لاجوس . ففى الفترة الإنفصالية (١٩٦٧) ، سمحت محطة بيافرا للحركة المنشقة التى قادها الكولونيل «أوجوكفو» (٣٤) بتنبيه الرأى العام فى الداخل وفى الخارج ، وأصبح «صوت بيافرا» يرمز لفترة كفاح أمة من أجل أن تحيا (٣٥) .

وأمام زحف القوات التابعة للحكومة ، كان راديو « بيافرا » ، الذى كانت برامجه تقدم بالانجليزية وبلغات أخرى محلية فى بيافرا أو فى نيجريا ، يغير من مقره باستمرار هربا من العدو . بيد أن الوهن العسكرى للحركة القومية فى بيافرا قد أدى إلى أن يتصدر الراديو المعركة ، بل وأن يكون أهم سلاح ضد خصم أكثر بسالة (٣٦).

ولقد أقرت منظمة الوحدة الأفريقية العلاقة ما بين تصاعد الحركات القومية وتطور الإذاعات الموجهة للأراضى التى لم تحصل بعد على استقلالها،فقد رصدت ميزانيات هامة لتكون تحت تصرف القوميين عند إعداد برامج للراديو . وكانت هناك برامج موجهة من تانزانيا وزامبيا لأنجولا و موزمبيق وزمبابوى قبل استقلالها . وكان للحركات القومية فى ناميبيا وفى افريقيا الجنوبية برامج منتظمة من دار السلام ومن عواصم افريقية أخرى فى المنطقة نفسها .

شاركت الدول العربية بسخاء فى دعم برامج منظمة التحرير الفلسطينية (٣٧).

وكانت هناك برامج تعدها المنظمة لكى تبث من العديد من العواصم العربية ، وكانت هذه البرامج تتسبب أحياناً فى نشوب صراع بين المنظمة الفلسطينية وبين بعض الأنظمة العربية . ففى سنة ١٩٦٩ ، قررت الحكومة المصرية إغلاق المحطة الفلسطينية التى انتقدت الرئيس ناصر لموافقته على خطة « روجرز » (وزير خارجية الولايات المتحدة) لتسوية الصراع الإسرائيلى/ العربى ، واستؤنفت هذه البرامج بعد ذلك لكى تتوقف مرة أخرى بعد الإتفاقية المصرية/الإسرائيلية فى عهد الرئيس السادات . وليس من النادر مشاهدة الحكومات العراقية والليبية والسورية توقف لفترة ما برامج التحرير الفلسطينية التى تبث من عواصمها . ويبدو أن لبرامج منظمة التحرير جمهورا لدى الشعب الفلسطينى . وتلاقى الكلمات التى تدور حول الاضراب والتظاهر التى تروجها هذه الإذاعات ردود فعل لدى شعوب الضفة الغربية وقطاع غزة .

- برامج الاذاعة وكفاح شعوب جنوب شرق آسيا

وفى جنوب شرق آسيا ، حيث كانت تقود المعركة ضد القوى الاستعمارية أحزاب شيوعية فى الغالب ، كانت برامج الاذاعة ، سواء من الخارج ، أى من الاتحاد السوفيتى أو من الصين ، أو من الداخل بفضل المحطات السرية ، تستهدف غالبا نشر آراء الحزب أو دعاية أيديولوجية تتوافق مع المستمعين . ومن النادر ما كانوا يلجأون فى هذه البرامج إلى الجانب العاطفى واستخدام الأصوات الرنانة ، الأسلوب الذى كان يستخدمه « صوت العرب » و « صوت الجزائر الحرة » و « صوت بيافرا » ، الا أن الأمر هنا بالنسبة لجانب أو لآخر ، يتعلق بأساليب متباينة للوصول إلى الهدف نفسه ، وهو تحريك أكبر عدد ممكن فى مواجهة الخصم وكسب الرأى العالمى فى جانب « القضية العادلة » للشعب الذى يكافح من أجل حريته .

المبحث الرابع عشر

المحطات السرية والإذاعة الرسمية

فى مجال الإذاعات الموجهة ، لا تعتبر المحطات السرية محطات قرصنة إذاعية (٣٨) تبث موسيقى البوب من سفن موجودة فى المياه الدولية أو من أجهزة إرسال تابعة لجماعات أو لأحزاب سياسية كما يحدث فى فرنسا أو فى إيطاليا .

ويؤرخ للمحطات السرية فى الأصل بالحرب العالمية الثانية . وكانت الدول تستعين بها غالباً ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، لتشجيع عمل تخريبى أو لنشر أيديولوجية مـــا . ومن خلال الدعاية التى تبثها محطات غير معترف بها رسمياً ، كانت الدول تحتفظ بنسبة من وسائل التأثير لكى تعدل فى خططها للوصول إلى هدفها ، أو بأسلوب آخر ، كانت هذه الدول تجنب الإذاعة الرسمية من أن تهتز صورتها فى عمليات غير موثوق فى نتائجها . ومن جانب آخر ، تنتفى المسئولية القضائية عن الدولة المعنية فى حالة الإذاعات غير الرسمية .

المحطات السرية فى أثناء الحرب

فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وبهدف الدعاية ، استعانت الحكومات الألمانية والانجليزية والسوفيتية بمحطات عديدة لتحريض مستمعيها على الرعونة . فقد كانت هذه الاذاعات تسعى من خلال البث بلغة أجنبية تخفى هويتها ، وباختيار برامجها ، أن تحوز ثقة الشعوب فى الدولة المعادية لكى توجه لها الدعاية بعد ذلك . ولاخفاء أصلها الأجنبى ، كانت هذه الاذاعات تدعى أحياناً بأنها تعبر عن حزب سرى أو عن حركة للمقاومة .

فى فترة الحرب الباردة ، وللرد على الهجوم الإذاعى الذى تمارسه الدول الغربية ، أقام الإتحاد السوفيتى العديد من المحطات السرية التى كانت برامجها موجهة لأوربا الغربية والشرق الأدنى . هذه البرامج ، والتى كان يقوم بها فى الغالب لاجئون شيوعيون وافدون على الاتحاد السوفيتى ، كانت لا تشير إلى أى أصل لها ، إلا أن الخدمات المختصة فى الغرب كانت قد أقامت لها محطات إرسال فى موسكو وبراغ وبرلين الشرقية .

وفى الخمسينيات ، كانت هذه المحطات السرية تبث حوالى ٢٠٠ ساعة أسبوعيـــا (٣٩) من خلال « إذاعة اسبانيا المستقلة » و «إذاعة البرتغال الحرة» التي كانت تبث من رومانيا ، و «إذاعتنا» الموجهة لتركيا ، و «صوت الحق» الموجه لليونان ، و « رسالة من ايران » ويبث من ليبزج . وكانت هناك برامج موجهة باللغة العربية للعراق الملكية وباللغة الكردية وباللغة الفارسية تقدمها المحطات غير الرسمية الموجودة فى إقليم «باكو» (٤٠) بالاتحاد السوفيتى . وفى سنة ١٩٥١ كانت هناك أيضاً محطة فى براغ تبث برامجها باللغة الإيطالية .

— دور المحطات السرية فى الخمسينيات والستينيات فى المنطقة العربية

لاقت المحطات السرية نجاحاً فى الشرق الأدنى لا مثيل له فى الخمسينيات والستينيات . فقد تسببت فى حدوث اضطرابات وفى رفع درجة التوتر . ومن المعروف أن العالم العربى قد شاهد فى الفترة ما بين سنة ١٩٥٢ وسنة ١٩٦٢ أحداثاً جسيمة ، وبخاصة حملة السويس في سنة ١٩٥٦ التى تسببت عملياتها العسكرية فى مضاعفة الحرب النفسية . فقد كانت عملية السويس فعلاً فرصة لظهور شكل جديد فى العمل الاذاعى من خلال محطات سرية . ومنذ ذلك الحين ، انتشرت فى الشرق الأدنى إذاعات غير معروفة الهوية يطلق عليها أيضاً اسم الإذاعات السرية وهى التي لم تحصل على تصريح ، أو بأسلوب آخر « محطات القرصنة » ، وكانت هذه الاذاعات تظهر بوجه خاص عند اشتداد كل أزمة من الأزمات العديدة التي تعرضت لها هذه المنطقة .

- صوت مصر الحرة

يبدو أن أول من لجأ إلى هذا النوع من الإذاعات كان نظام « نورى السعيد » فى العراق إبان الملكية الهاشمية لمواجهة الدعاية الناصرية . وفى شهر ابريل سنة ١٩٥٥ سمعت لأول مرة فى الشرق الأوسط إذاعة اسمها « صوت مصر الحرة » على الموجة التى تقدم عليها إذاعة بغداد . ولم تكن برامج هذه الإذاعة سوى هجوم متصل وعنيف ضد نظام جمال عبد الناصر بسبب معاداة القاهرة لحلف بغداد . ولم يتأخر الرد طويلاً ، فقد سمعت بعد أيام قليلة إذاعة تحمل اسم « برنامج العراق الحر » يطالب العراقيين بالتخلص من رؤسائهم الخونة وتصفية الإمبريالية البريطانية . وكانت هذه الاذاعة الجديدة تستخدم تردداً قريباً جداً من التردد الذى يستخدمه راديو القاهرة . وقد صمت « الصوتان » فى أثناء حملة السويس بسبب التضامن العربى الذى وضح فى هذه المناسبة .

- صوت الرجال الأحرار

وبعد فترة قصيرة ، بدأ «صوت جديد لمصر الحرة» باسم «صوت الرجال الأحرار» يبث برامجه لمدة ثلاث ساعات يومياً ضد النظام القائم فى القاهرة وضد الرئيس ناصر . وكانت هذه البرامج تعد فى باريس بوساطة مصريين معارضين للرئيس ناصر انضم إليهم فى المنفى بعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا بعض السوريين الساخطين على قيام الجمهورية العربية المتحدة .

ولقد رد ناصر على هذا الهجوم بزيادة الدعاية ضد العالم الغربى من خلال الإذاعة وفى حوار مع ناصر فى شهر مارس سنة ١٩٥٨ ، عبر أحد الصحفيين أمام الرئيس المصرى عن قلق الأمريكيين من برامج إذاعة «صوت افريقيا الحرة» التى كانت تبث من القاهرة (٤١) ، ورد ناصر على ذلك بأنه حق الدفاع الشرعى ، وقال إن هناك تسع محطات سرية للراديو ولدت فور تأميم قناة السويس فى كل من فرنسا وقبرص وعدن

(التى كانت تحت إدارة بريطانية) « ونحن متأكدون أن الفرنسيين هم الذين يوجهون هذه المحطات ويديرونها . ونحن نعرف ذلك لأن كثيراً من عملائنا يعملون فى هذه المحطات التى تهاجمنى شخصيا وتهاجم حكومتى فى دعايتها . ولقد حذرتهم أنه فى حالة عدم توقفهم عن ذلك فسوف أثأر منهم بإقامة عشر محطات إرسال (...).وطبيعى ، أنه من الأفضل ألا تنقل ما أقوله بأن عندى محطات سرية للبث ، فمن الأصوب عدم الحديث عنها لأن مصلحة الاستعلامات لدى تفضل عدم الكلام فى هذا الموضوع » .

- موقف ناصر من المحطات السرية

غالباً ما كان الرئيس ناصر يتعرض فى خطبه لهذه المحطات السرية التى يبدو أنها كانت تثير قلقه . فبعد فترة الغبطة بقيام الوحدة بين مصر وسوريا ، بدأت المشكلات تعترض هذه الوحدة التى لم يعد لها باحكام مما أدى إلى ردود فعل رافضة لها سواء فى مصر أو فى سوريا . وفى خطاب له فى شهر ديسمبر سنة ١٩٥٧ ، قال الرئيس ناصر إن هذه البرامج كان هدفها خداع القوميين المخلصين للإبقاء على السيطرة الإمبريالية ، وأضاف أن هذه الإذاعات سبة لكل واحد منا وإهانة لكرامتنا ، وأن الامبريالية تحاول من خلالها غرس الشك والريبة بيننا وبين الدول العربية الأخرى (٤٢) ، مما يشير إلى أن الرئيس المصرى لم يكن يستهين بهذه المحطات .

- موقف فرنسا من المحطات السرية

أما عن فرنسا ، فإن الحكومة بمساندة وزير خارجيتها الذى عين فى مايو سنة ١٩٥٨ (٤٣) قد حاولت مرات عديدة التوصل إلى إيقاف البرامج السرية التي تنطلق من محطة إرسال فى ضاحية من ضواحى مارسيليا ، وكان قرب هذه المحطة من البحر يتيح لها انتشار موجاتها . ولكن وزير الدفاع دافع بضراوة عن هذه البرامج بسبب الحرب الدائرة فى الجزائر .

ومن جهة أخرى ، فقد ترتب على استمرارية هذه البرامج وقوع أزمة فرنسية / مصرية قد لا يكون لها مثيل على مستوى العلاقات الدولية . ففى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٦١ ألقى القبض على خمسة دبلوماسيين فرنسيين بتهمة التجسس والتآمر ضد الدولة وكانوا فى مهمة بالعاصمة المصرية تطبيقاً للقرارات الموقعة بين البلدين فى زيورخ . وبسرعة ، ظهر أن استمرار البرامج السرية المعادية لناصر كان وراء القبض على هؤلاء . واستمرت هذه البرامج عدة أسابيع بعد حل الجمهورية العربية المتحدة على اثر الحركة الانفصالية السورية فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ .

ولتبرير موقفها وقرارها بالقبض على الدبلوماسيين الذين انتهكوا القواعد والاتفاقيات الدولية ، نشرت القاهرة كتاباً أبيض عن شبكة تجسس فرنسية ، وجاء فى هذا الكتاب أن نشاط المسئولين فى التنظيم غير محدود فى تحريض بعض الأفراد للحصول على معلومات سياسية واقتصادية وعسكرية تتعلق بالجمهورية العربية المتحدة ، وأن هذا النشاط قد امتد إلى إثارة الرأى العام داخل الدولة ضد النظام الحاكم وذلك باستخدام أساليب شتى منها توزيع المنشورات وترويج الشائعات المغرضة لإثارة الشك فى الاجراءات الثورية التى تتخذها الحكومة فى الجمهورية العربية المتحدة ، وإذاعة أخبار كاذبة عن الجمهورية العربية المتحدة وقادتها من محطة الإذاعة السرية فى مارسيليا ، وأن « صوت الرجال الأحرار » و «صوت مصر الحرة» تبثان هذه البرامج المسمومة ضد بلادنا (...) ، وأن أعضاء التنظيم كانوا يهدفون بهذا العمل السيىء والمشئوم ضد الجمهورية العربية المتحدة قلب نظام الحكم ، بل كانوا كذلك يخططون لاغتيال الرئيس ناصر (٤٤) .

وكان يدير محطة «صوت الرجال الأحرار» الصحفى أحمد أبو الفتح وهو وفدى وصديق سابق لناصر أخذ جانب المعارضة فى سنة ١٩٥٤ ونفى سنة ١٩٥٥ . ويحتمل أن تكون شبكة المعلومات فى هذه المحطة قد لعبت دوراً فى مشكلة سوريا . فلقد انضم سوريان من هذه المحطة إلى صفوف المنشقين فى دمشق ، ومنه يمكن استنباط أن شبكة المعلومات التي كانت تعمل فى مصر كانت تتآمر هى أيضاً ضد ناصر ولم تعد هناك أمامه سوى خطوة (٤٥) .

ولقد حوكم الدبلوماسيون الفرنسيون وكان بينهم المسئول عن الشئون الثقافية المستشرق « اندريه مايكل » (٤٦) الذى لم يخف تعاطفه مع العالم العربى ، وذكر نقيب المحامين « رينيه ويليام ثورت » الذى شارك فى الدفاع عن المتهمين ، أن وجهة نظر الدولة هى التى سادت منذ أول القضية حتى نهايتها .

أما الفرض بوجود علاقة بين شهادة الدبلوماسيين وبرامج « مصر الحرة » فقد أكدتها الأحداث . ففى الثامن من ابريل سنة ١٩٦٢ ، نقلت كل وكالات الصحف فى العالم خبر الافراج عن الدبلوماسيين الفرنسيين ، ولكن لم تشر أى منها إلى أن برامج «مصر الحرة» قد اختفت بعد أسابيع قليلة . ففى ١٨ مارس سنة ١٩٦٢ ، وقعت اتفاقية « إيفيان » (٤٧) بين الحكومة الفرنسية وبين جبهة التحرير الوطنية (٤٨)، وعم السلام فى الجزائر ولم يعد هناك أى سبب لحرب موجات بين فرنسا ومصر.

ـــ البرامج السرية السوفيتية وإيران :

فى سنة ١٩٧٩ ، كانت البرامج السرية الموجهة من الاتحاد السوفيتى لايران تعبر فى الأصل عن توتر بين موسكو وواشنطن . وتفجرت الأزمة الأولى فى يناير سنة ١٩٧٩، أى قبل سقوط نظام الشاه ، والثانية فى نوفمبر من العام نفسه عن احتجاز بعض العاملين فى السفارة الأمريكية فى طهران كرهائن،وفى أثناء الأزمة الايرانية ، استخدم السوفييت فعلاً محطة قوية « الصوت القومى لايران » وقدرت خدمات الإستماع الغربية وجودها فى « باكو » علي الحدود السوفيتية الايرانية (٤٩). وكانت هذه المحطة التي تبث برامجها بالفارسية وبلغات إيرانية أخرى محطة سرية بدرجة أو بأخرى ما دامت روسيا لم تعترف بوجودها رسمياً ، يضاف إلى ذلك البرامج التى يشرف عليها حزب « توديه » (٥٠) والذى كانت له محطة إرسال فى برلين الشرقية (٥١) . ولقد استأنفت هذه المحطة نشاطها فى نهاية سنة ١٩٧٨ بعد فترة توقف طويلة لتحسن العلاقات بين الشاه وموسكو وفقا لما تقوله صحيفة «النيويورك تايمز » (٥٢) . وتؤكد هذه الصحيفة الأمريكية أن روسيا قد وافقت على وقف برامج حزب « توديه » مقابل أن تسلم طهران لروسيا الطيار السوفيتى الذى لجأ إلى ايران .

وفى أثناء الإضطرابات التى سبقت سقوط نظام الشاه ، استأنفت روسيا بث برامجها الموجهة . فقد كانت محطة باكو إلى جانب الدعاية ضد امريكا مثلا تبث تحذيرات حول كيفية تنظيم مظاهرات أو تصنيع قنابل يدوية ، وزجاجات «كوكتيل مولوتوف»(٥٣) . وقد أطلقت هذه المحطة كلمة الحرب المقدسة «الجهاد» (٥٤) قبل الإمام الخمينى بينما كان الأمريكيون ما زالوا يراهنون على استمرار حكومة «بختيار» التى شكلها الشاه .

ولقد اتخذت الولايات المتحدة فى الفترة المذكورة ثلاثة اجراءات دبلوماسية تجاه الاتحاد السوفييتى ، فقدمت احتجاجين لموسكو لأن الاتحاد السوفييتى قد بث - من وجهة نظر واشنطن - « أكاذيب » عن السياسة الأمريكية في ايران . وفي ١٦ فبراير سنة ١٩٧٩ ، اتصل الرئيس كارتر اتصالاً عاجلاً بمستشاريه الرئيسيين للسياسة الخارجية وبرئيس المخابرات الأمريكية لدراسة وسائل الرد بفاعلية على « حرب الموجات التى يشنها الاتحاد السوفييتى ضد الولايات المتحدة فى ايران » (٥٦) . وبعد فترة ، وعلى اثر احتجاز العاملين في السفارة الأمريكية في طهران كرهائن ، احتجت واشنطن بعنف قبل موسكو لأن البرامج التى كانت تبث من محطة « باكو » باللغة الفارسية بررت في البداية احتجاز الدبلوماسيين الأمريكيين مما يتعارض والموقف الرسمى للحكومة السوفييتية . وأمام رد الفعل الأمريكى وتصاعد التوتر تحولت النغمة ١٨٠ درجة (٥٧)، فقد رددت المحطة نفسها بعد أيام قليلة أنه على المستوى السياسى من الأفضل للجمهورية الايرانية إطلاق سراح الرهائن ، مما يؤكد أن هذه الإذاعة المسماة « صوت إيران القومى » . تخضع فعلا لإشراف سوفيتى .

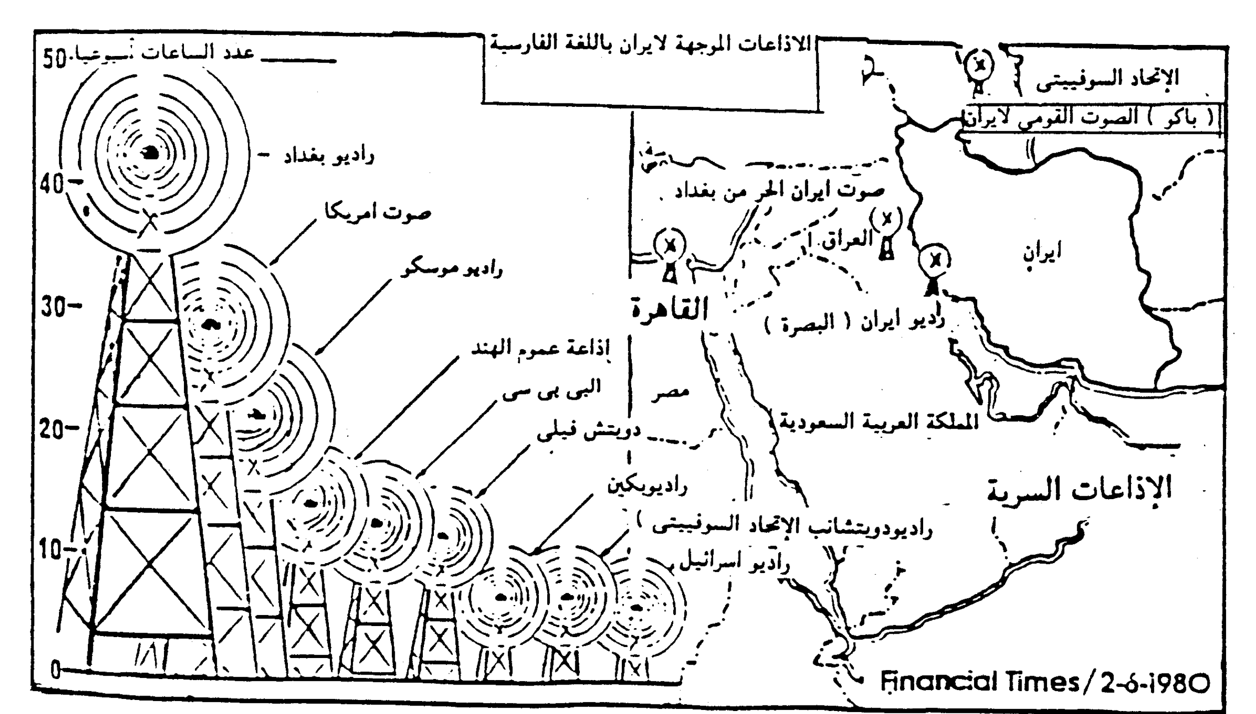
وفى شهر يناير ١٩٨٠ ، وفى فترة واكبت المباحثات حول إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين فى إيران ، مارس السوفييت مرة أخرى ضغوطهم على واشنطن باستخدام محطتهم السرية،وأيضاً من خلال البرامج المذاعة بالفارسية من راديو موسكو . وكانت هذه البرامج تؤكد فعلاً على أن الولايات المتحدة تستعد لتدخل عسكرى فى ايران ، وأن هذا التدخل ، على الرغم من المباحثات ، « يمكن أن يحدث فى لحظة أو فى أخرى». وجاء رد الفعل الأمريكى عنيفاً ، فقد طلب «ادموند مسكى» (٥٨) سكرتير الدولة الأمريكى فى بيان رسمى وجهه إلى « أناتونى دوبرنين » (٥٩) سفير الاتحاد السوفيتى

فى الولايات المتحدة وقف هذه الدعاية فوراً لأن استمرار تقديمها « قد تكون له آثار خطيرة على مستوى العلاقات الأمريكية / السوفيتية وعلى الرأى العام فى الولايات المتحدة » . وأضاف البيان أن الاتهامات الموجهة من الإذاعة السوفيتية «لا أساس لها وتبدو وكأنها تهدف التأثير على سير المباحثات» بين الولايات المتحدة وإيران لتحرير الرهائن الامريكيين . وبعد هذه الخطوة تغيرت نغمة المحطة السوفيتية مرة أخرى . وفى الواقع ، كان كل شيء يشير إلى أن موسكو تريد استعراض قوتها فى المنطقة وأن تظهر لواشنطن أن تسوية مشكلات الشرقين الأدنى والأوسط لا يمكن أن تتم بدون الإتحاد السوفيتى ولا يستبعد أن يكون ذلك إنذاراً لتذكير الولايات المتحدة بالاحتجاجات السوفيتية ضد البرامج الغربية الموجهة لبولندا إذ كانت تلقى على هذه الإذاعات مسئولية تصاعد أزمة بولندا .

ولقد أرجع البعض هذا التغيير المفاجيء إلى تردى السياسة السوفيتية بالنسبة لايران . ففى كل مرة تتفجر فيها أزمة فى العالم الثالث ، كانت المحطات السرية تقوم بدور فعال كان يسمح للحكومات بالتصرف بدون أن تتحمل المسئولية رسمياً . ومن جهة أخرى ، واصلت محطة « باكو » تقديم برامجها بعد انتصار الإمام خمينى ، ولم تتردد أحياناً فى نقد بعض أوضاع النظام ، وبخاصة تأثير رجال الدين وانتقادهم للحزب الشيوعى فى « توديه » ولقد عانى نظام الخمينى من هجوم محطة سرية أخرى فى العراق. وكانت برامج هذه المحطة ، التى يقدمها ضباط سابقون فى جيش الشاه كانوا قد لجأوا إلى بغداد ، تخاطب الجيش الإيرانى بوجه خاص وتدفعه إلى الثورة ضد النظام الدينى . ولقد مهدت هذه الحرب من خلال الموجات بين طهران وبغداد للصراع العراقى الإيرانى الذى تفجر فى نهاية سنة ١٩٨٠ .

ولقد واجه نظام الخمينى أيضاً هجوماً من محطات سرية أخرى من بينها ثلاث محطات للمعارضين للنظام فى الخارج ، وثلاث محطات ظهرت فى الشهور الستة الأولى من سنة ١٩٨٠ . ولاقت برامج هذه المحطات إقبالاً من المستمعين فى إيران بل كانوا يقومون فى الغالب بتسجيلها .

القصف الإذاعى على ايران فى سنة ١٩٨٠



وفى العراق كانت هناك محطتان هما : «راديو ايران» الذى ارتبط اسمه باسم «شابور باختار» ، و «صوت ايران» (٦٠) الناطق باسم الجنرال «غلام على أوفيسى» (٦١) . ويبدو أن المحطة الثالثة «راديو الوطن» كانت تبث من القاهرة ، وتختفى وراءها المخابرات الأمريكية بموافقة من الرئيس السابق أنور السادات على الطلب المقدم من « برزرنسكى » (٦٢) مستشار الأمن القومى للرئيس كارتر . وكانت البرامج تحرض الجيش الإيرانى على عدم مواجهة الثوار الأكراد بالسلاح ، وتوجه رسائل لمساندة رئيس الوزراء السابق «باختيار» (٦٣) . وهكذا عانت إيران فى سنة ١٩٨٠ من قصف إذاعى حقيقى كما هو واضح فى الرسم السابق الذى نشرته « الفاينتشيال تايمز » اللندنية (٦٤).

ولقد كان الشرق الأدنى ، وما يزال ، الساحة المفضلة للمحطات السرية التى تقيمها الأنظمة العربية ضد الأخريات . وتظهر هذه البرامج وتختفى تبعاً للأزمات ودرجة التوافق بين العواصم فى المنطقة . ولكى يعود الوئام فان ذلك يتطلب فى الغالب شروطاً لوقف الإعتداء الإذاعى .

— المحطات السرية وجنوب افريقيا

فى افريقيا ، ومن خلال المحطات السرية ، وضعت حرب الموجات الأنظمة التقدمية فى افريقيا الجنوبية فى مواجهة الأنظمة فى جنوب افريقيا وفى روديسيا قبل استقلال « زيمبابوى » . ولمحاربة الدعاية التى كان يقوم بها القوميون ، قامت « بريتوريا » عدة مرات ببث برامج تشير إلى أنها من حركات المقاومة للأنظمة الحاكمة فى دار السلام « ما بوتو » أو « لواندا » (٦٥) .

— المحطات السرية الأمريكية

كانت المخابرات الأمريكية تلجأ غالباً إلى المحطات السرية فى إطار عمليات الدعاية . ولقد حدث وقامت كذلك بانشاء محطات يبدو وكأن السوفييت يديرونها (٦٦).

وظلت أجهزة المعلومات الأمريكية لفترة طويلة تستعين بالمحطات السرية ضد «فيدل كاسترو» فى كوبا . ولعبت هذه المحطات دوراً هاماً فى أثناء عملية خليج الخنازير (٦٧) فى سنة ١٩٦١ (٦٨) . وفى وقت لاحق ، استخدمت الإذاعات السرية لزرع بذور الشك فى نفوس الشعب الكوبى فيما يتعلق بسياسة «فيدل كاسترو» الأفريقية . فقد كان لهذه المحطات السرية دور فى الكشف عن خسائر كوبا فى أنجولا وأثيوبيا ، وكان رجال المقاومة فى جبهة تحرير أفريقيا (٦٩) يزودون هذه المحطات بالمعلومات التى تساعد فى تقديم برامج تتناول بعض الشخصيات العسكرية من الكوبيين الذين قتلوا فى أنجولا.

وفى سنة ١٩٦٧ عندما قامت الثورة الثقافية فى الصين ، أرادت المخابرات الأمريكية خلق معارضة للنظام فى بكين وإثارة الإضطراب بين المواطنين فأنشأت محطتين سريتين فى «تايوان» (٧٠) .

— المحطات السرية والخلاف الصينى / السوفيتى

لجأ الإتحاد السوفيتى إلى هذا النوع من المحطات بعد تفجر الخلاف الصينى / السوفيتى ، وظهرت محطة باسم « راديو الحزب الشيوعى الصينى » لشن حملة ضد «انحرافية» ماوتسى تونج تبشر بالعودة إلى الصف الماركسى اللينينى الحقيقى ، ويقوم شيوعيون صينيون موالون للسوفييت ممن لجأوا إلى الاتحاد السوفيتى بتقديم هذه البرامج . وردا على هذا الهجوم ، أقام الصينيون محطة لمساندة المطالب القومية للجمهوريات السوفيتية الآسيوية ، وكان لبكين خبرة ما فى مجال المحطات السرية . وفى الخمسينات والستينات ، كانت لمعظم الحركات الثورية فى آسيا محطات للراديو خاصة بها تنطق من الصين الشعبية . وأقامت بكين بوجه خاص محطة « صوت اليابان الحر » باللغة اليابانية إلا أنها أغلقت فور تطبيع العلاقات بين بكين وطوكيو .

يجدر التنويه هنا بالدور الذى لعبته المحطات السرية عندما غزت قوات المحور وارسو فى تشيكوسلوفاكيا صيف سنة ١٩٦٨ . ولقد استمر الموالون «لخريف براغ» فى بث برامج مجهولة الهوية (بأسلوب القرصنة) لأسابيع عدة بعد عزل «الكسندر دوبك» (٧١) لشجب العمل غير القانونى الذى قام به السوفييت . ولقد قام السوفييت فور وصولهم إلى براغ باحتلال مقر الإذاعة التشيكوسلوفاكية ، ولكن بدأت تظهر فوراً محطات سرية على طول البلاد وعرضها . هذه المحطات المجهولة كان قد أقامها سراً بعض المهندسين والفنيين وسلمت للجيش التشيكوسلوفاكى ، وكانت مزودة بأجهزة متطورة جداً لا يمكن اكتشاف موضعها بالوسائل التقليدية ، كذلك زودت هذه المحطات بجهاز إنذار خاص فى حالة اكتشاف موقعها ، حيث تصمت المحطة تماماً ويرحل البث إلى محطة إرسال أخرى تبث على طول الموجة نفسه . ولما فهم التشيكوسلوفاكيون أن هناك محطات للراديو ما زالت تبث رغم أنف السوفييت وتحت سمعهم هرعوا إلى المحلات التجارية للحصول على أجهزة الترانزستور التى كانت بها . وبدأ سكان براغ يتجولون فى الشوارع وجهاز للراديو فوق آذانهم ؛ وكانوا يفعلون ذلك جهاراً أمام قائدى المدرعات الروسية ، بل ويرفعون من صوت المذياع عندما تكون هناك أغنية تندد بالسوفييت وتهاجمهم .

وللقضاء على هذه « الإذاعات الحرة » ، لم يتردد السوفييت فى ليلة ٢٥ - ٢٦ أغسطس سنة ١٩٦٨ فى تفجير محطة إرسال كراسوف (٧٢) بوحشية ، وكانت هذه المحطة من أحدث المحطات فى أوربا . وسخر التشكوسلوفاكيون من ذلك ، فقد كان لديهم ٣٥ محطة إرسال سرية وثمانون محطة احتياطية منتشرة فى كل البلاد إلى جانب المحطات الشهيرة التى أقامها السوفييت فى إطار الإجراءات الوقائية لحلف وارسو .

وطوال أكثر من أسبوع كانت هذه الإذاعات بمثابة صوت الأمل لأربعة عشر مليونا

من التشيكوسلوفاكيين ، مكنتهم أيضاً من التضامن وتنظيم حياتهم لمقاومة المحتل .
«فبفضل الراديو بصفة خاصة ، استطاع المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى أن يجتمع سراً فى مصنع بضاحية من ضواحى براغ تحت حماية الميلشيا من العمال المتطوعين فى العمل الوطنى . وبدون شك يعتبر هذا الاجتماع واحداً من أهم ما ساهمت به الاذاعات الحرة » (٧٣) .

ولم يستمر هذا الحال طويلاً . فلقد انتهى الأمر بأن فرض السوفييت «التطبيع» باستخدام القوة العسكرية ، ولجأ غالبية العاملين فى هذه المحطات إلى دول أجنبية .

ـ طبيعة تأثير المحطات السرية

فى الحقيقة ، هناك أهداف محدودة للمحطات السرية . ويمكن لهذه المحطات أن تكون فى الوقت نفسه أداة للتخريب لخلخلة نظام ما ، أو وسيلة للمقاومة للكفاح ضد خصم أكثر قوة .

ويمكن أن يكون لهذه المحطات تأثير على المستوى المحلى أو الإقليمى ، إلا أن حجم هذا التأثير متواضع فى مجمله . وتقدم المحطات السرية ألف ساعة من البرامج أسبوعياً مقابل ١٧٠٠٠ ساعة تبثها الإذاعات الموجهة (٧٤) .

الفصل السادس

وسائل الإعلام والسياسة الخارجية

المبحث الخامس عشر : دبلوماسية الموجات : الجوانب التقنية والنفسية.

المبحث السادس عشر: العمل الإذاعى الخارجى وإرادة القوى.

المبحث السابع عشر : من الحرب الأيديولوجية إلى الحرب الاقتصادية .

المبحث الخامس عشر

دبلوماسية الموجات

الجوانب التقنية والنفسية

فى مجال الإذاعة الموجهة ، هناك ثلاثة عناصر هامة هى : قوة محطة الإرسال ، ومحتوى البرامج ، وأجهزة الإستقبال ، إذ تتنافس المحطات الكبرى للإذاعة فى الاستحواذ على المستمعين .

جدول رقم (٧)

أهم الدول التى تبث برامج موجهة [١]

الدولة	إجمالى عدد ساعات البرامج (اسبوعيا)		عدد اللغات	
	فى يونيو ١٩٧٩	فى ديسمبر ١٩٧٨	فى يونيو ١٩٧٩	فى ديسمبر ١٩٨٧
الاتحاد السوفيتى	٢٠١٠	١٩٠٦	٨٥	٨٢
الولايات المتحدة	١٨٣٦	٢٠٠٦	٤٥	٥٢
جمهورية الصين الشعبية	١٤٠٠	١١٨٠	٤٦	٣٨
المانيا الإتحادية	٧٩١	٧٢١	٣٩	٣٣
بريطانيا العظمى	٧١٢	٧٢٥	٣٩	٣٩
مصر	٥٤٢	٥٩٩	٣٠	٣٥

(ملحوظة : الأرقام الخاصة بالولايات المتحدة تشمل صوت أمريكا واذاعة أوربا الحرة وراديو الحرية ، وتشمل الأرقام الخاصة بألمانيا الإتحادية برامج دويتش فيلى و دويتش رونتفونك [٢]) .

هكذا نجد أن البرامج التى تقدمها الإذاعة السوفيتية باللغة الانجليزية فى ١٨ ساعة لمنافسة « الخدمة العالمية » للبى بى سى وصوت أمريكا ، تتبنى نغمة هادئة تتماثل وما تقوم به الإذاعات الغربية (٣) . فغالباً ما تقدم برامج الدول الاشتراكية بنغمة مذهبية وعقيدية مما يجعلها مضجرة . وفى مقابل ذلك ، كانت التعليقات الصينية التى كانت تقدم فى شكل مناقشات فى أثناء فترة الثورة الثقافية تجتذب عدداً كبيراً من المستمعين الذين كان يسرهم الاستماع لهذه المواد « المسلية » .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية والبرامج الموجهة للخارج لم تتوقف عن الزيادة . ومع ذلك فإن حجم هذه البرامج يرتبط وفترات التوتر والهدوء النسبى فى العلاقات الدولية ، وغالباً ما تتركز البرامج الدولية فى المناطق ذات الحساسية الخاصة . وفى حالة ما إذا كانت هناك برامج «ودية» فإنها لا يمكن أن تكون نزيهة مجردة ، لأنها تعكس أيديولوجية معبرة عن مصالح دولة أو حزب أو معسكر أو عقيدة ، أى ببساطة مصالح خاصة . وفعلاً ، يجب أن ينوب عن السياسة الخارجية ، كما هو شأن السياسة الثقافية أو الاقتصادية الدولية لدولة ما ، إعلام تقدمه بوجه خاص الإذاعات الموجهة للخارج .

— خصائص المستمع للبرامج الموجهة

المستمع للبرامج الموجهة للخارج هو أولاً ساكن لمدينة ، وهذا ينطبق على دول أوربا الشرقية ودول العالم الثالث ، وهو ما خرجت به عدة دراسات أجرتها بوجه خاص البى بى سى وهيئة أبحاث أمريكية فى افريقيا (٤) . كذلك فإن هذا المستمع قد أتم دراساته الثانوية أو العليا ، ويصدّق هذه الإذاعات الأجنبية أكثر فى مجال الأخبار . وهذا النمط للمستمع للموجات القصيرة لا يمر دون تأثير على محتوى البرامج ، فغالباً ما تشكل المواد الإخبارية والتعليقات أهم موضوعات هذه الإذاعات .

ومع ذلك ، فإن تغيير الاتجاه السياسى لدولة ما يمكن أن يكون له تأثير على محتوى البرامج . فمثلاً خصصت إذاعة « صوت العرب » فى العهد الناصرى ثلاثة أرباع برامجها للعمل النفسى . ومع مجىء السادات بسياسته الجديدة ، عدلت هذه الإذاعة تماماً

برامجها مع احتفاظها باسمها ، وحل محل الأناشيد الوطنية والدينية أغنيات أصبحت منذ ذلك الحين تمثل نسبة ٢٧٪ مقابل ٤٪ بالنسبة للأناشيد الوطنية والدينية .

وقبل سنة ١٩٧٠ كانت أهم الأخبار والتعليقات تخص العالم العربى، وفى سنة ١٩٧٨ ، لم تتجاوز نسبة هذه الفئة ٤٪ . والواقع أن خريطة البرامج تعكس جيداً اتجاهات اختارتها القاهرة التى عزمت على الإنسحاب من الصراع الإسرائيلى / العربى وعلى الإهتمام بدرجة ما بالموضوعات الخاصة بوادى النيل (٥) .

– تطور أجهزة الإستقبال

فى مجال الإذاعة الموجهة ، لا يقتصر الأمر على محطات الإرسال والبرامج ، فهناك أيضا أجهزة الاستقبال . وفى هذا المجال أيضاً عاصرنا منذ الحرب العالمية الثانية تطوراً مطردا بفضل الترانزستور والأجهزة التى تعمل بالحجارة ، ولمسنا انخفاضا مستمراً فى أسعار هذه الأجهزة .

– استخدام الموجات المتوسطة والقصيرة فى البرامج الموجهة

بكل تأكيد ، هناك دول عديدة تبث برامج موجهة للخارج باستخدام الموجات المتوسطة بفضل محطات التقوية . وفى هذه النقطة ، تجدر الإشارة إلى ندرة الإحصائيات الدقيقة فى هذا الشأن ، إذ لا توجد سوى أرقام تقديرية . ووفقاً لدراسة قام بها صوت أمريكا فى سنة ١٩٦٧ عن محطة أمريكية خاصة تبث على الموجات القصيرة ، ظهر أن هذه المحطة تخدم ٥٤٢ مليون جهاز استقبال ، وأن هناك ١٠٨ ملايين جهاز (أى ٢٠٪) مجهزة لالتقاط الموجات القصيرة .

ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن هذه النسبة ترتفع إلى ٣٠٪ إذا استبعدنا الولايات المتحدة وكندا التى من بين ٢٤٢ مليون جهاز موجودة فيها لا نحصر سوى ٣٢٥٠٠٠٠ جهاز للموجات القصيرة .

ويبدو أن هذه النسبة الخاصة بسنة ١٩٦٧ لم تتغير فى سنة ١٩٦٩ حيث أشار إحصاء آخر قدمه كذلك صوت أمريكا إلى أن أكثر من ٣٠ مليوناً من الأجهزة كان يمكنها التقاط الموجات القصيرة (باستبعاد الولايات المتحدة وكندا) .

فإذا كان عدد أجهزة الاستقبال المجهزة لاستقبال الموجات القصيرة فى الولايات المتحدة وكندا عام ١٩٦٩ يقدر بحوالى أربعة ملايين ، فإن هذا يعنى أن عدد الأجهزة التى كانت تلتقط البث على الموجات القصيرة يقدر بحوالى ١٣٥ مليون جهاز فى الفترة المذكورة .

وفى سنة ١٩٧٥ ، كان عدد الأجهزة على مستوى العالم يقدر بحوالى مليار جهاز، أى بنسبة جهاز واحد لكل أربعة أشخاص فوق الكرة الأرضية ، ويمكن لجهاز واحد من كل ثلاثة من هذه الأجهزة التقاط برامج الموجات القصيرة . هذه النسبة قد زادت كثيراً حالياً لأن الأجهزة المعدة لالتقاط الموجات القصيرة قد زاد توزيعها بفضل أسعارها المنخفضة والتطور التقنى الذى قدمته الصناعة اليابانية فى شكل ترانزستور .

وليس من العجيب إذن أن نجد زيادة مطردة فى حجم البرامج الموجهة للخارج على مستوى العالم ، على الرغم من ظهور وسائل أخرى للبث والإعلام والدعاية . ومن المؤكد أن أجهزة الإستقبال المعدة لاستقبال الموجات القصيرة أكثر انتشاراً فى دول العالم الثالث وفى الدول الإشتراكية عنه فى الديمقراطيات الشمولية فيما عدا اليابان . وهناك دول عديدة فى العالم الثالث ، وأيضاً الإتحاد السوفيتى ، تقوم ببث بعض برامج من إذاعاتها الوطنية لمواطنيها على الموجات القصيرة بسبب اتساع الرقعة الجغرافية لهذه الدول .

ـــ محطات الإرسال

فى عام ١٩٧٢ ، قدر عدد محطات الإرسال على الموجات القصيرة فى العالم بحوالى ١٣٦٥ محطة (٦) . وفى الواقع ، هناك دول عديدة لا تبوح بالعدد الحقيقى

لمحطات الإرسال فيها ، ولا بقوة هذه المحطات ، كما هو الحال مثلاً بالنسبة للإتحاد السوفيتي الذى كان عدد محطات الإرسال لديه سنة ١٩٨٠ حوالى أربعين محطة قوتها ٥٠٠ كيلووات (٧) ، وقدر قسم البحوث فى الإذاعة الفرنسية (٨) عدد المحطات التى تبث على الموجات القصيرة عام ١٩٨٠ بحوالى ٥٤٠٠ محطة .

— الإقبال على البرامج الموجهة فى وقت الأزمات ورسائل المستمعين

إذا كان الاقبال على البرامج الموجهة يزيد فى وقت الأزمات ، سواء بالنسبة للمرسل كما هو بالنسبة للمستقبل ، فإن تحرير بعض الأنظمة يسمح بقياس تأثير الإذاعات الأجنبية فى دولة ما . ففى الإذاعة الموجهة لفرنسا ، لوحظ مثلاً زيادة الرسائل المرسلة من غينيا بعد تطبيع العلاقات بين باريس وكوناكرى فى سنة ١٩٧٥ . ويتضح ذلك أيضاً من خلال تجربة البى بى سى وصوت أمريكا واذاعة استراليا مع الصين الشعبية، إذ أن الرسائل المرسلة من الصين إلى الإذاعة البريطانية كانت نادرة . والحالة هذه ، وفى وقت وجيز بعد القضاء على «عصابة الأربعة» ، بدأ سيل الرسائل الصينية التى وصل عددها فى شهر مارس سنة ١٩٧٩ فقط إلى ٢٠٠٠ رسالة مرة واحدة (٩) .

ولقد حدثت الظاهرة نفسها مع صوت أمريكا الذى كان يستقبل لسنوات عديدة خطاباً واحداً يخص برامجه التى تقدم بالصينية ، بما فيها دروس اللغة الإنجليزية من خلال الراديو التى كان لها صندوق بريد خاص بها فى هونج كونج . ولكن خلال الشهور الأخيرة من سنة ١٩٧٤ ، كان يصل هذا الصندوق أربعين رسالة يومياً تطلب نصوص هذه الدروس ، مما اضطر صوت أمريكا تخصيص ميزانية إضافية لتلبية طلبات المستمعين لأنه كان قد مضى وقت طويل لم تطبع فيه هذه الدروس (١٠) . إلا أن أحد المراقبين الفرنسيين سأل وقد فوجىء في زيارة للصين بمقابلة بعض الطلبة الذين يتحدثون الإنجليزية بلكنة أمريكية : « هل تتعلمون الإنجليزية من خلال الدروس اليومية التى تقدمها إذاعة بكين ؟ » وكان الرد : « أبدا ، فإن هذا إنجليزى صينى ، فنحن نستمع للبى بي سى وكذلك صوت امريكا » (١١) .

أما إذاعة أستراليا ، فإن المفاجأة كانت أقوى ، فقد وصلت ٤٠٠٠٠ رسالة إلى البرامج الصينية فى إذاعة ملبورن فى بداية سنة ١٩٧٩ ، وكانت هذه الإذاعة لا تستقبل سوى ٤٠ رسالة فى السنة . وأمام هذا السيل المنهمر من الرسائل ، كان على إذاعة ملبورن أن تتخذ قراراً بعدم إذاعة عنوان صندوق بريدها ، وكانت الرسائل تصلها من كافة أنحاء الصين . ولقد اعترف بعض المراسلين أنهم كانوا طوال سنوات عديـدة « مستمعين سريين » لإذاعة استراليا ، وأنهم لم يتمكنوا من ضبط أجهزة الراديو جهارا على هذه الإذاعة إلا فى الشهور الأخيرة فقط .

ولقد أفصحت رسالة أرسلت من محافظة « هونان » أنه « منذ سقوط عصابة الأربعة ، حدث التحرير ، ولدينا الشجاعة الآن فى أن ننظر إلى خارج الصين » .

ولقد راعت إذاعة استراليا أن الصين كانت فى سبيلها لتصنيع أجهزة للراديو لالتقاط الموجات القصيرة وبثمن زهيد لكى يتمكن أفراد الشعب من الإستماع للبرامج الأجنبية (١٢) . ولم يغب عن الفاتيكان هذا الإنفتاح ، فقرر فى نهاية سنة ١٩٧٩ تدعيم برامجه الموجهة بالصينية .

ولقد أصبحت البرامج الصينية فى إذاعة الفاتيكان يومية بعد أن كانت تبث خمسة أيام فى الأسبوع . ولقد صاحب تدعيم البرامج الصينية انفتاح المقر البابوى على بكين . فقد ظلت السلطات الصينية تمنع الاستماع للإذاعات الأجنبية حتى وفاة الرئيس ماوتسى تونج ، وتم إعدام بعض المواطنين فى الصين فى أثناء الثورة الثقافية لعدم احترامهم التعليمات (١٣) ، وأصبح التحريم بعد ذلك يخص فقط راديو موسكو وراديو تايوان .

ـ الإذاعة فى الصراع الصينى / الفيتنامى

قلة إعلام بالنسبة للبعض ، وحب استطلاع وبحث عن مزيد من الأخبار عن الدول الأخرى بالنسبة لآخرين ، من المؤكد أن للإذاعات الموجهة جمهوراً عريضاً . وغالباً ما

يسمح الاستماع للبرامج الموجهة من دولة ما باكتشاف أهدافها ، بل حتى رؤيتها المحدودة وتخبطاتها . ويتضح ذلك بجلاء فى فيتنام قبيل غزوها «كمبوتشيا» فى سنة ١٩٧٩. فلقد بدأت فيتنام منذ بداية سنة ١٩٨٧ تهيئة الرأى العام الآسيوى لتدخلها فى كمبوتشيا ، فبدأ راديو « هانوى » فى مايو سنة ١٩٧٨ تقديم برنامج يومى بعنوان «أحداث ووجهات نظر عن كمبوتشيا » فى إذاعته الموجهة باللغة الانجليزية لجنوب شرقى آسيا . ووفقا لقسم الإستماع فى إذاعة البى بى سى، كان هذا البرنامج يقدم أساساً أخباراً وتعليقات للصحافة العالمية المعادية لنظام الخمير الحمر ، واستمر ذلك سبعة شهور قبل دخول قوات فيتنام « بنوم بنه » . وهناك دلائل أخرى تجعلنا نعتقد أن قرار الفيتناميين بالتدخل العسكرى فى كمبوتشيا يرجع إلى هذه الفترة بمناسبة انعقاد اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفيتنامى (وفقا لما يراه مراقب فرنسى موثوق به كان يقيم فى هانوى فى تلك الفترة) .

وفى أثناء الشهور التى تلت ذلك ، كثفت إذاعة هانوى حملتها الإذاعية ، وكان البرنامج الموجه باللغة الكمبوتشية قد بدأ منذ اكتوبر سنة ١٩٧٨ يشير إلى أن المناطق المحررة فى كمبوتشيا سوف توضع تحت إشراف المعارضين للنظام ، إلا أن هيئة الإستعلامات فى الدول الغربية لم تلاحظ أى شيء (١٤) . وفى الواقع ، كانت أخبار راديو هانوى تعلن عن عملية تشير إلى وجود حكومة موالية لفيتنام فى بنوم بنه والتى حاولت هانوى تقديمها على أنها نتيجة للمعارضة الداخلية .

ولقد تأكدت بعد ذلك نوايا فيتنام بالتدخل فى إنشاء محطة إذاعة « صوت الشعب الكمبوتشى » التى بدأت برامجها فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٧٨ . ولقد حددت خدمة الإستماع فى البى بى سى موقع هذه الإذاعة فى جنوب فيتنام ، ونقلت هذه المحطة إلى بنوم بنه مع دخول القوات الفيتنامية واستقرار النظام الجديد فى يناير سنة ١٩٧٩ . وفى هذا الوقت ، نقل «صوت كمبوتشيا الديمقراطية» للخمير الحمر إلى إقليم « يونا » (١٥) فى الصين لكى يواصل بثه .

ولقد انعكس الصراع الصينى الفيتنامى فى فبراير سنة ١٩٧٩ فى تكثيف الدعاية من خلال الراديو . ومنذ بداية الهجوم الصينى ، زادت برامج إذاعة بكين باللغة الفيتنامية من ٣٥ ساعة إلى ٣٠و٣٨ ساعة أسبوعياً . كذلك يمكن ملاحظة مجهودات الفيتناميين فى هذا الشأن ، فقد وصلت برامج هانوى الموجهة للخارج باللغة الصينية إلى ثلاث ساعات ونصف الساعة فى الأسبوع ، ووصلت البرامج الموجهة لجنوب شرق آسيا والهند باللغة الانجليزية إلى ساعتين يومياً .

– الإذاعة والموقف فى ايران والتدخل السوفيتى فى أفغانستان

كانت الثورة الإسلامية فى إيران وغزو القوات السوفيتية لأفغانستان (١٩٧٦/ ١٩٨٠) فرصة للدول الشرقية والدول الغربية لزيادة نشاطها الإذاعى . وهكذا ، على الرغم من ضغط الحكومة البريطانية لميزانيتها ، قررت زيادة برامجها الموجهة للاتحاد السوفيتى وأفغانستان . ولقد فسرت «مارجريت تاتشر» رئيس الوزراء هذا القرار موضحة أن خطر وقوع حرب نووية يجعل من المستحيل على الغرب القيام بعمل عسكرى رداً على الإعتداء السوفيتى .لذلك كان ينبغى اللجوء إلى حلول أخرى وبخاصة إلى العمل الإذاعى للتأثير على الرأى العام فى الاتحاد السوفيتى(١٦). ولقد قرر الجانب الأمريكى زيادة برامجه التى تقدم فى لغات الشعوب الاسلامية بآسيا الوسطى السوفيتية. وأعطيت هذه المهمة لراديو الحرية فى ميونخ . ولقد قام صوت أمريكا من جانبه ببث برنامج جديد بلغة أزدبيجان السوفيتية (١٧) . وعقدت اتفاقيات مع مصر ومع إسرائيل لإقامة محطات إرسال جديدة للإذاعات الأمريكية . وأقيمت منشئات إسرائيلية للبث إلى الأقاليم التى تسودها المسيحية ، بينما اختصت المنشئات المصرية بالأقاليم الإسلامية (١٨) بهدف مضايقة السوفييت ، فوسائلهم الإعلامية لم تتناول موضوع التدخل والموقف الحقيقى فى أفغانستان .

ولقد ذكر مراسل لوكالة الأنباء الفرنسية فى موسكو أن « القضية الأفغانية تشغل بال من يبحثون استكمال تفاصيل الأخبار بالإستماع للإذاعات الأجنبية وهم كثيرون » .

ويسود القلق بوجه خاص بين فئة المثقفين الذين يعيشون الأحداث عن عامة أفراد الشعب بسبب اتصالهم بالأجانب وبسبب الأخبار التى يذيعها صوت أمريكا والبى بى سى (١٩) . ولقد أثارت النشرات الإخبارية والتعليقات التى تقدمها محطات الإذاعة الغربية نوعاً من البلبلة ، وبدأ كثير من السوفييت ينظرون بريبة لحقيقة المبررات التى طرحتها الحكومة لتبرير تدخلها ، وبدأوا يتساءلون : « ماذا سنفعل هناك؟ » ومهما كانوا موافقين أو غير موافقين - فقد أبدوا ذلك بصفة عامة - فانهم يعرفون معنى التدخل فى تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ الذى كان يعنى « حماية » دولة تعتبر جزءاً من « المعسكر الاشتراكى » ، ولا شىء من هذا يتعلق بأفغانستان .

وفى الأوساط الشعبية ، كان الإهتمام ينصب أول كل شىء على مصير الجنود . أما بين طبقة المثقفين وبعض الأوساط المهنية - على مستوى عال أحياناً - فقد كان هناك تساؤل يدور حول مدى أهمية ارسال قوات إلى بلد كان من الناحية التقليدية دولة تحت الحماية ولا تتسبب فى إثارة أى مشكلة جديدة . وكان الجميع فى شك من « تبنى دولة أخت » جديدة خشية أنه بعد كوبا وفيتنام وأنجولا ، سوف تضاف إلى قائمة الدول التى يجب « إعالتها » (٢٠) . وهكذا حقق العمل الإذاعى للغرب هدفه ، وبخاصة بالنسبة للولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والمانيا الإتحادية .

وأمام الرأى العام الذى ساد فيه ، كان على الإتحاد السوفيتى أن يأخذ موقف المدافع . وغداة احتلال « كابول » ، عرض التليفزيون السوفيتى فيلماً لكى يوضح أن العاصمة الأفغانستانية كانت هادئة ، ولكى يكذب أخبار « الإذاعات الغربية التي كانت تتحدث عن الدم المراق هناك ، وعن المعارك التى تدور فى الشوارع » (٢١) ، وواكب ذلك زيادة فى البرامج الموجهة من الولايات المتحدة لكل من إيران وأفغانستان ، ولكن عاب بعض المتخصصين على إذاعة صوت أمريكا تدعيمها للبرامج المذاعة بالفارسية فقط ما دامت هذه اللغة لا يعرفها فى أفغانستان سوى المثقفين ، وأكد هؤلاء أن لغة الباشتو والدارى(٢٢) هى أكثر اللغات انتشاراً فى أفغانستان ، ويستخدمها الإتحاد السوفيتى فى البرامج الموجهة لأفغانستان ٢٤ ساعة أسبوعياً منذ الغزو (٢٣) ، ويذكر عبد الرحيم غفرزاى (٢٤) وزير الخارجية السابق والذى استقال احتجاجا على الغزو السوفيتى أن

للبرامج الإذاعية الموجهة لأفغانستان أهمية كبيرة ، فبرامج البى بى سى وصوت أمريكا وصوت المانيا تقول الأخبار للشعب الأفغانى عن كيفية انشغال الرأى العام العالمى بالموقف وهذا يشجعه على متابعة الكفاح (٢٥) .

وكان تجدد المشاعر الدينية فى الجمهوريات الآسيوية التى بها نسبة كبيرة من المسلمين يشكل أخطر المشكلات التى تواجه الاتحاد السوفيتى . وهكذا ، وفى شهر مايو سنة ١٩٨٠ بمناسبة انعقاد مؤتمر علمى ، ألقى غابوروف (٢٦) (السكرتير الأول للحزب التركمانى) المسئولية على « المشعوذين المسلمين » الذين « كانوا يحاولون تأجيج التعصب الدينى » . وكان يرى أن نشاطهم لم يكن خطراً كما هو فى الوقت الحالى ، «أعداؤنا على المستوى الأيديولوجى يراهنون على الدعاية الإسلامية» . ولقد خص رئيس الحزب الشيوعى التركمانى تأثير برامج « الدعاية » على الشعب من راديو «غورغان» (٢٧) وتليفزيون « مشهد » (٢٨) (وهما مدينتان إيرانيتان تقعان على مسافة أقل من مائة كيلومتر من الحدود السوفيتية) (٢٩) .

ولقد أدى التوتر بين الغرب والإتحاد السوفيتى إلى تنفيذ البى بى سى لواحد من المشروعات التى يهتم بها البريطانيون فى مجال الإذاعة الموجهة ، وهو إقامة محطة جديدة للإرسال فى هونج كونج ، إلا أن بكين قد اعترضت على ذلك وكانت قد استخدمت من قبل حق الفيتو ضد إقامة هذه المحطة . ولقد سمح إنشاء المحطة للبى بى سى بتحسين مستوى الإستماع لبرامجها فى جنوب شرق آسيا وفى منطقة سيبريا فى الإتحاد السوفيتى .

وكان هدف الصينيين واضحا ، وهذا بناء على زيادة كثافة الدعاية السوفيتية فى المنطقة ، فقد حاول السوفييت من خلال البرامج الموجهة لإقليم « اكسنتجانغ » (٣٠) إثارة الشعور الوطنى الأصيل المعادى للصينية ، وهو ما يقوم به الصينيون فى برامجهم الموجهة لتركستان (٣١) . ففى واقع الأمر ، كانت الدعاية الغربية المعادية للسوفييت بالنسبة للصينيين تدعم مواقفهم الشخصية ضد سيطرة موسكو .

ولم يقف الاتحاد السوفيتي سلبيا فى الدفاع عن سياسته ، وبخاصة أمام العالم الإسلامى . فلقد اجتهدت البرامج السوفيتية الموجهة للدول الإسلامية فى توضيح أن المادية الفلسفية لا تتعارض فى أى جانب مع حرية الديانة وبخاصة الديانة الإسلامية (٣٢).

وللرأى العام الأمريكى ، أقام راديو موسكو فى بداية سنة ١٩٨٠ محطة للإرسال فى كوبا . وبفضل هذه المحطة كانت برامج الإذاعة السوفيتية تبث على الموجات المتوسطة على أمل الوصول إلى جمهور أعرض . فلقد كان عدد أجهزة الإستقبال المعدة لالتقاط الموجات القصيرة لا تتعدى نسبته ٣ ٪ من مجموع أجهزة الراديو الموجودة فى الولايات المتحدة . وفى مقابل التسهيلات الكوبية ، كان السوفييت يبثون برامج الإذاعة الموجهة من هافانا إلى أوربا وإلى افريقيا ، فلم يكن لدى كوبا محطات قومية للموجات القصيرة ، وكان موقع منطقة الكاريبى يعتبر سيئاً بالنسبة لبث برامج على الموجات القصيرة ، وكانت برامج هافانا ترسل بوساطة «كابل» إلى الإتحاد السوفيتى ومنه إلى الجهة المقصودة ، واستخدمت جمهورية الصين الشعبية هذا الأسلوب لفترة طويلة من خلال محطات مقامة فى البانيا .

ولقد استعاد راديو بكين بث برامجه فى سنة ١٩٦٩ بعد أن ساعدت حكومة الصين الشعبية البانيا فى إنشاء محطات قوية للإرسال على الموجات المتوسطة والقصيرة لخدمة الإذاعة الموجهة فى راديو بكين وراديو طيرانا (٣٣) ، وفى أثناء السنة الأولى لاستخدامها ، قامت ألبانيا بنقل ٤٩ ساعة من برامج راديو بكين أسبوعياً ، ثم ارتفع الرقم إلى ٩١ ساعة وبخاصة باللغات الأوربية والأفريقية .

وترتب على القطيعة بين بكين وطيرانا بعد القضاء على « عصابة الأربعة » أن أوقفت الإذاعة الألبانية برامج راديو بكين . وكانت محطات الإرسال هذه هى التي وفرت بعض المستمعين للبرامج الصينية فى أوساط اليسار المتطرف فى أوربا فى أثناء الثورة الثقافية .

أما فيما يتعلق بمحتوى البرامج الموجهة للخارج فنجد أن الأخبار تسود النوعيات الأخرى من البرامج ، حيث تشكل النشرات الإخبارية والتعليقات وعرض الصحف والمجلات الإخبارية ٧٠٪ فى الغالب من محتوى البوامج ، أما النسبة الباقية (٣٠٪) فكانت للمواد الموسيقية والمنوعات . ولقد أشارت كل البحوث إلى أن الأخبار التى تتناول السياسة الدولية أكثر من غيرها هى التى تجذب المستمعين للإذاعات الأجنبية . وفى الواقع ، فإنه فى مجال الإستماع ومؤشر الرضا لدى المستمعين ، فإن البحوث والدراسات تعتبر جزئية ، وغالباً ما يكون القيام بها مستحيلاً فى بعض الدول التى تنتمى للعالم الثالث وفى الدول الاشتراكية ، وهنا يصبح اللجوء إلى بريد المستمعين أمراً هاماً . ويسمح تحليل الخطابات فعلاً بأخذ فكرة عن المستمع للبرامج وخصائصه بوجه عام وكذلك التوزيع الجغرافى للمستمعين .

وتتنافس الإذاعات فى تقديم هدايا ومكافآت مغرية لاجتذاب مراسلين . فالخطابات تعتبر الدليل الوحيد أمام المسئولين عن البرامج للدفاع عما يقدمونه والحصول على امتيازات من الممولين لها بالاتفاق مع وزارات الخارجية ، وإن كان هذا يتعارض مع البحث عن مستمع بعينه . فالبرامج الموجهة تستهدف أساساً الصفوة ، أى لفئة الشعب الأكثر تأثيراً ، وهى فئة من المستمعين لا تميل إلى الكتابة ، ويتبقى الشباب الذين يشكلون هدفاً آخر للإذاعات الموجهة . ومن المعروف أن الموسيقى الشعبية (البوب) أو الجاز التى يوجهها صوت أمريكا بغزارة إلى الإتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية لها جمهور لا يستهان به بين فئات الشباب بفضل الموسيقى الأفرو أمريكية التى يوفرها لهم .

وتساعد المسابقات فى زيادة حجم بريد المستمعين . ففى سنة ١٩٧٨ ، وصل إلى الإذاعة السوفيتية ٣٠٠٠٠٠ خطاب من مستمعين فى الخارج ، ووصل إلى البى بى سى ٣٣٥٠٠٠ خطاب ، ووصل إلى إذاعة فرنسا الموجهة ٣٦٠٠٠ خطاب من أفريقيا من بينها ١٣٬٧٩٦ لمسابقات رياضية . وتتنوع الرسائل واختلافها من سنة لأخرى ،

ومحاولات المتخصصين فى الإذاعة الحصول على خطابات ، تجعل النتائج تخضع لمحض الصدفة . ورغم ذلك ، تعتبر الخطابات الوسيلة الوحيدة لقياس الاستماع والذى لا يمكن تحقيقه بوسائل البحث والتقصى . وحتى عند غياب العلاقات البريدية ، كما هو الحال بين اسرائيل والدول العربية ، يمكن فتح صناديق للبريد فى دول محايدة .

وهكذا ، لحث المستمعين على الكتابة ، تقدم الإذاعة الاسرائيلية الموجهة باللغة العربية برنامجا أسبوعيا باسم « طبيب وراء الميكروفون » . وفى هذا البرنامج ، الذى يستضيف أفضل الأطباء للحديث عن التطور فى إسرائيل ، يقدم الضيف للمستمعين كيفية العلاج من مرض ما ، ويرد على أسئلة المستمعين الذين تضل خطاباتهم بالآلاف إلى صناديق للبريد فى قبرص وفى روما (٣٤) .

وتجدر الاشارة هنا إلى اهتمام المستمعين بالإذاعات المعادية للنظم فى دولهم . وفى هذا أمكن ملاحظة أن هناك العديد من المستمعين العرب للإذاعة الإسرائيلية ، ويبدو أن هناك مستمعين للإذاعات العربية فى إسرائيل .

وفى جنوب الصحراء فى افريقيا ، يوجد لراديو بريتوريا مستمعون من دول افريقية مستقلة . وبسبب التوتر الموجود بين الجزائر والمغرب من جراء مشكلة الصحراء ، كسبت إذاعة الجزائر عديد من المستمعين المغاربة ، بينما تحول الجزائريون إلى إذاعة الدولة المجاورة . ويفسر ذلك بالبحث ربما عن الأخبار التي يتم التعتيم عليها فى الإذاعة القومية ، فهناك أخبار داخلية وعالمية تود السلطة إخفاءها عن الرأى العام لديها . ولذلك لا يعنى الإستماع لمحطة معادية معارضة النظام القائم وتأييد سياسة « العدو » ، ولكن ذلك يشير إلى عدم ثقة فى وسائل الإعلام الوطنية .

وفى أثناء أحداث مايو سنة ١٩٦٨ ، شاهدت إذاعة البى بى سى الموجهة باللغة الفرنسية وبخاصة على الموجات المتوسطة إرتفاعاً ملحوظاً فى عدد المستمعين الفرنسيين الذين اقتربوا وفقاً لتقديراتهم من سبعة ملايين بدلا من ٣٥٠٠٠٠ مستمع منتظم فى

الأوقات العادية . ولم يكن الأمر بالنسبة للمستمعين الفرنسيين الإستماع لإذاعة معادية ولكن الإستماع لبرامج محايدة والافتراض بأن تكون المحطات الفرنسية إما في يد السلطة أو فى أيدى الثائرين .

حدود تأثير الإذاعات الموجهة

ترتب على الاهتمام بالاذاعات الموجهة الاعتقاد بأن لها تأثيرا هاما . ولكن إذا كان من الممكن اعتبار أن زيادة الإعلام تعنى زيادة الحرية ، فليس من المؤكد أن تقوم وفرة الأخبار بتعديل الإتجاهات . لكن هناك دراسات أجريت فى إحدي الجامعات اليوغسلافية(٣٥) أشارت إلى أن البرامج الموجهة ، حتى عندما تكون محايدة ، ليست بدون تأثير ، وبدأ الباحثون هناك فى إجراء دراسة دقيقة عن الإذاعات الموجهة ليوغسلافيا ، وخاصة البرامج التى تبثها الدول المجاورة والقوى العظمى ، وانتهى الباحثون إلى أن « المستمع اليوغسلافى يتعرض لبرامج تقدمها عدة محطات لها قيم و (أو) أيديولوجيات معينة ، تختلف عن مجموعة القيم المقبولة فى يوغسلافيا ، وأنه يمكن أن تكون لهذه البرامج الأجنبية التى تستهدف المستمعين اليوغسلافيين تأثير غير مرغوب وضار على نظام الاتصال فى يوغسلافيا ، وعلى النظام الاجتماعى بوجه عام ، فإن عرض ميول وأمانى غريبة عن البنية الاشتراكية فى يوغسلافيا يمكن أن يؤدى إلى إنقلاب فى القيم ، بصرف النظر عن بقية العوامل الأخرى التى فى إمكانها تغيير الوجدان الاجتماعى » (٣٦) :

وربما يكون التأثير أكثر وضوحا والاستماع للإذاعات العالمية أهمية أكبر فى الدول التى ترى فيها السلطة أن الشعب ليس فى حاجة لكل الأخبار . وفى هذا الموضوع يقول محمد هيكل (...) إنه بالنسبة لكل القادة السوفييت « لا يبدو أن نشر الأخبار له أهمية، بل يعتبر من الأمور التافهة » ، ويسوق هذه الرواية فى شكل دعابة : « فى يوم ما ، سألنى بريجنيف عن سبب نشر مقال ما فى الأهرام، فأجبته بأننى أهتم بإعلام قرائى، فرد بقوله : إنهم ليسوا بحاجة إلى معرفة كل هذا ؛ فإنه بالنسبة للسوفييت يكفيهم ما ينشر فى البرافدا » (٣٧) .

والمواطنون فى الدول التى لا تهتم بالإعلام ، تشكل الإذاعة الدولية عندئذ بالنسبة لهم مصدرا آخر للإعلام ، مكملا للإعلام المنقوص ، أومخالفا له . وبالنسبة لكل المستمعين ، تساعد الإذاعات الدولية فى معرفة وجهات النظر المتعددة عند عرض الأحداث العالمية وأسلوب معالجتها .

العمل الاذاعى الخارجى وإرادة القوى

— إرادة القوى والغمل الدبلوماسى

تحاول الدول دائما التأثير على الرأي العام الأجنبى لكسب تأييده لقضياها . وتبحث الدبلوماسية النشطة عن التأييد غالبا خارج الحدود القومية من خلال سفرائها فى الخارج الذين يجتهدون فى سبيل الحصول على التأييد والمساندة فيما بعد . وفى هذا الاتجاه ترتبط « الدعاية » والدبلوماسية جيدا على الرغم من رفض الدبلوماسيين لكلمة دعاية وتفضيلهم لكلمة إعلام .

والتطور المستمر للمكاتب الصحفية للسفارات على مستوى العالم يفصح جيدا عن اهتمام الدول بتقديم صورة طيبة لما تقوم به . ولم يخش الوزير الامريكى السابق «دين رسك » (٣٨) من أن يقول إن الدبلوماسية الأمريكية تعتبر « الإعلام عملا لاغنى عنه » للسياسة الخارجية للولايات المتحدة . ويضيف : « إن نشاطنا الإعلامى يوضح احترامنا للرأي العام الخارجى وللحكومات » (٣٩) . ومن أجل ذلك ، تعتبر وسائل الإعلام الحديثة أدوات لامثيل لها للدبلوماسية ؛ فقد دخلت الحياة الدولية عصر دبلوماسية وسائل الإعلام ، وغالبا ما يتمسك رجال الدولة بعرض سياستهم وبالدفاع عنها وتبريرها على الملأ .

ولكن ، فى مجال الإعلام المكتوب ، تتحصن الحكومات دوما ضد التأثيرات القومية . وفى معظم الدول ، توجد قيود بالنسبة للأجانب تحد من إصدار أى وسيلة إعلامية ، وقيود أمام المساهمة المباشرة للدول الأخرى فى تمويل المطبوعات الوطنية والتى تكشف عن روابط بين بعض الصحف والقوى الخارجية ، مما أدى إلى تشديد المشرع فى هذا الخصوص .

ولكن ، تقف أساليب الحماية هذه عاجزة أمام الإذاعة . فمنذ العشرينيات ، والإذاعة على الموجات القصيرة تسمح لكل دولة أن تخاطب الشعوب الأخرى مباشرة فى لغتها نفسها بدون الحصول على إذن من الحكومة المعنية ، ولقد قامت الإذاعة ، وتبعها التليفزيون ، بتعميم السياسة الخارجية ، وقاما بدور فعال فى نشر الفكر العالمى .

ومع الزمن ، تعودت الشعوب ، أن تفكر تفكيرا عالميا . ويبدو أن وسائل الإعلام الحديثة قد وضعت نهاية لما أسماه شارل زورغبيب » (٤٠) « انعدام الاتصال فى الأوساط السياسية الداخلية والخارجية » (٤١). وعن هذا التأثير فى «الأوساط السياسية يوجد إدراك الرأي العام « لمتقضيات المجتمع الدولى » .

وفى وقت الأزمات ، يلجأ الفرد إلى الراديو لمتابعة الأحداث ساعة بساعة . ففى النشرات اليومية للإذاعات القومية والإذاعات الأجنبية ، بدأت الأحداث الجارية تحتل مكانة هامة . ولقد بدأ ظهور هذه الرابطة بين الإعلام الفورى والأحداث الخارجية فى الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية . ومنذ أزمة ميونخ فى سبتمبر ١٩٣٨ والصحف قد توقفت عن إصدار طبعات خاصة . فقد شاع الراديو بوصفه المصدر الرئيسى للإعلام بالنسبة لأخبار الدول الأجنبية . ولقد أعطى الصوت الذى يبث فورا نوعا من الأهمية للأحداث ، ومكن المستمع من أن يتعرف على ماتقوم به كافة الأطراف فى الأزمة .

ويبدو أن المواطن العادى قد أصبح مهتما بما يحدث فى الخارج . ولكن تدفق الإعلام ، أدى إلى تشويش فى الأفكار حتم وجود معلقين ومحللين للسياسة الخارجية . ولقد تمت دراسة تأثير هؤلاء المعلقين حول تحديد سياسة خارجية وبخاصة فيما يتعلق بالولايات المتحدة فى الثلاثينيات (٤٢). ولقد أظهرت الدراسة أن المعلقين على السياسة الخارجية فى الإذاعات الأمريكية قد خلقوا رأيا مؤيدا لموقف الولايات المتحدة المعادى لألمانيا النازية فى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الثانية .

والأمر هنا يتعلق حقيقة بسلاح ذى حدين . ففى أثناء حرب فيتنام ، قامت وسائل الإعلام بدور ضد السياسة الخارجية لحكومة واشنطن ، وفى سنة ١٩٨٠ عتبت الوزارة

على الإذاعات ومحطات التليفزيون الأمريكية سماحها للقادة الايرانيين بمخاطبة الشعب فى الولايات المتحدة مباشرة لتبرير أخذ الرهائن من السفارة الأمريكية فى طهران ، مما يسيء لتأييد الرأى العام لصالح دبلوماسية كارتر ، وبدأ هذا التأييد بضعف بالفعل .

ومنذ ذلك الحين ووسائل الإعلام تقوم بدور لايمكن إغفاله فى تحديد السياسة الخارجية للدول . ويمكن أن تشجع توجيهات وتحليلات بعض نجوم الإذاعة والتليفزيون تيارا للرأى لصالح العمل الدبلوماسى أو العسكرى للوقوف ضده ، وهو مايحدث فعلا بالنسبة للبلاد التى لايوجد فيها إعلام شمولى . وفى البلاد الأخرى ، فإن الإذاعات الأجنبية تعوض عدم كفاية الإعـلام الداخلى .

وفى مجال العمل الخارجى ، تستعين الدول بوسائل الإعلام لتهيئة الرأى العام الدولى ، أو فى دولة محادية ، لاتخاذ مبادرة ما . وفى هذه الحالة ، فان الإذاعة الموجهة أداة مناسبة ، وبخاصة فى دول العالم الثالث وفى الديمقراطيات الشعبية حيث ترتفع نسبة الاستماع للإذاعات الدولية .

ومن جانب آخر ، وبفضل الراديو والتليفزيون ، كثيرا مايسمح جس نبض الرأي العام ، والتسريب المنظم للمعلومات والتعليقات الموحية ، بقياس إرادة دولة منافسة أو صديقة ، وملاحظة ردود فعل الرأى العام الداخلى والخارجى فى الوقت نفسه .

وهكذا ، أصبحت البرامج الموجهة للخارج من أهم البرامج ، وأداة من الأدوات الأساسية التى يستعان بها فى العمل الخارجى للدول . ولاريب فى أن « الدبلوماسية لازمة فى كل الأزمات ، وبالتالى فى عصرنا ، إلا أنها بالتأكيد - مثل كثير من المؤسسات - قد عانت من التغييرات الجوهرية على الصعيد العالمى ، ومن ثورة الاتصالات . وتطورت العلاقات بين كل ما هو قائم بالنسبة للحكومات والشعوب على كافة المستويات، ليس فقط من خلال الاتصالات الشخصية ، ولكن أيضا بفضل التليفون والتلغراف والتلكس والتليفزيون والإذاعة .. الخ » (٤٣) .

وفى واقع الأمر لم يعد الدبلوماسى المكلف بصياغة العلاقات مع الخارج قادرا منذ فترة طويلة بوسائله التقليدية ، على تحقيق ما كان ينجزه بمفرده قبل عشرات السنين ، لأن الأمر قد أصبح يهم ملايين البشر ، بل البلايين . فالإذاعة التى فى إمكانها ، دون أى وسيلة اتصال أخرى ، تجميع ملايين الأفراد بصرف النظر عن حدود الزمان والمكان ، قد أصبح لها دور هام فى السياسة الخارجية . فهى وحدها فعلا التى يمكنها إقامة جسور الاتصال بين الشعوب ، ويمكنها وحدها من خلال الكلمة والصورة أن تسرد وتعرض وتشرح إلى درجة الفهم مايعترض الاتصال الثقافى بين البشر . « وهكذا أصبح للإذاعة ، وبخاصة لكل محطة تنتج برامج موجهة للخارج ، أصبح لها دور دبلوماسى ؛ فهى باسم بلدها ، تعد الرسائل وتبثها عن طريق الموجات إلى جمهورها العريض » (٤٤).

وإذا كان الدبلوماسى يتوجه غالبا إلى الحكومات والإدارات فإن ، الإذاعة موجهة إلى كل العالم . ومن المؤكد أن الدولة يمكنها أن تلجأ إلى التشويش لكى تمنع من وصول هذه البرامج إلى الشعب ، ولكن كفاءة هذا العمل محدودة ، مما يفسر وجود إذاعات موجهة لدى معظم دول العالم . فلا يتصور أن الدولة التى لها سياسة خارجية نشطه لاتهتم بالإذاعة كأداة فى هذا المجال ، ولايمكن رصد دولة على مستوى العالم بهذه الكيفية ، بل إن كل دولة تطابق عملها الإذاعى مع إمكانياتها وطموحاتها، ويتركز الاختلاف فى حجم البرامج وعدد اللغات المستخدمة فيها .

— تطور البرامج الموجهة وموقف الحكومات منها

فى سنة ١٩٣٩ ، كانت هناك ٢٧ دولة تبث برامج موجهة للخارج ، ارتفع عددها فى سنة ١٩٤٥ إلى ٥٥ دولة . وفى سنة ١٩٧٠ كان الراديو قد دخل ١٣٩ دولة ، كانت ٩٦ دولة منها تقدم خدماتها الموجهة على موجات قصيرة . ويقدر عدد ساعات البث الموجه بحوالى ١٧٠٠٠ ساعة أسبوعيا .

وتمول الدول فى الغالب هذه البرامج الموجهة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر . ويمكن القول بأن العمل الإذاعى الموجه يشكل « أداة أو وسيلة للدفاع ولتوضيح السياسة القومية » (٤٥) .

ولقد ذكر « مكنامارا » وزير الدفاع الامريكى السابق ومدير البنك الدولى فى تقريره حول الفقر والعنف أن القوة العسكرية والثقل الاقتصادى قد استخدما معا أو منفصلين بوصفهما ركائز للدبلوماسية ، ومازال استخدامهما ساريا حتى الآن فى العمل الخارجى . ولكن ، التدعيم الذى حدث لإثارة الجماهير الشعبية على الحكومات ، والمعارف الحديثة التى تسمح بقياس أمانى الشعوب ، قد أوجدت بعدا جديدا لما يمكن أن تقوم به السياسة الخارجية . ويمكن تحقيق بعض هذه الأهداف بصفة خاصة بالاتجاه مباشرة لشعوب الدول الأجنبية المقصودة بدلا من عقد اتفاقيات مع حكوماتهم . ومن خلال استخدام الوسائل الحديثة وتقنيات الاتصال ، من الممكن الآن الوصول بالإعلام ، جزئيا أو كليا ، إلى الرأى العام لأمة ما والتأثير على سلوكها ، حيث يمكن لهذا الرأي العام أن يمارس بدوره ضغطا له قيمته على حكومته إن لم يكن حاسما (٤٦) .

ومن جانبه ، قدم « البنتاجون » فى ابريل ١٩٦٦ تقريرا لمجلس الشيوخ الأمريكى أكد فيه أن الاتصال قد أصبح ضرورة بوصفه دعامة للنشاط الدولى وأداة للسياسة الخارجية ».وفى الولايات المتحدة هناك شبكة للراديو والتليفزيون خاصة بوزارة الدفاع ومستقلة عن صوت أمريكا . وفى سنة ١٩٧٠ ، كان «البتاجون» يدير ٣٨ محطة إرسال للتليفزيون و ٢٠٠ محطة للراديو .

وهناك دلالة وراء تبعية الاذاعات الموجهة فى معظم البلاد وارتباطها بوزارات الخارجية فيها ، ولايمنع هذا الارتباط من وجود مشكلات فى الديمقراطيات البرلمانية ، فأحيانا تصطدم وجهة نظر الحكومة بميثاق الشرف الإعلامى كما يفهمه الصحفيون ، والشاهد على ذلك ما يحدث باستمرار بين الوزارة فى أمريكا وبين العاملين فى إذاعة صوت أمريكا ، كذلك فإن ما يحدث فى وزارة الخارجية الفرنسية ليس بالقليل . أما بالنسبة للحكومة البريطانية ، فلقد اصطدمت بالبى بى سى فى أثناء أزمة السويس ، إذ رفضت الإذاعة البريطانية مبدأ الصمت فى برامجها الموجهة وأذاعت النقد الموجه من حزب العمال للحكومة . وفى ١٩٥٨ ، عندما دخلت القوات البريطانية والأمريكية لبنان، هوجم الرئيس ايزنهاور بشدة عندما حاول صحفى في صوت أمريكا الحصول على تصريح من سيناتور أمريكى يدين فيه إرسال قوات أمريكية إلى لبنان ، وبأنه كتب

إلى الوزير يقول : « من الملاحظ أن مفهوم حرية التعبير قد تخطى حدوده » وقال له «إن صوت امريكا يجب أن يستغل بوصفه سلاح يستخدم لتحقيق أهداف العالم الحر ، ولكن غير مصرح له بتوضيح خلافات الشعب الأمريكى بخصوص سياستنا الخارجية » (٤٧) .

أما فى الجمهوريات الشعبية ، فلا توجد مطلقا مشكلات من هذا النوع . ولكن فى وقت الأزمات ، قد تظهر مثل هذه الأمور أحيانا، فقد سُرِّح الصحفيون الايطاليون العاملون فى البرامج الموجهة لراديو براغ بسبب موقفهم السىء إزاء عملية « التطبيع » فى تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ . وما حدث لهؤلاء يشبه طرد الصحفيين المصريين العاملين فى الإذاعة العربية بفرنسا لتحفظهم من حملة السويس سنة ١٩٥٦ .

ففى وقت التوتر ، تصبح الإذاعة الموجهة أكثر المواقع حساسية بالنسبة لدبلوماسية الدولة . وفى حقيقة الأمر ، يتم الاستماع لهذه البرامج التى تسجل لكى تقوم إدارات خاصة بدراستها للبحث عن نوايا الدول والتى تختفى وراء الكلمات .

ولدى القوى العظمى ، بل وأيضا لدى بعض الدول الصغيرة ، خدمات خاصة للاستماع مهمتها التقاط البرامج الموجهة ونقل مضمونها للسياسيين . ومن أهم هذه الخدمات من حيث الأداء مركز الاستماع التابع للبى بى سى الذى يقوم أيضا بتسويق جزء من المواد التى يجمعها فى مطبوعات يومية أو أسبوعية . ومن أهم عملائه توجد وكالات الأنباء والصحف الكبرى وبعض الجامعات ، وبطبيعة الحال ، الادارات والشركات الكبرى التى لنشاطها علاقة بالخارج .

وفى الحقيقة ، يمكن أن تقوم الدبلوماسية فى مجالها ، وبثقلها ، بالدور الذى تقوم به الإذاعة الموجهة لدولة ما . وفى إطار القوى العظمى ، يمكن القول بأن حجم البرامج الموجهة للخارج قد بدأ يستقر فى الستينيات . ولقد حققت هذه القوى الكبرى تغطية إذاعية عالمية، كما هو الحال بالنسبة للاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وجمهورية الصين الشعبية التى تبث برامجها فى كل اتجاه ، كما أن لبريطانيا العظمى ولألمانيا الفيدرالية تغطية إذاعية لها أهميتها .

أما فرنسا ، فليست لها تقاليد للبث الموجه من أراضيها للخارج . ولكن ، فى أثناء حرب الجزائر ، كانت هناك جهود مكثفة لبث برامج باللغة العربية وبلغة البربر ، إلا أن هذه البرامج كانت موجهة فى الغالب إلى الأراضى القومية مادام الأمر يتعلق بالجزائر التى كانت تابعة لفرنسا ، ولكن هذه البرامج قد تقلصت بشكل واضح غداة استقلال الجزائر .

وفى الخمسينيات ، كان هناك تواجد فرنسى هام على مستوى الإذاعة فى جنوب شرق آسيا وفى أفريقيا وفى أمريكا اللاتينية بفضل « راديو فرنسا / آسيا » فى سايجون ، وراديو برازافيل ، ولكن باريس لم تحاول أن تجد حلولا بديلة عندما أغلقت إذاعة سايجون بعد نهاية أول حرب فيتنامية ، ولاعندما تم تأميم محطة برازافيل بعد استقلال الكونغو . وعندما قسمت منظمة الراديو والتليفزيون فى فرنسا سنة ١٩٧٤ ، ألغت فرنسا لأسباب إقتصادية معظم برامجها الموجهة ، إلا أنها كرست نشاطها فى منطقتين لهما الأولوية فى العمل الدبلوماسى الفرنسى هما : أفريقيا من خلال « راديو فرنسا الدولى » ، والشرق الأدنى من خلال برامج باللغة العربية وبالفرنسية تبث من محطة مقامة فى قبرص ويقدمها راديو مونت كارلو . وتقوم وزارة الخارجية الفرنسية بتمويل هذه البرامج جزئيا والجزء الآخر تغطيه الاعلانات . ويرى المسئولون الفرنسيون أن هذه المحطة تتميز بأنها تبث على الموجات المتوسطة وأنها تحمل الميزانية العامة أعباء أقل.

ولقد اختارت حكومة جيسكار ديستان » هذا الاتجاه للحد من ميزانية العمل الخارجى بالاعتماد على ماتوفره الاعلانات من دخل . ومن جانب آخر ، فان هذا الاتجاه يجنب أحيانا بعض العراقيل الدبلوماسية . وهكذا ، لم تظهر فرنسا بوضوح فى الاتفاق الذى يتعلق بإقامة محطة فى قبرص لبث برامج موجهة إلى العالم العربى .

وفى المنطقتين الموضوعتين فى الأولوية ، الشرق الأدنى وافريقيا ، يجب إضافة البث الموجه إلى أوربا الشرقية وإلى أمريكا الشمالية من محطات الترحيل الخاصة بإذاعة « فرانس انتير » . وفى سنة ١٩٨٢ ، استأنفت فرنسا برامجها الموجهة إلى أمريكا اللاتينية ، ووضعت خطة لتطوير راديو فرنسا الدولى ؛ ولونفذت هذه الخطة ، لأصبح

راديو فرنسا الدولى فى مستوى البى بى سى سنة ١٩٨٧ ، وتشمل الخطة بوجه خاص تقديم خدمة عالمية باللغة الفرنسية ٢٤ ساعة فى ٢٤ ساعة فى كل الاتجاهات .

ومن المؤكد أن وصول اليسار إلى السلطة فى سنة ١٩٨١ قد سمح باسترداد أهمية البرامج الموجهة للخارج . ولكن موقف فرنسا كان قد أعلنه منذ يناير ١٩٧٠ وزير الخارجية أمام البرلمان : « فيما يتعلق بالبرامج الإذاعية الموجهة للخارج على الهواء ، وبسبب التكاليف المرتفعة جدا ، فإن تقريرنا يجب أن يركز على بعض المناطق التى لها أولوية (أوربا الشرقية والشرق الأوسط وافريقيا الشمالية وافريقيا الناطقة بالفرنسية) وعلى تطوير البرامج المقدمة باللغة الفرنسية الموجهة إلى الصفوة التى تفهم لغتنا والمهتمة ببلدنا ، وكذلك إلى المليونين من الفرنسيين المقيمين بالخارج » .

وبصفة عامة ، اختارت القوى المتوسطة مناطق لها الأولوية بالنسبة للبرامج الموجهة. ولما كانت بريطانيا العظمى ، بحكم التقاليد ، تركز على تغطية عالمية ، فقد بدأت منذ نهاية الستينات فى إعادة فحص سياستها الخاصة بالعمل الإذاعى الخارجى لكى تتلاءم هذه البرامج مع طموحاتها الثقافية . ولأسباب اقتصادية ، كان على الانجليز أن يحددوا الأولويات . وخلال عشر سنوات ، فيما بين سنة ١٩٦٩ و١٩٧٨ ، قدم تقريران للحكومة يتعلقان بالعمل الخارجى لبريطانيا ، وأكد التقريران على أنه بالنسبة للبى بى سى ، لابد من « الاستمرار فى اعتبارها إحدى الوسائل الأكثر فاعلية لبث الأخبار والآراء البريطانية» واقترح فيهما أن يزيد الاهتمام والعناية بأن تتلاءم البرامج والجماهير الموجهة اليهم ، أى « الطبقات المثقفة والليبرالية » .

ولهذا ، يجب إعطاء الأولوية للبرامج المقدمة باللغة الانجليزية وتلك الموجهة إلى أوربا الشرقية والشرق الأدنى وافريقيا الناطقة باللغة الانجليزية . مجمل القول ، أن اللجنة الخاصة بذلك طالبت أن تختصر البى بى سى ساعات إرسالها إلى أكثر من الثلث ، وعدم توجيه برامج إلى أمريكا الشمالية واستراليا وأوربا غير الشيوعية . ومن جانب آخر،رأت اللجنة أن البى بى سى يجب أن تترك لفرنسا وحدها مسئولية بث برامج باللغة الفرنسية موجهة لافريقيا الناطقة بالفرنسية .

واذا كانت القوى الامبريالية القديمة تضبط برامجها على إمكانياتها ، فإن القوى الصاعدة كانت تبدو أكثر نشاطا ، والمثال على ذلك ما كانت تقوم به ألمانيا الفيدرالية واليابان .

ـ ألمانيا

فى المانيا الاتحادية ، والتى لم تبدأ فيها البرامج الموجهة للخارج إلا فى عام ١٩٥٣ ،توجد هيئتان : « الدويتش فيلى » و «صوت المانيا » و « الدويتش رونتفونك » (٤٨) والتى تبث أساسا على الموجات الطويلة والمتوسطة لأنها تخاطب ألمانيا « كلها » من جانب ، والدول الأوربية من جانب آخر.هاتان الوسيلتان وتطورهما أقل أهمية من مثيلتيهمافى « الدويتش فيلى » التى أصبحت واحدة من « الكبار » فى العمل الإذاعى الموجه . ومن الجدير بالذكر أن تطور « الدويتش فيلى » قد أخذ عدة محاور تتماشى مع الإهتمامات التى كانت لألمانيا قبل الحرب . وقد تابعت هذه الإذاعة خطتها المرسومة للتطور وفقا لهذه المحاور ، وأقيمت لذلك محطات للترحيل .

وتبث البرامج الموجهة من ألمانيا الغربية من خلال محطات مقامة فى المانيا الإتحادية من جانب ، ومن جانب آخر بفضل محطات الترحيل الموجودة فى رواندا وسيراليون فى افريقيا ، وفى البرتغال فوق القارة الأوربية ، وفى مالطة فى البحر المتوسط ، وكذلك فى كندا وفى جزيرة « افتيغا » (٤٩) بالاشتراك مع البى بى سى. وتبث الدويتش فيلى برامجها فى حوالى ٥٥٠ ساعة أسبوعيا فى ٣٣ لغة ، وغالبا مايتفقد الإتحاد السوفيبتى والدول الشرقية هذه البرامج .

ومن الجدير بالذكر فى هذا الموضوع أن ألمانيا الشرقية تتبع هى أيضا سياسة إذاعية نشطة وبخاصة تجاه أفريقيا والعالم العربى .

- اليابان :

فى الخمسينيات ، استأنفت اليابان إذاعاتها الموجهة . ويقدم « راديو اليابان » برامجه بواحد وعشرين لغة إلى تسعة أقاليم جغرافية فى العالم هى : آسيا الوسطى، وجنوب شرق آسيا ، وجنوب آسيا وأفريقيا ، وأستراليا ونيوزيلندا ، والشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، وأوربا ، وأمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى .

وتقدم اليابان برامجها الموجهة هذه لمدة ٢٣ ساعة يوميا . ومن جانب آخر ، تقدم الخدمة الخارجية الأخبار والتعليقات بالانجليزية واليابانية لمدة ١٤ ساعة يوميا ، أى أن إجمالى عدد الساعات التى تقدم فيها اليابان برامجها الموجهة يصل إلى ٣٧ ساعة يوميا.

وتنص المادة رقم ٤٤ من القانون الذى صدر فى ٢ مايو سنة ١٩٥٠ على الهدف من هذه البرامج بأنه « يجب على التليفزيون اليابانى (٥٠) بذل قصارى جهده للمساهمة فى التفاهم الدولى ، وتطوير التبادل الاقتصادى مع الدول الأجنبية من خلال وسائل الثقافة ، ونشر المعرفة الصحيحة لبلدنا ، وتوضيح حضارتنا ، وصناعتنا والمظاهر الأخرى لواقعنا » ومنذ سنة ١٩٧٩ ، يستخدم راديو اليابان محطة ترحيل فى البرتغال لبرامجه الموجهة لأوربا والشرق الأدنى .

- العوامل التى تعمل من خلالها البرامج الموجهة

غالبا ماتكون العوامل الأيديولوجية والبعد الجغرافى من الأسباب التى تحدد حجم واتجاه البرامج الموجهة ، فإن البانيا ، على سبيل المثال ، تحتل مكانة هامة بين الدول التى لها إذاعة موجهة نشطة ، إذ تقدم ألبانيا منذ سنة ١٩٨٠ ، ٤٩٠ ساعة من البرامج أسبوعيا تستغرق ١٨ ساعة . أما الهند ، فإنها تكتفى بتغطية المنطقة التى تأمل أن يكون لها نفوذ فيها ، أي بين البلاد الآسيوية والشرق الأدنى ، وشرق أفريقيا حيث توجد جاليات هندية قوية تسيطر على اقتصاد الدول فى هذه المنطقة .

وأحيانا مايتسبب الصراع الأيديولوجى أو العسكرى فى دفع زعمائها إلى التنافس لتغطية العالم بالبرامج الإذاعية ، فيحاول كل منهم أن يكسب لقضيته أكبر عدد من المستمعين ، وهو ما يحدث بين شطرى كوريا حيث تبث برامج قيمة للخارج فى اللغات الأكثر ذيوعا بحيث تقدم كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية برامج باللغة الفرنسية والإنجليزية والعربية والأسبانية الى معظم دول العالم الثالث ، ومن المعروف أن كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية تتنافسان على تقديم المساعدة لدول العالم النامى ، وبخاصة على المستوى التقنى .

وفى واقع الأمر ، دول أمريكا اللاتينية فقط هى التى ظلت بعيدة عن المنافسة الإذاعية ، وإن كانت الأرجنتين والبرازيل قد بدأتا تطوير اذاعتيهما الموجهتين للخارج . أما كوبا ؛ فهى حالة خاص ، إذ أنها دولة تلعب دورا هاما فى مساندة الإتحاد السوفييتى وفى حركة دول عدم الإنحياز وفى افريقيا ، لذا فإن سياستها تعتمد على العمل الإذاعى القوى .

ومن الجدير بالذكر فى هذا الخصوص الإشارة إلى بعض الدول التى تفوق سياستها الإذاعية النشطة طموحاتها السياسية ، هذه الدول تؤكد إرادتها فى أن يكون لها مكانها على الموجات الدولية ، ومن هذه الدول نذكر كندا والسويد وسويسرا وأسبانيا .

وهناك دول أخرى قصرت طموحها على المستوى الإقليمى وإعطاء اهتمام خاص لمنطقة نفوذها كما هو الحال بالنسبة لأستراليا التى لها إذاعة موجهة نشطة . ولراديو استراليا محطات إرسال ذات كفاءة عالية ، ويوجه غالبية برامجه الخارجية إلى جنوب شرق آسيا وإلى جزر الباسيفيك . ويوجه راديو استراليا برامج خاصة لليابان وكوريا والفيلبين والملايو واندونيسيا والهند الصينية وتايلاند . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن هذه الإذاعة توجه برامج باللغة الفرنسية للأراضى الفرنسية فى « تاهيتى » وفى « نيوكالدونيا » . ويأمل راديو أستراليا من جانب آخر تطوير برامجه الموجهة للعالم العربى وافريقيا الناطقة بالإنجليزية .

خلاصة القول ان هناك ثلاث مراحل يجب ذكرها عند الحديث عن الإذاعات الموجهة :

١ - أنها كانت فى البداية سلمية وبناءة ،

٢ - أن التوتر الدولى الذى لايتوقف عن الزيادة هو الذى ابتعد بها عن طريق الصواب ووجهها إلى ماهى عليه الآن ،

٣ - أن السمة العالمية لهذه الإذاعة قد تحددت باستخدامها كسلاح فى الحرب (٥١) .

وعلى الرغم من هذا التطور ، إلا أن هناك إجماعا عالميا فى تحديد أهداف الإذاعة الموجهة على النحو التالى :

— أهداف الإذاعة الموجهة :

١ - تقديم خلاصة ثقافة الدولة الباثة وأفكارها ،

٢ - تقديم الأخبار العالمية بموضوعية ،

٣ - تفسير وجهة نظر الدولة الباثة للمشكلات العالمية ،

٤ - تشجيع الوئام بين الأمم (٥٢) .

٥ - ويمكن القول بأن بعض الدول تريد اعتبار أن من واجبها ومن مهامها العالمية أن يكون لها إعلام « نزيه » بمعنى « موضوعى » موجه للبلاد المحرومة من الإعلام . ووفقا للمعهد الدولى للصحافة ، حرية الإعلام غير موجودة سوى فى ٣٠ دولة من بين ١٤٤ دولة عضو فى الأمم المتحدة سنة ١٩٧٩ .

والإعلام النزيه والموضوعى هو الهدف الذى تطالب به بوجه خاص إذاعة البى بى سى الموجهة والتى تحملها الحكومة البريطانية مهمتين هما :

١ - أن تكون مصدراً لإعلام عالمى غير منحاز ،

٢ - إذاعة أخبار بريطانيا العظمى وثقافتها .

ولايختلف هذا الهدف عما حدد للعمل الإذاعى فى فرنسا الذى يتركز دوره الرئيسى فى « أن يصل شعاع ثقافتنا ولغتنا خارج حدودنا ، وتعريف الحياة الفرنسية فى شتى صورها » .

وفى هذا الصدد ، يمكن مقارنة الدوافع الفرنسية والبريطانية بالسياسة الأمريكية المعلن عنها فى ديباجة صوت أمريكا :

« مصالح الولايات المتحدة على المدى الطويل ، يخدمها الإتصال الإذاعى المباشر بشعوب العالم . ولكى تكون ذات فاعلية ، على إذاعة صوت أمريكا أن تكسب اهتمام المستمعين واحترامهم . ويجب أن تدار برامج صوت أمريكا وفقا للأسس التالية :

١ - صوت أمريكا يجب أن تكون له الإرادة لكى يكون مصدرا للأخبار المسموح بها وموضع ثقة باستمرار ، وأن تكون أخبار صوت أمريكا دقيقة وموضوعية وشاملة .

٢ - يجب أن يكون صوت أمريكا ممثلا لأمريكا كلها وليس لحزب فقط فى المجتمع الأمريكى . ويترتب على ذلك أن يعرض صوت أمريكا صورة متوازنة وكاملة للفكر الأمريكى والمؤسسات الأمريكية الهامة .

٣ - بما أنه راديو رسمى ، يجب على صوت أمريكا أن يعرض الولايات المتحدة بوضوح وبفعالية ، ويجب على صوت أمريكا تقديم مناقشات المسئولين وآرائهم حول هذه السياسة (٥٣) .

وفى الديمقراطيات البرلمانية ، تخضع المصروفات الخاصة بالبرامج الموجهة للخارج فى الغالب لاعتبارات الموقف الدولى . ولما كانت هذه البرامج تمولها ميزانية الدولة ، فإن الحكومات والبرلمانات فى وقت الهدوء ترى اعتبار المصروفات على أنها ثانوية ، بل بلا فائدة . ولكن ما إن تبدو بادرة توتر فى منطقة ما ، إلا ويسارع المسئولون السياسيون فى البحث عن النفقات اللازمة لبث برامج موجهة إلى هذا الإقليم .

وفى البلاد الإشتراكية كما فى غالبية دول العالم الثالث ، لايوجد أى ضرر من ذلك مادامت المصروفات الخاصة بالإعلام الخارجى لاتخفض إلا نادرا .

وفى أوقات الهدوء ، كما فى أوقات الأزمات،تمثل الإذاعة الموجهة أداة للضغط والعمل الأيديولوجى لدولة ما ولكتلة ما . بل يمكن الاعتقاد فى أن البرامج الموجهة بوجه خاص إحدى الوسائل الرئيسية التى تستعين بها الأمم والدول والثقافات والمجتمعات لارسال أخبارهم ودعايتهم .

ولتحديد خصائص المراحل المختلفة التى مرت بها برامج الإذاعة الموجهة يمكن القول بانها قد « مهدت للحرب فى الثلاثينيات ، واستخدمت سلاحا فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وأخيرا حلت محل الحرب فى أيامنا هذه » . ولكن هناك تدرجافى هذا المجال من النغمة « الودية » التى تقدم بها الأخبار « المحايدة » و « الموضوعية» إلى الدعاية الخالصة والواضحة (٥٤) .

وفيما يتعلق بالبرامج الموجهة ، لاتوجد إرادة القوة فى الدول الصناعية فقط ، فهناك العديد من البلاد التى لاتتوصل إلى تحقيق تغطية إذاعية ملائمة فوق أراضيها القومية إلا أنها تندفع فى مشروعات طموحة فى مجال الإذاعة الموجهة .

وغالبا ما تستهدف البرامج الموجهة الدول المجاورة لتأكيد سيطرة دولية . حتى بالنسبة للدول النامية محدودة الموارد ، فإن الإذاعة الموجهة أداة دبلوماسية ، وتتواءم الوسائل الموضوعية فى خدمة هذه البرامج مع الأهداف التى يتطلعون لتحقيقها (٥٥).

وتتضح إرادة القوة هذه لبلد أو لآخر تجاه جيرانه من خلال عمله الإذاعى الخارجى، وهو ما كانت عليه مصر فى عهد ناصر وغانا فى عهد نكروما وفى أفريقيا خلال الستينيات . وفى السبعينيات ، شجعت نيجريا بعض القادة فى جنوب الصحراء بأفريقيا،

بعد أن عززت برامجها وبخاصة الموجهة لأفريقيا الناطقة بالفرنسية .. وهناك أيضا ليبيا التى كانت سياستها الإذاعية صورة من سياستها الخارجية .

وفى سنة ١٩٧٣ ، أطلق القذافى الذى أراد أن يرث جمال عبد الناصر «صوت الوطن العربى الكبير » (٥٦) على أمل أن يحل محل « صوت العرب » من القاهرة التى دعمت برامجه فيما بعد سياسة التقارب الجديدة مع إسرائيل . كذلك بدأ التدخل الليبى فى تشاد فى سنة ١٩٧٢ مع بداية البرامج الموجهة إلى هذا البلد .

وفى سنة ١٩٧٨ ، بدأ راديو طرابلس يبث برامج باللهجة التى يتحدث بها سكان الصحراء . ومنذ ذلك الحين والعقيد القذافى قد نصب من نفسه المدافع عن هذا الشعب المبعثر فى البلاد المجاورة للصحراء ، أى فى الجزائر ومالى والنيجر وتشاد وموريتانيا ، التى ضايقتها كلها وجود هذه البرامج . وفى سنة ١٩٧٨ كذلك ، أنشأت ليبيا فى مالطة « إذاعة البحر المتوسط » (٥٧) ، وتبث برامجها باللغة الفرنسية والانجليزية والعربية . وكانت هذه المحطة تطمع « تحقيق تفاهم أفضل وتعاون أكثر التصاقا بين شعوب منطقة البحر المتوسط » ، ولكن توقفت هذه البرامج على اثر تحول العلاقات بين مالطة وطرابلس فى منتصف عام ١٩٧٩ .

– السعودية

أدت السياسة الإسلامية للرئيس الليبى إلى إنشاء محطة أخرى « صوت الإسلام » كانت برامجها تغطى افريقيا . وعلى هذه الساحة الإسلامية ، أقحمت ليبيا نفسها منذ ١٩٧٩ فى منافسة مع إيران ، وبخاصة مع المملكة العربية السعودية التى كان لها منذ سنة ١٩٧٣ محطات للبث لها مكانتها .

وقد واكب زيادة حجم البرامج الموجهة للخارج من السعودية وتطويرها تدعيم ثقل هذه الدولة سياسيا واقتصاديا فى علاقاتها الدولية . ولاتبث السعودية فقط برامج باللغة العربية لدول شبه الجزيرة العربية ، بل أيضا برامج باللغة الفرنسية والإنجليزية ، كما

تنطلق من السعودية محطة « صوت الإسلام » . كذلك تقدم السعودية برامج باللغة الفارسية والأندونيسية والأوردية والتركية والسواحيلية .

وهكذا يتضح أن اهتمام السياسة السعودية يشمل أفريقيا والدول الإسلامية فى آسيا إلى جانب العالم العربى ، وتهدف البرامج السعودية الموجهة « الكفاح ضد الأفكار الهدامة وانتشار التيارات الإلحادية » .

وفى عالم تسوده المواجهة الأيديولوجية حيث تقوم الإذاعة بدور رئيسى ، أرادت السعودية أن تكون المدافع عن القيم الإسلامية من خلال الموجات (٥٨).

- العراق وإيران

فى العراق ، طلبت الحكومة العراقية من شركة طومسون مركزا للبث من ١٦ محطة إرسال قوة كل منها ٥٠٠ كيلو وات .

ولقد قامت إيران تحت حكم الشاه ، وبعد ذلك الجمهورية الإسلامية ، بتطوير برامجها الموجهة (وبخاصة الموجهة باللغة التركية وبالعربية بالإضافة إلى البرامج الموجهة بالفرنسية وبالألمانية وبالإنجليزية) . ولكن «قمة السخرية أن تكون البى بى سى التى تبث بالفارسية هى الإذاعة المسموعة أكثر من غيرها فى أثناء الثورة ، وهذا يشير إلى كم كانت ايران تابعة للدول الغربية حتى فى تأكيد نجاح ثورتها (٥٩).

ولقد ظلت هذه الشعبية للإذاعة البريطانية بعد انتصار الجمهورية الإسلامية التى قامت على غرار نظام الشاه بتدعيم سيطرتها على الإعلام . أما أنصار الإمام الخمينى ، الذين امتدحوا إذاعة البى بى سى بسبب « موضوعيتها » عندما كانوا فى صفوف المعارضة ، فقد انقلبوا ضد هذه المحطة نفسها بعد وصولهم إلى السلطة ، واتهموها بنشر أخبار كاذبة . وردا على مقال نشر فى جريدة لوموند الفرنسية حول مشكلات الحرية فى إيران بعد الثورة ، أعرب مدير الصحافة الأجنبية فى وزارة التوجيه القومى بايران عن اقتناعه بأن الحرية المكفولة لوسائل الإعلام كانت لها نتائج « سلبية » (٦٠).

المبحث السابع عشر

مـن الحـرب الأيـديـولـوجيـــة

إلى الحـرب الإقتـصاديـــة

كانت الإذاعة أداة للحرب فى معركة التحرير فى أثناء الحرب العالمية الثانية وللتخلص من الإستعمار . وكانت الإذاعة وسيلة للعمل السيكولوجى فى فترة الحرب الباردة . ومع بداية السبعينيات ، دخلت الإذاعة الحرب الإقتصادية بكل مايسمح به انتشار هذه الوسيلة التى لامثيل لها فى العمل الخارجى .

وهكذا ، شاهدنا طفرة فى البرامج الموجهة للوطنيين المقيمين فى الخارج ، وقد ارتبطت أهمية هذه البرامج بتطور السياحة والهجرة وإرسال الفنيين والمعلمين والمعاونين الذين حققوا نجاحا لم يسبق له مثيل . ولقد بذلت فرنسا وبريطانيا العظمى وكندا وسويسرا والولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى جهدا عظيما فى موضوع الراديو لصالح مواطنيهم المقيمين فى الخارج .

وتطورت مهمة الإذاعة الموجهة وتغير أداؤها بالنسبة لغالبية المحطات . وكانت حرب الإذاعات قد تميزت بالنغمة الجدلية الحادة بل والمهينة . أما حاليا ، حتى بالنسبة للمحطات الأكثر التزاما ، فإن الدعاية تتم بأسلوب خفى أكثر رزانة . فقد بدأ الانفعال يقل تدريجيا ليحل محله التعقل والتفكير . واندفع السياسيون فى خطبهم المذاعة شيئا فشيئا تجاه الأسلوب الدارج فى المحادثات الودية « لفرانكلن روزفلت » و « منديس فرانس » أكثر من الخطب الملتهبة لهتلر وحتى لتشرشل . ولقد أدى ذلك إلى أن دخل فى الاتصال الدولى قليل من العاطفة وكثير من الفكر . ولم يصبح الراديو أداة فقط للكفاح ولكنه كذلك وسيلة للإقناع والتدخل الثقافى والإقتصادى والفنى .

ولقد حل التنافس الأيديولوجى محل التنافس الإقتصادى . وأصبح الإقتصاد «الدعامة الأساسية للجمهور الدولى للإذاعة » (٦١) و « ساندت الصناعة السياسة

الخارجية التى دعمت بدورها الصناعة فى المنافسة الدولية فى صادرتها ومنشئاتها (...) وهكذا ساند كل شىء الأشياء الأخرى »(٦٢). ومن الواضح فعلاً، أن المنافسة الإقتصادية بين الدول تتضمن من الآن فصاعدا سمة لها دلالة كبيرة بتطوير العلاقات الدولية فى الثمانينيات .

ــ تأثير المنافسة الإقتصادية على برامج الإذاعة

ولقد واءمت هيئات الإذاعة فى الدول الصناعية الرئيسية : الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وألمانيا الإتحادية وفرنسا واليابان برامجها الموجهة مع ظروف المنافسة الإقتصادية الدولية بعد أن تحولت للعمل الدبلوماسى والأيديولوجى فقط .

ولم تتأخر دول الكتلة الشرقية وبخاصة الإتحاد السوفييتى عن هذا التطور . ولكن بالنسبة لهذه الكتلة فإن الأمر يعنى فى الغالب دعاية خفية لصالح النموذج الاقتصادى لدول المعسكر الإشتراكى الذى يتغنون بنجاحه .

أما بالنسبة للدول الغربية ، فيأتى استخدام الراديو لتعريف الدول الأخرى بالمنتجات الوطنية لترويجها فى المرتبة الأولى . هذا الإعلام الإقتصادى الموجه للخارج يتخطى حدود الصناعة ليمتد إلى الثقافة والطب والسياحة . وفى هذا الخصوص ، تعتبر البرامج الموجهة واجهة عرض . وهناك دلالة وراء سفينة العرض اليابانية التى تجوب بحار الدول النامية بصفة مستمرة . وفى كل مرسى للسفينة ، يوزع اليابانيون أجهزة ترانزستور مثبتة على التردد الخاص براديو طوكيو .

ــ الدور الإقتصادى للإذاعة

أقامت بعض هيئات الإذاعة أنظمة تربط بين الإقتصاد القومى والعمل الإذاعى الخارجى . وهكذا أنشئت إدارة مكلفة بالرواج الإقتصادى (الدعاية التجارية) فى

غالبية هيئات الإذاعة الموجهة فى الدول الغربية وتابعة فى الغالب للإدارة العامة للمحطة مباشرة (٦٣) .

وكان اليابانيون والإنجليز هم أول من وجهوا إذاعاتهم للعمل الإقتصادى . ولقد أنشأت إذاعة البى بى سى الموجهة منذ سنة ١٩٦٧ جهاز تنسيق مع الخدمات الكفء المكلفة بالترويج الإقتصادى فى الخارج . وفى مقر هيئة التحرير المركزية للبرامج الموجهة توجد خدمة «العلم والصناعة» ويعمل بها صحفيون متخصصون فى المسائل الزراعية والصناعية والعلمية . وكان هؤلاء الصحفيون يعملون بالإتفاق مع الهيئة المكلفة بالتنسيق مع منظمات التجارة الخارجية . وتقوم هذه الخدمة بتحرير النصوص وإعداد تحقيقات برامج اللغة الإنجليزية « للخدمة الخارجية » بالإضافة إلى الموضوعات والمواد لأقسام اللغات الأجنبية ، والهدف الرئيسى هو تشجيع التصدير .

وتقوم خدمة التنسيق مع التصدير باتصالات مستمرة مع هيئة التجارة » (٦٤) ومع « المجلس البريطانى القومى للتجارة » من جانب ، ومن جانب آخر مع المنتجين والهيئات التجارية والمروجة لمبيعات بريطانيا العظمى . وبكل تأكيد ، لاتقدم المحطات الإذاعية الكبرى إعلانات للربح أو إعلانات مدفوعة . ولكن ليس من النادر الإستماع إلى ريبورتاجات عن التخفيضات أو البضائع الجديدة فى محل كبير بلندن من خلال برامج من البى بى سى باللغة الفرنسية الموجهة إلى فرنسا وبلجيكا . وبفضل التنسيق بين البى بى سى والأوساط الصناعية والتجارية فى بريطانيا العظمى ، تجتهد برامج البى بى سى فى خلق مناخ ملائم للتصدير . ويصلح هذا العمل الإعلامى بوجه خاص فيما يتعلق بالفترة التى تقام فيها المعارض أو الظاهرات التجاريه فى الخارج . وفى تقاريرها السنوية ، غالبا ماتبرز البى بى سى الدور الإقتصادى لبرامجها الموجهة للخارج .

ومن البرامج التى تقدمها « الخدمة العالمية » باللغة الإنجليزية يمكن بوجه خاص ذكر « أفكار جديدة » ، وهو برنامج أسبوعى يشكل واجهة عرض للصناعة البريطانية والمستحدثات التكنولوجية فى بريطانيا العظمى . وهناك كذلك مجلة أسبوعية : « وقائع فى مجال الأعمال » (٦٥) مخصصة للعلاقات الإقتصادية والتجارية بين بريطانيا العظمى والخارج .

ولقد بدأت هذه البرامج منذ سنة ١٩٦٧. وفى مختلف أقسام اللغات الأجنبية ، توجد موضوعات تدور حول « صنع فى بريطانيا » التى ، وفقا لتقارير البى بى سى ، يصلها رسائل مهمة تطلب التفسير أو التحديد . وبناء على التقارير الخاصة بنشاطات البى بى سى ، تشير كل دراسات السوق فى الدول الصناعية كما فى دول العالم الثالث إلى أن هناك نسبة تتراوح ما بين ١٥ ٪ إلى ٣٠ ٪ من المستمعين الأجانب للبى بى سى، يبدون ميلا للمنتجات البريطانية . وتهدف البى بى سى من ذلك إقامة علاقة بين المستمعين لبرامجها وبين الصادرات البريطانية ، ومن ثم ، فمن صالح الحكومة مساندة هذه البرامج .

وتهتم البى بى سى فى برامجها المقدمة باللغة العربية بالموضوعات الإقتصادية وبالمجلات التى تتناول التجارة والصناعة فى بريطانيا العظمى ومادام هناك جمهور عربى عريض يهتم بموضوع العلاج فى بريطانيا العظمى . فإن البرامج الطبية هامة جدا وبخاصة فى البرامج المقدمة باللغة العربية . ومن جانب آخر ، فإن « الخدمة العالمية » تبث برنامج مساء كل يوم لإلقاء الضوء على سوق الأوراق المالية فى لندن .

كذلك يعرض « راديو فرنسا الدولى » أسعار بورصة باريس عند افتتاحها وما تصل إليه الأسعار عند قفلها . وبعد وفاة الرئيس الفرنسى «بومبيدو» وانقسام منظمة الإذاعة الفرنسية فى هيئات متعددة ، استبعد مشروع بومبيدو الذى يتعلق بتوجيه موجات الإذاعة لخدمة الإقتصاد . فلتحقيق طموحاته الإقتصادية بالنسبة لفرنسا ، كان الرئيس قد ذكر جملة أثارت بلبلة فى عهده هى : « ينبغى وضع حد لدبلوماسية قطع الحلوى وفنجان الشاى » ، وكان يقصد بذلك أن الدبلوماسية يجب أن تكون فى خدمة التوسع الصناعى لفرنسا.

وقد رافق ذلك طلبه من إدارة العلاقات الخارجية فى هيئة الإذاعة الفرنسية إقامة صلات مع « المؤسسات الفرنسية المهتمة بالمشاركة فى تحقيق سياسة اقتصادية على المستوى القومى » ، وترغب فى الوصول إلى الأسواق الخارجية عن طريق الموجات (٦٦).

وعلى الرغم من ذلك كان لفرنسا دائما بعض التحفظات فيما يخص كل علاقة بين أية خدمة عامة والمصالح الخاصة . وكان يبدو أنهم قد تجاوزوا هذه التحفظات . فقد اهتمت إحدى الهيئات المعنية بمصالح الدولة فيما يتعلق بالوسائل المسموعة / المرئية بعيدا عن الخدمة العامة (سوفيراد) (٦٧) اهتمت بالعمل الخارجي الذى تمول الإعلانات جزءا منه ، واحتلت الإعلانات مكانا على الهواء فى الإذاعة الدولية لفرنسا منذ شهر سبتمبر سنة ١٩٨٠ ، إلا أنها إعلانات تخص المنتجات الفرنسية المصدرة إلى أفريقيا الناطقة بالفرنسية ، وتشرف على هذه الإعلانات هيئة عامة (٦٨) تختص بالاعلانات التى تبث من الإذاعة الدولية لفرنسا وكافة الخدمات الإذاعية والتليفزيونية الأخرى فى الدولة .

وهكذا لحقت فرنسا بألمانيا الإتحادية فى الإهتمام بالإعلانات فى برامجها الموجهة لأفريقيا . ولكن إذاعة الدويتش فيلى ابتعدت عن تقديم برامج إعلانية فى اطار خدمتها الدولية الموجهة لأفريقيا باللغة الفرنسية والإنجليزية والسواحيلى من خلال محطات البث علي الموجات القصيرة المقامة فى « كيغالى » (٦٩) برواندا ، ولم تكن التجربة ظاهريا حاسمة .

وكان يشرف على الإعلانات فى إذاعة ألمانيا هيئة « الإعلانات فى افريقيا » التابعة لهيئة الإعلانات فى ميونخ (٧٠)، وفى ١٦ أغسطس سنة ١٩٦٧ ، أنشئت مؤسسة ألمانية / رواندية ، ناب عن الدويتتس فيلى فيها هيئة « بروفنك » (٧١) التابعة لها ، والتى تأسست فى ديسمبر ١٩٦٦ بهدف « تطوير الإذاعة فى ألمانيا وفى الخارج ».

أما بالنسبة لفرنسا ، فقد كانت « السوفيراد » هى المهتمة بهذا الموضوع . ففى سنة ١٩٧٠ ، أقامت هذه الهيئة محطة تجارية « سوميرا » وكانت تديرها بالمشاركة مع هيئة الإذاعة الفرنسية لبث برامج باللغة العربية والفرنسية موجهة للشرق الأدنى من خلال محطة إرسال مقامة فى قبرص . وبعد حل هيئة الإذاعة الفرنسية وتقسيمها ، أخذت «السوفيراد » على عاتقها مهمة الإشراف على هذه المحطة . وكانت هناك محاولات مشابهة لذلك فى الجابون وافريقيا الوسطى وفى طنجة والمغرب . ويجب التنويه هنا عن أن

الإعلانات لم تكن فقط للمنتجات الوطنية ، وهذا ضد الدعاية الإقتصادية القومية التى تستهدفها إذاعة البى بى سى وراديو اليابان .

وفى هذا المجال ، تعتبر اليابان أكثر تنظيما ، حيث يوجد ممثلون عن رجال الأعمال فى قلب المجلس المكلف بإعداد مواد البرامج الموجهة للخارج من راديو طوكيو . وغير مسموح لهذه الإذاعة تقديم إعلانات مدفوعة ، ولكن الخدمة العالمية لإذاعة طوكيو هى بلا شك التى طورت حجم الدعاية الإقتصادية التى تمثل ما لايقل عن ٣٧٪ من وقت البرامج .

ومن المعروف أن مشاركة البرامج الموجهة من الإذاعة اليابانية (٧٣) والذى يتناول الإقتصاد والصناعة اليابانية منصوص عنه بوضوح فى قانون سنة ١٩٥٠ الخاص بالإذاعة ، وفى سنة ١٩٥٩، حيث تنص المادة ٤٤ - ٥ على أن : « التعاون فى الإنتاج أو فى بث مواد موجهة للخارج ، أو بخصوص البرامج التى تبث لمحطات الإذاعة الأجنبية، هو لتدعيم أواصر الحب بين الشعوب والارتقاء بتطوير التبادل الإقتصادى مع الدول الأجنبية من خلال نشر وتعميم حضارتنا وصناعتنا وأشياء أخرى ، ولإعطاء فكرة دقيقة عن بلدنا للناشرين الأجانب، ولكى تكون فى الوقت نفسه وسيلة للترويج بالنسبة لمواطنينا فى الخارج .

وفى إطار هذه التنظيمات الداخلية المتعلقة بالبرامج الموجهة ، من المعروف أن احتكار الإذاعة اليابانية للبث الخارجى يحمل هذه الإذاعة ضرورة « المساهمة فى عمليات التبادل العالمى من أجل تنمية الثقافة والإقتصاد ... » ، ويجب توضيح الوضع الحقيقى للأنشطة اليابانية الثقافية والصناعية ... (مادة ١ - ٣) .

ويتكون مجلس إدارة البرامج العالمية فى الإذاعة اليابانية من خمسة عشر عضوا من بينهم ممثلون عن التجارة الخارجية والصناعة اليابانية وكان عددهم إثنين فى سنة ١٩٧٠ . ويحدد هذا المجلس السياسة العامة للبرامج سنويا ، ويتدخل أيضا على

مستوى البرنامج الشهرى فى حالة اجتماعه شهريا لتحديد محتوى خريطة البرامج باللغة اليابانية وبثلاث وعشرين لغة أجنبية .

ويتم وضع البرامج الإخبارية والدعاية الإقتصادية على خريطة البرامج بناء على خطة تحدد أسبوعيا وتسمح باستعراض كل الأنشطة الإقتصادية : السيارات والترسانات البحرية والموانى والالكترونيات والتبادل التجارى مع الخارج ... إلخ . وتشير استطلاعات الرأي التي تقوم بها إذاعة طوكيو إلى أن الأخبار التى تخص الصناعة اليابانية تهتم بها نسبة تصل إلى ٤٥٫٦ ٪ من المستمعين الأجانب لهذه الإذاعة .

ويجب التنويه كذلك بالاهتمام الذى تعطيه برامج الدول الإسكندنافية للمسائل الإقتصادية . فالبرامج السويدية الموجهة لدول العالم الثالث تستخدم كدعامة حقيقية للصادرات ؛ ومثال ذلك يحدث بالنسبة لهولندا حيث تقدم البرامج الموجهة لأفريقيا مجلة أسبوعية عن الصناعة والتبادل الإقتصادى بين هولندا والدول الأفريقية .

ومن المؤكد أن من الصدفة البحتة وجود علاقة بين الجهة التى تبث البرامج الإذاعية إليها وبين الإتجاه الذى تأخذه البضائع .. ولكن من المؤكد وجود علاقة بين الإعلام الخارجى والثقافة والتصدير ، ويتضح ذلك أكثر بالاستناد إلى أنه خلال مؤتمر الوزراء الذى أثير فيه موضوع المناطق التى لها الأولوية فى العمل الإذاعى لفرنسا ، أفصح « ريمون بار » (٧٤) وزير التجارة الخارجية آنئذ عن موافقته على البرامج الموجهة لأمريكا الشمالية حيث يحتاج الفرنسيون هناك إلى تدعيم ليوطدوا أنفسهم على المستوى التجارى . ولما لم تكن فى استطاعة فرنسا إنتاج برامج لكل اتجاه ، فلقد اصطدم وزير التجارة بوزير الخارجية (٧٥) الذى كان موال للبرامج الموجهة لأوربا الشرقية لأسباب سياسية وكان الفوز حليف هذا الأخير .

وبمناسبة انعقاد مجلس غير عادى للوزراء فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٨١ ، لفحص أولويات العمل الحكومى قبل نهاية فترة حكم جسكار دستان ، قررت الحكومة الفرنسية

تشييد مركز للبث فى غيانا الفرنسية لتغطية جزء من أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية . وبالإضافة إلى ذلك ، تقرر دراسة إمكان استخدام محطة الترحيل والتقوية فى سيرى لانكا بالتنسيق مع ألمانيا الإتحادية ، والتى كانت تنوى إقامتها للبرامج الموجهة لجنوب شرق آسيا . وبفضل هذه المشروعات ، استعادت فرنسا بجدارة مكانتها فى ميدان الإذاعة العالمية . وفى تعليقه على قرارات مجلس الوزراء ، أصر المتحدث الرسمى للحكومة على أنه « فى العالم حاليا ، من اللازم ، ولأسباب اقتصادية وتجارية بالدرجة الأولى ، ولكن أيضا لأسباب ثقافية ، ولمكانة فرنسا واستقلالها ، أن يكون لها اليوم سيطرتها الحقيقية بوساطة الوسائل الحديثة . فمن المفيد جدا إنشاء مدارس ومعاهد ، وأن يكون لفرنسا مدرسون وفنيون ، ولكن يجب كذلك استخدام وسائل البث التى يسمح بها الراديو » .

ـ التأثير الإقتصادى للبرامج الموجهة

فى مجال البرامج الموجهة ، يتبقى لنا أن نعرف أن هناك دائما شيئا من الشك فيما يتعلق بالتأثير الفعلى لهذه البرامج على سلوك المستمعين بوصفهم «مستهلكين» . ويمكن ، فى حالة الإعلان التجارى ، الاعتقاد بأن الشركات الخاصة لاتقبل على الإنفاق على الإعلانات إلا إذا ضمنت مردودية لما تنفقه .لكن هناك عقبتين تضعفان من تأثير هذا النوع من الرسائل وهما : صعوبة الأستماع للموجات القصيرة ، وحاجز اللغة بوجه خاص .

ـ مشكلة اللغة التى تعترض الإذاعات الدولية

بالنسبة للإذاعة الدولية ، تعتبر اللغة عاملا أساسيا يحد من تأثير هذه البرامج . فإذا افترضنا توافر كل الشروط الأخرى اللازمة لاستقبال إذاعة دولية (٧٦) ، فإن برامج محطات الإذاعة الدولية الموجهة إلى افريقيا تعطى مثالا واضحا للعقبة التى تشكلها اللغة . فقد توصل استطلاع للرأى حول البرامج طبق فى سنة ١٩٧٤ ، إلى أن حاجز اللغة يمنع الإذاعات الدولية من الوصول إلى معظم الشعوب الافريقية (٧٧) .

وقد وضعت اللغة المستخدمة حدودا للإذاعة فى أجزاء أخرى من العالم . ففى آسيا ، على سبيل المثال ، تستخدم كل الخدمات العالمية الرئيسية اللغات الصينية والإنجليزية واليابانية ، ولكن « هناك شعوبا عديدة يجب كذلك أن تقدم لها البرامج باللغة الأندونيسية والكورية والفيتنامية والهندية وفى العديد من اللغات واللجهات الأخرى » (٧٨) ، وإن كانت اللغة تعتبر عاملا مؤثرا بدرجة ضعيفة جدا فى أمريكا اللاتينية وفى الشرق الأوسط .

والمشكلة هنا تتعلق بعوائق لايمكن للإذاعات الأجنبية البائة أن تتغلب عليها. ولكن يعتبر الإنفتاح على التعليم والتمدين من العوامل التى تساعد على زيادة حجم المستمعين للإذاعات الدولية . وبالنسبة لأفريقيا يعتبر لجوء بعض المحطات للبث باللغة السواحيلية وبالهوسا غير كاف .

وفى الواقع ، ليست اللغات الأكثر انتشارا لغات سائدة مثل اللغة العربية فى الشرق الأوسط . ففى السبعينيات زاد عدد اللغات التى تستخدمها الخدمات الدولية للإذاعة ، ولكن لايمكن لأية دولة أن تدعى بأنها تتحكم فى تغطية شاملة للقارة الأفريقية أو للقارة الآسيوية ، فالإذاعات القومية هى فقط التى تستطيع القيام جزئيا ببث برامج بمختلف اللغات المحلية فى الدولة . وفى سنة ١٩٧٢ ، وصل عدد اللغات التى تستخدمها المحطات الإذاعية الافريقية إلى ١٩٦ لغة مقابل ١٠٩ لغات فى سنة ١٩٦٠.

وعلى أى حال ، يمثل عائق اللغة الحماية الوحيدة الفعالة ضد الغزو الإقتصادى والثقافى والسياسى الذى تمارسه الدول القوية تجاه الدول الضعيفة ، ولكنها حماية جزئية فى حالة وصول البرامج الموجهة إلى « قادة الرأى » وإلى « أصحاب القرار »،او بمعنى أدق ، إلى الذين يحركون الجماهير ويخططون لها .

وأهمية البرامج لاتخص فقط المستمعين الأجانب ، ولكن هناك أيضا الوطنيين الذين يوافقون على الاغتراب عن رضا شريطة عدم الإنفصال تماما عن وطنهم . وفى سنة

١٩٨٠ لاحظت « فرانسواز جيرو » (٧٩) التى كانت فى رحلة بالصين أن الفنيين فى شركة بترول « إلف أكيتان » (٨٠) قد بدأوا التنقيب فى بحر الصين بحثا عن البترول ، ويكدرهم أنهم ، بسبب رغبتهم فى مداومة معرفة ما يحدث فى العالم ، وأنهم مضطرون للاستماع لصوت أمريكا والبى بى سى ، فقد كان راديو فرنسا الدولى لايبث فى هذه المنطقة بسبب العجز المالى . وتتنافس الشركات الفرنسية مع مثيلاتها فى الدول الصناعية الأخرى لبيع مختلف الأجهزة (٨١) .

وما يقال عن برامج الإذاعة ينطبق أيضا على برامج التليفزيون التى ترسلها الدول الصناعية إلى دول العالم الثالث . ويمثل تصدير الوسائل الإعلامية إذن طريقة ملائمة للصادرات الصناعية . ويمكن بناء موازنة فعلا بين صادرات أجهزة التليفزيون والمواد اللازمة لبرامج التليفزيون ، وهو مايحدث فى اليابان - إلى حد ما - وفى فرنسا ، والمثال الواضح أكثر على ذلك هو بريطانيا العظمى ، ثانى مصدر لبرامج التليفزيون بعد الولايات المتحدة (٨٢) .

والمعركة الفرنسية / الألمانية التى كان كل من الطرفين فيها يسعى لكى يرفع من شأن نظام التليفزيون الخاص به ، لم تكن معركة للاحتفاظ بالمكانة كما يقال أحيانا ، بل كانت فى الواقع ، ومن خلال نظام « سيكام » الفرنسى ونظام « بال » الألمانى (٨٣) ، مسألة حياة أو موت بالنسبة للصناعات الالكترونية فى كلتا الدولتين . والسبق الإقتصادى والصناعى مهم لكل منهما ، واختيار نظام التليفزيون يعنى - فى الواقع - طلبات على المدى الطويل ، ليس فقط لأجهزة التليفزيون ، ولكن أيضا لمحطات إرسال ولكل ما يلزم للبرامج بما فيها الاستوديوهات وآلات التصوير (٨٤) .

ولما كانت البرامج الموجهة للخارج معدة بوجه خاص للعمل السياسى والثقافى ، سواء بالنسبة للراديو أو للتليفزيون ، فإنها خضعت للموقف العالمى الجديد الذى انبثق من الأزمة الإقتصادية ، وكذلك من الضرورة التى وجدت الدول الصناعية نفسها فيها لغزو الأسواق الخارجية . ولكن ذلك اتضح أكثر فيما بعد ، فى البرامج الموجهة للكتلة الشرقية بوجه خاص . ولكن هذا التوجيه خاصة يُعلّق عنه فى برامج دول نصف الكرة

الشمالى الموجهة لنصف الكرة الجنوبى ؛ من الدول الصناعية إلى الدول النامية التى تشكل سوقا لها أهميتها .

وفى غزو الأسواق الخارجية ، تصبح السياسة الإعلامية مخاطرة لها وزنها مثل السياسة الثقافية . وفى هذا الخصوص ، أشار البعض (٨٥) إلى أن فرنسا قد تأخرت عن ألمانيا الغربية وعن أمريكا اللتين ربطتا بين السياسة الثقافية والخارجية والعلاقات التجارية مع الخارج . وتظهر فعالية دور فرنسا فى هذا المجال فى دول افريقيا الناطقة بالفرنسية وفى الشرق الأدنى . فبالنسبة للشرق الأدنى ، فإنه بالإضافة إلى البرامج الإذاعية المباشرة ، تبذل فرنسا جهدا ملموسا لتوزيع برامج التليفزيون ولترويج نظامها الخاص بالتليفزيون الملون (٨٦) .

وفى سنة ١٩٧٩ ، طلبت الحكومة الفرنسية من أحد المسئولين (٨٧) قبل استلامه العمل مديرا لراديو وتليفزيون اللوكسمبورج كتابة تقرير عن العمل الثقافى الخارجى للإذاعة . وقد جاء فى خاتمة هذا التقرير أن التأثير « السياسى والإقتصادى والثقافى يجب أن يرتبط بشدة ، مع الأخذ فى الاعتبار المتطلبات الخاصة بكل مجال . فدورنا الثقافى ودورنا الإقتصادى يجب أن يتكاتفا كما هو الحال لدى الأمريكيين واليابانيين » . وقد أكد التقرير كذلك على الرابطة بين التعاون الثقافى وصادرات الصناعة الفرنسية : «عند المساهمة بتدريب الكوادر فى الدول النامية من خلال مضاعفة الروابط العلمية والفنية وتشجيع تبادل الأفراد والأفكار ، فإن فرنسا لا تسعى فقط إلى كسب عملاء ، بل شركاء يمكن أن تقيم معهم روابط دائمة ، وبوجه خاص ، مع القوى الصناعية الصاعدة فى العالم الثالث (٨٨) » .

وهكذا أصبحت الثقافة والإتصال والإقتصاد مرتبطين معا . ويؤكد البعض أن الثقافة والإتصال يؤثران بشدة على الإقتصاد (٨٩) : « قوة إشعاع الوطن الأم تتضخم دائما عندما يداوم على حركات هجرة متبادلة مع أمثاله ، وعندما تتفوق لغة الدولة ذات النفوذ فى الدولة تحت التأثير . وبهذا فإن انتشار اللغة الفرنسية يحقق لفرنسا فائضا فى رصيدها فى أوربا وفى أفريقيا ، مثلما يحدث فى العالم الناطق باللغتين البرتغالية

والأسبانية فى شبه الجزيرة الأسبانية (الأيبيرية)؛وتسهل المستعمرات التى تقطنها شعوب ألمانية ويابانية دخول المنتج والتقنية الألمانية واليابانية إلى البرازيل .

وتعقّب حركات العمال المهاجرين و « نزوح الأدمغة » حركة الهجرة المؤقتة للسياسة ، حائلة ومطالبة بالتبادل المتعادل بين الشمال والجنوب فى منطقة البحر المتوسط، أو بين الشمال والجنوب فى منطقة البحر الكاريبى . هذا التأثير الثقافى مصحوب دائما بإشعاع نمط معين للحياة ونماذج أساسية .

ولقد رأى « جون فرانسوا بونسيه » (٩٠) الذى قدم التقرير إلى الصحافة بوصفه وزيرا للخارجية ضرورة تحقيق تقارب بين العمل الثقافى والعلمى والفنى وبين أنشطة أخرى ، وبخاصة التوسع التجارى . ويجب على « المنتجات الثقافية (سينما وأسطوانات ... الخ) أن تتطور من خلال التعاون مع شركاء يوفرون لها التمويل بالبحث عن التعاون مع المؤسسات الصناعية بالذات » . وأشار الوزير بوجه خاص إلى تطور المنافسة الخارجية ، وأهمها اليابانية والألمانية . فقد كرست جمهورية المانيا الإتحادية ثلاثة مليارات من الفرنكات للعمل الثقافى مقابل مليارين وخمس المليار بالنسبة لفرنسا . ولمواجهة هذه المنافسة أشار التقرير المذكور إلى تحديث العمل الثقافى باللجوء إلى وسائل البث الجماهيرى ، « ولقد استمر الأخذ بالتوسع فى البرامج التى توجه باللغة الفرنسية للخارج بأسلوب يسمح لها بأن تسمع فى أمريكا اللاتينية وفى جنوب شرق آسيا » . كذلك طرح

وهكذا أصبحت الدبلوماسية والثقافة من الآن فصاعدا فى خدمة الإقتصاد ، الذى يروج له من خلال وسائل الإعلام . ولكن ، عندما يتعلق الأمر بالدعاية السياسية وبالدعاية الثقافية والإقتصادية ، فإن البرامج الموجهة من الشمال للجنوب تكون حكرا على الصفوة .

وفى الحقيقة ، الصفوة فى العالم الثالث هى التى تمارس المسئوليات السياسية والاقتصادية ، وهى التى لها السلطة الرئيسية للشراء . وليس من الغريب عندئذ أن نرى « متخذى القرار » هؤلاء يصبحون الهدف المفضل لوسائل اتصال الدول الغنية . هذه الوسائل المسماة بالجماهيرية تظل من جهة أخرى بعيدة عن الغالبية العظمى لشعوب العالم الثالث الذين يظلون فى منأى عن المزاحمة .

تعطى التقنيات الحديثة للاتصال رؤى جديدة للدور الأيديولوجى فى العلاقات الدولية . ويدعم الراديو والتليفزيون بدون حواجز هذا الدور بإعطاء حجم آخر لهذا الشكل من الدبلوماسية ، وبدأت وسائل الإعلام تصبح وسيلة مثلى للعمل الخارجى للأمة .

وربما تكون الأداة اليوم أكثر تطورا عن الإنسان الذى يستخدمها . وفى الواقع ، فور نجاح الإنسان فى السيطرة على الإذاعة ، وجد نفسه ، ليس فقط فى مواجهة الأقمار الصناعية والتليفزيون الدولى ، بل كذلك فى مواجهة كل أنواع الوسائل التى من الصعب تحديد تأثيرها على العلاقات الثقافية بين الشعوب .

ولم يتحقق التوصل إلى حقيقة الرابطة بين الاتصال والعلاقات الدولية إلا منذ وقت قريب ، وهذا التطور للإعلام بدون حواجز لن يجعل المهمة إلا أكثر صعوبة .

والإذاعة ، التى هى أكثر الوسائل عالمية ، كانت ومازالت أكثر الاشعاعات فعالية لهذا الشكل من دبلوماسية الاقناع والضغط . ولقد عرفت البرامج الموجهة للخارج زيادة مطردة منذ اكتشاف الإذاعة ، ولم يضعف اهتمام الدول بهذه الوسيلة للعمل الخارجى .

وبفضل التطور الذى حدث للوسائل التقنية ، وكفاءة محطات البث ، عرف العمل الإذاعى الدولى اليوم تقدما لم يسبق له مثيل فى العالم ، واحتلت الترددات وتشبعت ، وفجرت مطالبة دول العالم الثالث بتوزيع جديد للترددات مشكلة خطيرة فى العلاقات بين الشمال والجنوب .

بيد أن العديد من المتخصصين فى السيتينيات قد غبنوا الإذاعة حقها بدون داع عندما قالوا إن الراديو قد وصل إلى الذروة ولايمكنه إلا أن يتوارى لكى يترك مكانا

للتليفزيون ، وأن الصوت يجب أن تحل الصورة مكانه . ولقد أخطأ هؤلاء فعلا كما أخطأ من سبقوهم الذين بهروا بالإعلام المسموع وتوقعوا نهاية الصحافة المطبوعة .

وفى الربع الأخير من القرن العشرين ، عاصرنا ومازلنا يوميا نتابع توزيعا حقيقيا لأدوار وسائل الإعلام ، فالراديو والتليفزيون والصحف المطبوعة تتكامل . وفى المجتمع الذى وصلت فيه التقنية إلى درجة اللامعقول ، لاتوجد حدود بالنسبة للحاجة للإعلام بالمعنى الواسع لهذه الكلمة .

وبالنسبة للإذاعة الخارجية ، فإن الأقمار الصناعية هى التى على وشك الاستخدام من خلال الموجات الديكامترية .

وفى الإذاعة الدولية على الموجات القصيرة ، سوف يتعاقب البث الإذاعى المباشر عبر الأقمار الصناعية والتليفزيون الدولى بدون حواجز . ولكن هذا التطور لن يمنع من إثارة العديد من المشكلات ، ويهدد بخطر التوتر بين الأمم .

وفى الحرب العالمية للموجات التى بدأت سحبها تتجمع ، سوف تتمكن بعض الدول من خوض معارك هذه الحرب - الدول الصناعية أيا كان النظام الاقتصادى للدولة أو ميولها الأيديولوجية - وسوف تجتهد دول أخرى لحماية نفسها من حدث مرتقب ، لأن لا القوانين ولا المحظورات منعت الإنسان من استخدام وسائله التقنية (٩١).

ولقد بدأت إرهاصات المواجهة الأيديولوجية تتضح شيئا فشيئا ، وسوف يشكل ذلك امتدادا للمعارك التى تدور منذ عشرات السنين على الموجات الديكامترية ويمثل تطورا لها .

ولاتستخدم الإذاعة الدولية وحدها ، فهى تستخدم إلى جانب وسائل أخرى :

التليفزيون والفيلم والصحف والكتب ... الخ . وتلجأ الدول إلى هذه الوسائل فى إطار سياسة شاملة للعمل الخارجى الدبلوماسى والثقافى والاقتصادى .

ولتطبيق هذه السياسة ، أحكمت الدول المتقدمة عملها الخارجى فى مجال الوسائل المسموعة/المرئية آخذة فى الاعتبار التطورات التكنولوجية والحاجات الثقافية فى مختلف المناطق فوق الكرة الأرضية . وتصبح وسائل الإعلام عندئذ ورقة رابحة تستخدمها الدول وفقا للظروف وتبعا للحاجات .

وبدون شك ، تبالغ الحكومات غالبا فى تقديرها تأثير الدعاية من خلال وسائل الإعلام ، وبخاصة الدعاية الإذاعية . ولكن فى مناخ ملائم ، يمكن أن تصبح الإذاعة سلاحا رهيبا . ففى أثناء الحرب العالمية الثانية ، كانت لإذاعة البى بى سى فعالية متميزة فى « معركة التحرير » . وفى تاريخ أقرب لنا من ذلك ، لعبت هذه الوسيلة دورا لايمكن إغفاله فى ظهور الحركات القومية وتطورها فى العالم الثالث وفى حركات المقاومة فى الدول الشرقية .

ولأنها وسيط على أرقى مستوى فى نقل الأيديولوجية ، تعتبر الإذاعة دعامة مثالية لقيام « حوار بين الحضارات » . ولكونها أداة للسيطرة ، يمكن للإذاعة أن تصبح ملتقى طرق للثقافات .

بعث رسالة إلى مسافة بعيدة وفى وقت وجيز ، كان منذ وقت طويل حلما يراود الجماعات البشرية حتى البدائيين منهم . ولقد أعقب نقل الاشارات الكهربية نقل الاشارات السمعية مثل دقات الطبول فى أفريقيا ، أو البصرية مثل الدخان لدى هنود أمريكا ، أو فيما بعد التلغراف البرقى . ولقد أحدثت الإشارات الكهربائية تطورين أساسيين هما : شبه حالية فى النقل ، وإمكانية إعادة صياغة الرسالة كاملة عند وصولها . وهكذا يمكن يمكن للأصوات - وفيما بعد للصور - أن تصل إلى مسافة طويلة بعد أن تكون قد تحولت إلى تيار كهربائى عند الارسال قبل أن تعود إلى سيرتها الأولى بعد الرحلة ، حيث فى البداية هناك أجهزة للبث وأجهزة للاستقبال عند وصولها .

وفى عرض أقيم فى لندن سنة ١٨٦٥ ، كان « ماكسويل » (٩٢) أول من تحدث عن وجود موجات الكترومغناطيسية شبيهة بالموجات الضوئية ، وصاغ النظرية التى تشير إلى أن الموجات الالكترومغناطيسية يمكنها أن تنتقل من خلال الاثير حيث يمكنها أن تنتشر بسرعة الضوء .

ولقد درس « هيرتز » (٩٣) هذه النظرية سنة ١٨٨٧ وأجرى التجارب عليها، واكتشف هذه الموجات التى تحمل اسمه اليوم أيضا . وهيرتز هو الذى قاس طول الموجة وسرعتها بالضبط ٣٠٠٠٠٠ ك / هيرتز فى الثانية - مؤكدا بذلك نظرية ماكسويل .

ونجح « برانلى » (٩٤) ، فى المرحلة الأولى فى الاتصال بوساطة الراديو من خلال جهاز يستخدم للاهتداء لموجات هيرتز الكهربية الموجودة . وأخيرا ، جمع « ماركونى » (٩٥) كل هذه المعطيات ، وكان أول من سجل ترخيصا لنظام الاتصال بالراديو ، وحقق فى سنة ١٨٩٦ هذا الاتصال عن بعد بدون أسلاك .

ولمن يهتم بهذا الموضوع ، نشير إلى أن الدول الكبرى فى أوربا قد شاركت فى المساهمة فى هذه المغامرة : انجلترا ويمثلها ماكسويل ، وهيرتز من المانيا ، وبرانلى من فرنسا ، وماركونى من ايطاليا . أما الروس ، ويمثلهم العالم « بوبوف » (٩٦) فيطالبون بالمكان الذى احتله ماركونى ، بل شكلت هذه المطالبة نقطة جدل حاد بين الشرق والغرب فى فترة الحرب الباردة .

ولقد عرف استخدام الموجات فى البث منذ ذلك الحين تطبيقات متعددة ، فقد لجأ الجيش والبحرية المدنية والعسكرية والبوليس والإدارة والطيران والسكك الحديدية إلى الموجات الهيرتزية واستخدموها كوسيلة للاتصال عن بعد .

والإذاعة إذن ليست سوى امتداد لاستخدام الموجات الهيرتزية : « للاتصال الفعلى عن بعد والذى كانت تمثله الطباعة من قبل بالنسبة للكتابة » .

وبالفعل ، بينما كان الاتصال عن بعد تراسل وارتباط بين شخصين ، مثل الخطاب نفسه ، فإن الإذاعة - وتتميز بحاليتها - وسيلة للنشر مثل المطبعة نفسها والتى تتميز عنها ليس بالحالية ، ولكن بعدد النسخ غير المحدود الذى تسمح به (٩٧).

ويحدث الاتصال الإذاعى من خلال إشعاع الموجات الالكترومغناطيسية التى تنتج عن ذبذبات ذات ترددات عالية تميز موجة عن أخرى .

ولتبسيط مفهوم الموجة لكى تكون مألوفة ، اعتدنا استخدام صورة ارتجاج سطح مائى أصابه حجر مثلا : عندئذ تظهر موجة على سطح الماء وتنتشر فى « دوائر » من بداية نقطة الارتجاج ، ولا تشبه الموجة إنتقال المادة لأن هناك سدادة تقع على خط سير الموجه وسوف تقفز فى طريقها ، إلا أن الموجة ستحملها معها .

والموجة الكهرومغناطيسية التى تتكون من مجال كهربى وآخر مغناطيسى تنقل الطاقة فى أثناء انتشارها . وهذا حدث هام جدا يقع فى كل مرة تنتشر فيها موجة

كهرومغناطيسية ، أى حتى فى أكثر الفراغات وضوحا ؛ ولاتلعب المادة دورا فى هذا الانتشار ، وخصصنا كلمة « أثير » للتعبير عن هذا الجسم السائل الذى لا وزن له والذى بوساطته يتم انتشار الموجات ، بدون أن يعطى مفهوم الموجة هذا تفسيرا فعليا لهذه الظاهرات فى الحقيقة .

والتردد هو الذى يميز كل موجة ويحدد لها خصائصها الذاتية . ونفضل أحيانا وصف الموجة بترددها ولكن بطولها ، أى بالمسافة التى تقطعها الموجة فى وقت مماثل لفترة الظاهرة دقيقة / التردد ، أو أن أيضا ناتج طول الموجة على التردد يساوى سرعة الضوء . وهكذا ، فإن الرقم ٣٠٠ م مثلا المكتوب على ميناء جهاز الراديو يمثل حاصل قسمة سرعة الضوء (٣٠٠ ٠٠٠ ك م) على تردد الذبذبات لطول هذه الموجة (ألف كيلو سيكل) .

ومن المهم أيضا أن نعرف الظاهرات المرتبطة بانتشار هذه الموجات . فبصفة عامة ، تنتقل الموجات ، أو تنتشر ، فى خط مستقيم عندما يكون الوسط الذى تتحرك فيه متجانسا . ويحدث انعكاس على السطح مما يجعل الموجة تغير من اتجاهها . ويقع الانكسار عندما تغير حزمة الموجات اتجاهها فى أثناء مرورها من وسط لآخر بين طبقات الجو المختلفة مثلا . والحيود خاصية يمكن للموجات بوساطتها أن تدور حول العوائق التى تعترض طريقها ، مثل مبنى عال أو تل .

وتوجد فعلا أوساط ملائمة كثيرا أو قليلا لانتشار الموجات .. وفى الواقع تضعف الموجات على طول طريقها ، إذا عرفنا أن التربة موصل غير جيد فى الغالب ، مادامت تبدد جزءا من الطاقة التى تحملها الموجة .

وهكذا ، كلما كانت قابلية التربة للنقل ضعيفة ضعفت الموجة . وعلى هذا الأساس يعتبر ماء البحر فى الواقع أكثر « تربة » ملائمة يمكن للموجة أن تنتشر فوقها . أما الأراضى الطينية الزراعية ، فإن خاصية النقل لها أضعف مما لماء البحر بأكثر من مائة مرة، وتقلل التضاريس والغابات من هذه القابلية أيضا ، وكذلك إذا كانت التربة رملية

وجافة ؛ أما الأراضى الصخرية وغير المستوية فإنها أضعف وسط لانتشار الموجات ؛ وفى المدن والمناطق الصناعية التى تشكل فوق سطح الأرض العديد من العوامل التى تبدد الطاقة ، فإن المناخ الذى تسمح به لانتشار الموجة يشابه ذلك الذى يرتبط بأرض صخرية وجبلية . وما من شك فى أن هذه الخصائص تهمنا عند بث برامج على المستوى القومى كما على المستوى العالمى .

وللوهلة الأولى ، يبدو أن الطيف يوفر إمكانيات غير محدودة مادامت الموجات الهيرتزية تتراوح أطوالها ما بين ۳۰۰۰۰ متر وعشر المليمتر .

ولكن الحقيقة أن الإذاعة لاتستخدم سوى بعض أجزاء الطيف . وينبغى أن تتقاسم الإذاعة الموجات الموجودة مع خدمات أخرى : مع البحرية والطيران وهيئة المواصلات والجيش والبوليس ، لذلك كان من الضرورى تقنين إستخدام هذه الموجات لتجنب وقوع فوضى فى النظام العالمى للبث .

ويمكن تصنيف الموجات التى خصصت للإذاعة فى أربع فئات - أو حيزات - رئيسية هى :

- الموجات الطويلة (أو الموجات الكبيرة) ،
- والموجات المتوسطة ،
- والموجات المترية أو القصيرة جدا المستخدمة فى البث بتعديل التردد ،
- والموجات القصيرة .

وفى كل حيز من هذه الحيزات هناك قنوات - يمكن تشبيهها بالطرق التى تعين لمختلف فئات وسائل النقل الجوى - خصصت بعدد أقل أو أكبر للدول البائة .

– الموجات الطويلة :

وتتميز بأنها تسمح بالبث فى دائرة نصف قطرها يتراوح ما بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ كيلو متر . وفى المقابل ، يعيب هذه الموجات أنها حساسة لأى تشويش جوى ، وبخاصة

على مسافة محدودة من مصدر البث . وزيادة على ذلك ، فإن خصائصها وصلت إلى درجة أصبح فيها من المستحيل فى أوربا تخصيص أى قناة ، بمعنى توفير طول موجة لكل دولة .

– الموجات المتوسطة :

ومدى هذه الموجات أقل من مدى الموجات الطويلة . ويختلف مداها نهارا عنه ليلا:

- ١٠٠ - ٣٠٠ ك م فى النهار ،
- ١٠٠ - ٥٠٠ ك م فى المساء وذلك بالنسبة لأجهزة إرسال قوتها متوسطة .

أما أجهزة الارسال التى تزيد قوتها عن ٥٠٠ كيلو وات فيفوق إشعاعها قليلا المحطات الأخرى إذا تغاضينا عن ظاهرة « التداخل » .

– الموجات المترية :

وتستخدم فى الإذاعة المحلية ، أى لمسافة قصيرة . ومع ذلك يسمح تعديل التردد (FM) هنا باستقبال البث على أعلى مستوى .

– الموجات القصيرة :

وتتميز هذه الموجات بانعكاسها على طبقة الأينوسفير فى الجو مما يضاعف مداها . وهكذا يمكن للموجات القصيرة أن تدور حول الكرة الأرضية ، فى حين يتوقف تكوين الطبقات العاكسة المتموجة على تأثير الشمس ، المرتبطة إذن بدرجة الضوء ، وبالتالى بحركات الأرض : الدورة اليومية للنهار والليل ، والدورة السنوية للفصول ، والمرتبط كذلك بالنشاط الشمسى (عدد البقع) الذى يتغير تبعا للدورة العقدية .

نستنتج مما سبق أن تردد البرنامج يجب أن يعدل بالنسبة للاتصال المطلوب فى لحظة ما . ولما كان التردد الملائم يتغير وبسرعة أحيانا ، فمن الأفضل عدم البث على تردد

واحد ، بل أن يتزامن البث على أكثر من تردد بأسلوب يمكن المستمع من تحويل مؤشر جهازه من تردد إلى آخر تبعا لاختلاف ظروف انتشار الموجة .

وعيوب الموجة القصيرة ، وبخاصة عدم استقرارها ، يمكن التخفيف منها عندما تكون هناك معدات ملائمة للبث والاستقبال : الأولى تخص قوة جهاز البث ، والأخرى الاستعانة بترددات متعددة بحيث تصلح واحدة منها على الأقل للإستقبال فى منطقة ما فى وقت محدد . ويتطلب الإستماع المستمر لمحطة ما على الموجات القصيرة مجهودا بسيطا من جانب المستمع يتمثل فى حصر مجموعة الموجات التى تبث البرنامج .

وتصلح الموجات القصيرة بوجه خاص للبرامج المراد أن تصل إلى الدول البعيدة كذلك فى الاستطاعة أيضا توجيه هذه الموجات فى هذا الاتجاه أو ذاك ، وأحيانا يستكمل هذا البث المباشر بأبراج ترحيلية لتقوية البث للمسافات البعيدة . ويمكن تحقيق هذا الترحيل بوساطة أجهزة للارسال بالنسبة للموجات القصيرة أو منشئات للموجات المتوسطة ، وذلك عندما تكون الأرض المراد الوصول إليها بالبث واقعة على مسافة لاتتجاوز بعض مئات الكيلومترات.

وإقامة برج للترحيل على أراضى أجنبية يعتبر دائما جريمة ، ويتطلب ذلك ، بصفة عامة ، مراعاة بعض الشرو ط التى تتعلق بمحتوى البرامج لعدم مضايقة الدولة المضيفة .

الهوامش

مقدمة

١ - تتفق المعربة مع الكاتب فى هذا الرأى .

- للاستزادة فى هذا الموضوع إرجع إلى : إنشراح الشال ملحق رقم (٣) ص ٢١٧ - ٢٢٤ فى : علاقة الطفل بالوسائل المطبوعة والالكترونية . دار الفكر العربى ، ١٩٨٧ . وإلى : إنشراح الشال . - مدخل إلى علم الاجتماع الاعلامى . مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ١٩٨٥ .

٢ - Bzrezinski

٣ - الفقرة مقتبسة من :

Albert Glowinski . - Telecommunication Objectif 2000. Dunod 1980

٤ - وهو ما سبق للمعربة أن أشارت إليه فى كتابات سابقة ، واستشهدت على ذلك بقول الحق سبحانه وتعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » صدق الله العظيم .

المبحث الأول

٥ - والتى يمكن أن يسميها البعض « نظريات » أو « مفاهيم » أو « وجهات نظر » .

٦ - Anglo Saxons

٧ - طالبت الدولة المعروفة فى مصر باسم « ساحل العاج » بأن تذكر بإسمها الفرنسى " Côte d'Ivoire " دون تعريبه ، ولذلك أخذنا بهذا المطلب ونكتب إسمها فيما يلى على النحو التالى : (كوت ديفوار) .

٨ - إرجع إلى ما كتب باللغة العربية فى هذا الموضوع :

9 - Jean - Louis Servan - Schreiber . - Le pouvoir d'informer Robert Laffont, 1972 .

10 - Arrêté du Comité Central du Parti Communiste de L'URSS du 29/01/1960 .

11 - Le Monde du 5 Septembre 1979

12 - Zassourski Kaclev : Mass media et société - Un point de vue soviétique . Le Courrier de L'UNESCO , avril 1977.

13 - Quotidien du Peuple .

14 - Bondan Harasymiw . - Education and the Mass Media in the Soviet Union and Eastern Europe . Preager publishers . London 1976 .

15 - K . Nordenstreng . - Radiodiffusion et télévision en Union Soviétique . Cahier B de L'UER , N. 117, septembre 1969 .

16 - Le jeu des pouvoirs et des médias . Pantaglos No 9, 1979 .

17 - Wilbur Schramm

18 - Bamako

19 - Former , éduquer , stimuler

20 - Fraternité - Matin . Abidjan 24/12/1976

21-Sékou-Touré

22 - Discours du président Sékou - Touré. Editée par le Ministre de l'Information , Conakry 1975 .

23 - Information , formation , transformation

24 - N' KRUMAH

25 - Zubeida Mustafa . - Un seul monde . Supplément du Monde , 25 Mars 1980 .

26 - Masmoudi Mustapha . . P . P . E . No 324 . La Documentation Française , 25 Novembre 1977 .

٢٧ - للاستزادة فى ذلك ارجع إلى : انشراح الشال . - « الاقمار الصناعية والاعلام الدولى » ملحق رقم (١٢) ص ٢٥٢ - ٢٨٣ ، فى : الأقمار الصناعية والتنمية . مكتبة نهضة الشرق . جامعة القاهرة ١٩٨٨ .

28 - Jérôme Carlos. - Communication et information . vol . 3, n 2 , Hiver 1980 . Université de Laval . Canada

٢٩ - انظر الهامش رقم٢٧ . وللاستزادة فى موضوع الاقمار الصناعية والمحطات الأرضية إرجع الى انشراح الشال . - الاعلام الدولى عبر الاقمار الصناعية : دراسة لشبكات التليفزيون . دار الفكر العربى ١٩٨٦ .

٣٠ - للاستزادة إرجع الى : انشراح الشال . - مدخل إلى علم الاجتماع الاعلامى . مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ١٩٨٥ .

31 - Rita Cruise O' Brien . - " Communication de masse . Mécanismes sociaux d' incorporation et de dépendance . Revue Tiers -Monde, Tome XX , no 79 , juillet / septembre 1979 .

32 - Herbert E . Schiller : Mass Communication and American Empire. Augustus M . Kally publishers , New York 1970

33 - Rosemary Righter . - Whose news ? Politics the Press and the Third World . Burnett Books , London 1978

34 - Elio Gaspari . - Un seul monde . Supplément du Monde , 28 Mars 1980 .

35 - M . H . Heikel . - La démocratie dans le Tiers - Monde . Jeune Afrique - No 884 , 16 Décembre 1977 .

المبحث الثانى

36 - Propagande : Les Communications de masse . Hachette . Les sciences de l' action , 1972 .

37 - La blanche .

38- La grise .

39 - Free Europe

40 - Radio Liberty

41 - La noire

42 - C I A

43 - K G B

44 - Jacques Driancourt J. - La propagande : Nouvelle force politique . Armand Colin 1950 .

45 - Varsovie .

46 - Leo Bogart . - Permises. for Propagande . Mac Millan, London 1976 .

47 - (U S I A) United States Information Agency .
48 - Pierre Miquel . - Histoire de la radio et de la télévision . Richelieu, Paris 1973 .
49 - Goebbels .
50 - Jacques Leaute . - Notre violence . Denoël 1977.
51 - Hitler .
52 - J . P . Faye . - Languages totalitaires . Herman Paris 1976 .
53 - Serge Tcharhotine . - Le viol des foules . Gallimard 1939
54 - Jean - Marie Domenach . - La propagande politique . P U F 1950 .
٥٥ - للاستزادة إرجع أيضا إلى :
Enshirah EL SHAL . - La responsabilité sociale de la télévision dans un pays en développement : L'Egypte. Thèse de Doctorat d'Etat, Université de Bordeaux 2 1983 (Publiée en 1984)
56 - Jacques Driancourt . - La propagande : Nouvelle force politique - Armand Colin 1950 .
57 - Raymond Aron . - Signification politique de la Radiodiffusion - Télévision. CERT No 15. Flammarion 1957
58 - Jean - Marie Piemme . - La propagande inavouée . U G E Paris 1975 .
59 - Robert Bichet . - L ' information est - elle une propagande ? Edition du Mail 1947 .
60 - Wilbur Schramm . - Mass Communications . University of Illinois Press , U S A 1975 .
61 - Jean - Noël Kapferer . - Les chemins de la persuasion . Gauthier - Villars Paris 1978 .
62 - Capitaine R . Claude . - La propagande. Revue de la défense Nationale. aout - septembre 1955
63 - " diplomatie Spectacle " .
64 - Leo Bogart . - Premises for Propagande . Mac Millan London 1976 .
٦٥ - نسبة إلى ستالين .
66 - Tocqueville
67 - Jacques Ellul . - Propaganda . Armand Colin , Paris 1962 .
68 - Jacques Driancourt . op . cit .

٦٩ - الاذاعة الموجهة هى ترجمتنا التى اخترناها لما ذكره المؤلف باسم Radio extérieure والذى يمكن أن يترجمه البعض على أنه الاذاعة (أو الراديو) الخارجية وإن كانت هذه الترجمة قد تحدث لبسا لدى القارىء العربى .

70 - Arnot Huth . - La radiodiffusion , puissance mondiale . Gallimard . 1937 .

71 - " Radiotélégraphie "

72 - Brest - Litowsk .

73 - Moscou - Komintern .

74 - Arnold Raestad.-Journal des télécommunications , no 8 Aout 1935 .

وللاستزادة فى موضوع الموجات وخصائصها إرجع إلى : إنشراح الشال . - الاعلام الدولى عبر الاقمار الصناعية . مرجع سابق .

٧٥ - ومثال ذلك 75 -(UIR و UIT)

- Union des Télécommunications.
- Union Internationale de Radiodiffusion .

76 - Comité International de la T S F

77 - Sixième Congrès Juridique International de la T S F . Les Editions Internationales , Paris 1936 .

78 - Septième Congrès Juridique International de la TSF. Les Editions Internationales, Paris 1937 .

٧٩ - الاستاذ فى جامعة إكس AIX الفرنسية 79 - " Pradelle"

80 - Société des Nations

81 - G . Goding . - La radiodiffusion dans le monde . UNESCO 1959 .

82 - Poste Colonial .

83 - Fédération Nationale de la Radiodiffusion Coloniale

84 - Alexandre Conty .

85 - Lytton .

86 - Radio Centre - Moscou .

الفصل الثانى

المبحث الرابع

1 - U I R
2 - Journal télégraphique . No . 1 , janvier 1931 .
3 - Charles Debbasch . - Traité du droit de la radiodiffusion : radio et télévision . L G D , Paris 1967
4 - Institut International de Coopération Intellectuelle .
5 - " Sarre "
6 - " Radio - Bari "

٧ - دراسة عن الاستماع اليومى لإذاعة « بارى » فى الفترة من سبتمبر سنة ١٩٣٧ وحتى اندلاع الحرب وقامت بها إدارة العلاقات السياسية لمحمية المغرب ، والدراسة محفوظة فى سجلات المملكة المغربية فى الرباط .

8 - D. Grange . - Structures et technique d' une propagande : les émissions arabes de Radio - Bari . Relations Internationales . No . 2 , Novembre 1974
9 - Haila Selassie
10 - Claude Schubiger . - La guerre des ondes . Payot Lausanne , 1941 .
11 - " Tetouan."
12 - " Valence "
13 - Pierre Miquel . - Histoire de la Radio et de la télévision Richelieu . Paris 1973 .
14 - " Komintern "
15 - Bulletin de L ' U I R . No 127 , Aout 1936 .
16 - Revue des Deux Mondes .
17 - " Le général Niessel "
18 - Pierre Miquel . op . cit .
19 - " Jean Giraudoux "
20 - " Thomson - Houston "
21 - Epone
22 - Osusky
23 - Fuchs
24 - Otto de Habsbourg
25 - Rudz - Smigly
26 - Fecamp
27 - Société, Information et Transmission
28 - Franck Teno . - Radio Privée , radios pirates . Denoël 1977

29 - M . Lee R . Sack
30 - Bulletin de L' U I R . No 96 , Janvier 1934 .
31 - Bulletin de L' U I R . No 153 , Novembre 1939 .

المبحث الخامس

32 - La ruse est permise , la perfidie est défendue .
33 - Berlau .

٣٤ - يذكر أن أول تشويش اذاعى فى العالم كان فى سنة ١٩٣٤ عندما وضعت حكومة النمسا صفارة قوية على الموجة التى تذيع عليها الاذاعة الالمانية . وعن التشويش فى السنوات الأخيرة ، قرأنا على سبيل المثال أن الاتحاد السوفيتى قد أوقف التشويش على برامج محطات الاذاعات الغربية الموجهة إلى بولندا ، وذلك للمرة الأولى منذ قرار فرض الأحكام العرفية الذى اتخذته حكومة الجنرال باروزليسكى عام ١٩٨١ (الأهرام فى ٣ /١/١٩٨٨).

٣٥ - وعلى الرغم من ذلك كانت المحطات الأجنبية تسمع فى الخفاء وبشغف شديد . (انظر فيما بعد) .

36 - Paul M . G . Levy . - Le rôle de la propagande Cahiers Européen Universitaire . Nancy 1952 .
37 - Vichy
38 - Adolf Hitler . - Libre propos . Flammarion , Paris 1954 .

39 - Europa - Sender
40 - Bulletin de L ' U I R . No 267 , Avril 1948 .
41 - Hadamowsky
42 - Paul M . G . Levy . - Le rôle de la radiodiffusion Cahiers du Centre Européen Universitaire . Nancy 1952
43 - La France Musulmane
44 - Allouis
45 - Paris - Mondial
46 - Radio - Coloniale
47 - Kabyles وهى لغة منتشرة بين سكان الجبال فى دول المغرب وبخاصة فى الجزائر

48 - Charles Robert Ageron . - " La population du Maghreb face à la propagande allemande " . Revue d' Histoire de la Deuxième guerre Mondiale . No 114 , Avril 1979
49 - Ribbentrop
50 - Michael Balfour . - Propagande in War 1939 - 1945 . Routeledge and Kegan Paul , London 1979 .
51 - Adolf Hitler . op . cit .
52 - " Radio Alliées "
53 - National Broadcasting (NBC) , Columbia (CBS) , Westinghouse, General Electric , Crosly Corporation, World Wide Broadcasting Foundation .
54 - Pierre Miquel . - Histoire de la Radio - Télévision . op . cit .
55 - The Office of War Information (OWI)
56 - Allan M. Winker .- The Politics of Propaganda : The OWI 1942 - 1945 . Yale University Press 1978 .
57 - Voice of America .
58 - Office de Coordination de L' Information
59 - Saipan (iles les Mariannes du Nord) .
60 - Tchang Kai - Chek .
61 - Komintern .
62 - La France Libre .

المبحث السادس

63 - " Auto - intoxication " cf . Jean - Louis Cremieux - Brilhac . - L' opinion publique française , L'Angleterre et la guerre . Editions du C N R S 1979 .
64 - Gamelin
65 - Philippe Masson . - Moral et propagande . Français et Britanniques dans la drôle de guerre .
Editions du C N R S 1979 .
66 - British Institut of Public Opinion
67 - " Radio Hambourg "

٦٨ - كنية أطلقت على وليام جويس المعلق الانجليزى المكلف ببرامج راديو هامبورج الموجهة : "Lord Haw - Haw"

69 - P.M.H. Bell . - L 'évolution de L'opinion publique anglaise à propos de la guerre et de l' alliance avec la France . Editions du C N R S 1979 .
70 - Pierre Miquel . - Histoire de la Radio et de la télévision Richelieu 1973 .

71 - Michael Balfour . - Propagande in War 1939 - 1945 . Routeledge and Kegan Paul , London 1979

٧٢ - نذكر القارىء بأن المؤلف نشأ فى بيئة عربية

٧٣ - للاستزادة فى هذا الموضوع ارجع إلى : انشراح الشال .- علاقة الطفل . بالوسائل المطبوعة والالكترونية . مرجع سابق .

74 - Claude Schubiger . - La guerre des ondes . Payot , Lausanne 1941 .

75 - Allan M. Winkler . - The Politics of Propaganda the OWI 1942 - 1945 . Yale University Press 1978 .

76 - " Henri Amouroux " .

77 - Henri Amouroux . - Les Français parlent aux Français . Robert Laffont 1979 .

78 - Jean-Louis Cremieux - Brilhac . - La propagande radiophonique et L'opinion publique en France . Revue d' histoire de la Deuxième Guerre Mondiale . No 101 Janvier 1976 .

79 - " Mein Kampf "

80 - Adolf Hitler . - Mein Kampf . Nouvelle Editions Latines , Paris .

المبحث السابع

1 - Interdepartment Radio Advisary Comitee (IRAC)

2 - Technical Planning Comitee .

3 - World Wide Broadcasting Foundation (WWBF)

4 - Internation Frequency Registration Board (IFRB)

٥ - ويمكن أن يطلق عليه أيضا : « الأولوية » أو « حق وضع اليد » 5 - Droit de Priorité

6 - Premier arrivé , premier servi.

7 - (U I T)

8 - (IFRB)

٩ - للاستزادة ومعرفة خصائص كل من هذه الموجات إرجع إلى : انشراح الشال . - الاعلام الدولى عبر الاقمار الصناعية . مرجع سابق .

10 - Aj Harwood & Kiji Hunt . - Allocation de fréquences et radios locales . Conseil de L'Europe .

11 - Strasbourg 1978
12 - Pierre Schaeffer . - Les antennes de Jericho . Stock 1978 .

13 - " modulation de fréquence ".

١٣ - للاستزادة إرجع إلى : انشراح الشال . - الاعلام الدولى عبر الاقمار الصناعية . مرجع سابق .

١٤ - ساعد التطور التقنى على ظهور محطات إرسال بعد ذلك أقوى من ذلك بكثير (٥٠٠ كيلو وات على سبيل المثال) .

١٥ - إرجع الى : إنشراح الشال . - « قرصنة الفيديو » الملحق رقم (١٣) ص٢٨٥ - ٢٩٣ فى الأقمار الصناعية والتنمية . مرجع سابق .

16 - Conférence Administrative Mondiale des Radiocommunications (C A M R 79)

١٧ - انظر ما سبق .

١٨ - ولم لا ودول العالم النامى تشكل أكثر من ثلاثة أرباع العالم ؟

١٩ - انظر ما سبق .

المبحث الثامن

20 - Union Internationale de Radiodiffusion (U I R)
21 - Leo Wallenborn . - De L'UIR à L'UER . Vol . XXIX . Janvier 1978 .

٢٢ - كان ذلك بداية ظهور الاتحاد السوفيتى فى مجال الاذاعة على مستوى القارة الأوربية ، فلم يكن قبل الحرب عضوا فى الاتحاد الدولى للاذاعة .

23 - L'Organisation Internationale de Radiodiffusion (O I R) et Journal des Télécommunications . No 11 , Novembre 1946 .

24 - (O I R) " L'Organisation Internationale de Radiodiffusion "

25 - (U I R) " L'Union Internationale de Radiodiffusion "

26 - (U E R) " L'Union Européenne de Radiodiffusion "

27 - (O I R T) " L'Organisation Internationale de Radiodiffusion et Télévision "

٢٨ - هذا لا ينفى وجود دول من الكتلة الغربية فى هذه المنظمة ، ودول من الكتلة الشرقية فى المنظمة التى تضم دول أوربا الغربية . لمزيد من التفصيلات إرجع الى :

انشراح الشال . - الاعلام الدولى عبر الاقمار الصناعية . مرجع سابق .

29 - Lutte idéologique et organisation de la radio pendant la guerre froide en France . Forum Histoire . No 9 . Mai 1978 Maspero .

30 - " Office of War Information " (O W I) .

31 - " Interim International Information Service " (I I I S)

32 - " Département d'Etat "

33 - Wooferton .

34 - Monrovia .

35 - Pierre Miquel . - Histoire de la radio et de la télévision . Richelieu 1973 .

36 - " Radio In American Sector " (R I A S) .

37 - Radio Free Europe (R F E)

38 - Radio Liberty (R L) .

39 - (R F E) Radio Free Europe .
(R L) Radio Liberty
(A F N) American Forces Networks .
(R I A S) Radio In American Sector .
(V O A) Voice of America .

40 - " Radio Liberty Comittee Inc. "

41 - Radio Libération .

42 - Le Bielorusse , L'Ukrainien , L'Adugheen , L'Armenien , L'Avare , L'Azerbaidjanais , le Georgien , le Karatchaien , le Kazahh , le Kighiz , l'Osset , le Tadjikh, le Tatar - Bashkire , le Tchechene , le Turkmene , L'Uigure et L'Ubzek .

43 - Bakou , Khabarovsk , Kiev , Riga et Tachkent .

44 - Leningrad , Riga et Tallinn .

45 - Kichinv et Lvov

46 - Minsk .

47 - Chita , Khabarovsk , Komsomlsk , Vladivostck , Ulan - Bator , Dairen et Pyongyang .

48 - Source : Service Etudes et Documetation O R T F .

49 - (D W) .

50 - (O R T F)

٥١ - لم تكن المشكلة بالقدر نفسه بالنسبة لأمريكا والدول الغربية (انظر ما سبق)

52 - Klingberg . - Etats de tension et compréhension internationale . Librairie Médicis Paris 1951

53 - " Radio Liberation "
54 - " Radio Liberty "
55 - " Foster Dulles "
56 - Leo Bogart .op. cit.
57 - " Wladyslaw Gomulka "
58 - " Antonin Novotny "
59 - Harry Razitzke . - C I A . Elsevier . Paris - Bruxelles 1977 .
60 - D . Eisenhower . - Batailles pour la paix . Trevise , Paris 1968
61 - " Agents de Wall Street "
62 - Georges N . Gordon , Irving Falk , William H . A. Paul . - The Idea Invaders . Hastings House Publishers , New York 1963 .
63 - O . Klinberg .op. cit.
64 - Armand Robin . - La fausse parole . Editions de Minuit , Paris 1953 .
65 - " Intelligentsia " .
٦٦ - وهو ما فعلته فى الثمانينيات فى أثناء أزمة بولندا ، وإن كان ذلك قد انتهى مع بداية سنة ١٩٨١ (انظر ما سبق) .
67 - Harry Razitzke . - C I A . op . cit .
68 - (C B S) .
69 - Lisann Maury . - Broadcasting to the Soviet Union . Preager Publishers , New York 1975 .
70 - (O R T F) .
71 - (U 2) .
72 - George N . Gordon & als . op . cit .
73 - James W. Markham . - Voice of the Red Giants . The Iowa State University Press 1970 .
74 - (P C U S) .
٧٥ . بالنسبة للمستمع العربى ، تصدرت البى بى سى الاذاعات الموجهة التى يقبل عليها أفراد عينة اختيرت من بين المقيمين فى بعض الدول العربية (تحت الطبع).
75 - La Voix de la Chine Libre .

المبحث العاشر

1 - (S D N) Societé des Nations .
2 - L' (O N U) L'Organisation des Nations Unies .
3 - René Brunet . - La garantie des droits de L'homme . Grasset , Genève 1947 .
4 - (Chapultepec) . ٤ - القرار رقم ٢٨ فى مؤتمر « تشابلتبك » .
5 - Report of the Delegation of the United States of America to the Inter - American Conference on Problems of War and Peace . Resolution XXVIII .
6 - Projet de déclaration sur la liberté de L'information (XXIX) . 21 Avril 1960 .
7 - John B . Whiton . - Hostile International Propaganda and International Law in International Sovereignity and International Communication . Ablex Publishers Corporation , U S A 1979 .
8 - Mc Bride .
9 - Sean Mc Bride . - Rapport intérimaire de la communication internationale d'études des problèmes de la communication . (UNESCO Conférence générale 20 C)
10 - Dollfuss

المبحث الحادى عشر

11 - Thierry Walton . - " Le monologue ouest - est " in : Le Monde , 10 aout 1980 .
12 - G . E . H . Manzel . - Les services extérieurs de la B B C aujourd'hui . Bulletin de L'UER , vol , XXIII , No janvier 1972 .
13 - Radio Liberty .
14 - Radio Free Europe .
15 - Stanley Leinwall . - " Jamming Past , Present and Future " . World Radio TV Handbook , 1980 .
16 - Jiri Pelikan .
17 - Paul Landevai . - Les fonctionnaires de la vérité . Robert Laffont 1980 .
18 - Fulbright
19 - neutralisée
20 - Gerhard Wetting . - Broadcasting and detente C . Hurst & Company , London 1977 .
21 - M . Abrassimov

22 - Deutsche Welle .
23 - D . Heisenhower . - Bataille pour la paix . Trevise , Paris 1968 .

24 - Averell Harriman .
25 - Brzezinski
26 - Rapport de la Commission Présidentielle d'Etude sur la Radiodiffusion Internationale . Washington, D . C . 1973 .

27 - A F P , 10 aout 1980 .
28 - Dante B . Fascell . - International News Freedom Under Attack . Sage publications , London 1979
29 - Georges H . Mond . - " L'information et la lutte idéologique dans les pays socialistes . Revue Défense Nationale , Octobre 1972 .

30 - Charles Zorghibe . - La circulation des informations dans le cadre paneuropéen ; la circulation des informations et le droit international(Pedone 1978)
31 - Adam Schaff . - " La coexistence et la lutte idéologique " . Perspectives polonaises No 7 , 1960 .
32 - Gerard Cohen - Jonathan . - " Progrès et incompréhension entre L'Est et L'Ouest " . Le Monde Diplomatique , Janvier 1979 .

33 - Giscard d'Estaing .
35 - Charles Levinson . - Vodka Cola . Stock 1977 .

٣٦ - لمزيد من التفصيلات إرجع إلى : إنشراح الشال : الاذاعة الفرنسية . مذكرات غير منشورة . كلية الاعلام ، جامعة القاهرة ١٩٨٧ - ١٩٨٨

36 - Edward Mc Whinney
37 - Edward Mc Whinney . - Conflit idéologique et ordre public mondial . Pedone 1970 .
38 - Karl E . Birnbaum . - The Politics of East - West Communication in Europe . Saxon House , London 1979 .
39 - K . Nordentreng , H . I . Schiller . - Helsinki , The New Question : National Sovereignty and Internal Communication . Ablex Publishing Corporation , Norwood , New Jersey , 1979 .

40 - Gerard Cohen - Jonathan . - Liberté de circulation de l'information et souveraineté des Etats : La circulation de l'information et le droit international . A . Pedone 1978 .

41 - Victor Yves Ghebali . - Le débat sur la circulation internationale de l'information dans l'Europe d'Helsinki . Défense Nationale , Mars 1978 .

42 - Charles Zorgbibe . - La circulation des informations dans le cadre paneuropéen . op . cit .
43 - realpolitik .
44 - Helmut Sonnenfeldt
45 - Gerard Chaliand . - Libération 29/30 novembre 1980 .
46 - E . Todd . - la chute Finale . Robert Laffont 1976 .
47 - Jacqueline Grapin . - Radioscopie des Etats - Unis . Calmann - Levy 1980 .
48 - Noam Chomsky .
49 - Le Monde , 22 Mars 1979 .
50 - Georges Marchais .
51 - A F P , 16 Mars 1979 .
52 - Armand Hammer .
53-Dazibao.
54 - AFP , 8 decembre 1979
55 - Raymond Aron . - Le Monde Dimanche 21/9/1980
٥٦ - مفهوم المستمع هنا هو:من استمع للاذاعة مرة واحدة على الأقل فى الأسبوع .

المبحث الثانى عشر

57 - Jean d'Arcy . - " Le droit à la communication " Revue française de Communication No 3 . printemps / ete 1979 .
58 - Dosmond Fisher . - Commission Internationale d'Etude des Problèmes de la Communication . No 37 , UNESCO .
59 - Graig R . Whitney . - " Western Impact in Russia : Not Just Jeans " . New York Times 3/7/1980 .
60 - (Alexandre Guinzbourg) .
61 - Le Monde 3/7/1980 .
62 - Boris Pasternak .
63 - Medvedev .
64 - G . E . H . Mansel . Les services extérieurs de la B B C aujourd'hui . Bulletin de L'UER , vol . XXIII , No 1, Janvier 1972 .
65 - Wyszynsky .
66 - Thomas . Schreiber . - Le Monde 30/9/1980 .
67 - Kondracher .
68 - Sizoo

69 - Guy Coriden .
70 - Paul Landevai . - Les fonctionnaires de la vérité . Robert Laffont 1980 .
71 - Dante B. Fascel . - International News Freedom Under Attack . Sage Publications , London 1979 .
72 - Lisann Maury . - Broadcasting to the Soviet Union . Preager publishers , New york 1979 .
73 - Service de Recherche T D F
74 - D . Deutsche - rundfunk .
75 - La Pionerskaia Pravda .
76 - Pink Floyd .
77 - L'Humanité .
78 - L'Humanité 21/10/1979 .

المبحث الثالث عشر

1 - Karl Deutsch . - Nationalism and Social Communication . M . I . T . Press 1966 .
2 - John C . Merrill . Media and National Development . Hasting House Publishers 1976 .
3 - Elihu Katz & Georges Wedell . - Broadcasting in the Third World . Redwood Bun Limited , London 1978 .
4 - Edgar Morin . - Aspects Sociaux de la radio et de la télévision . Mouton , Paris 1966 .
5 - Marshall Mc Luhan . - La galaxie Gutemberg . Idées , Gallimard 1977 .
6 - Wilbur Schramm . - L'information et le développement national . Nouveaux horizons , Paris 1973 .
7 - Claude Collin . - " la radio est une bonne Chose " . L'homme et la société . No 47/50 , janvier - décembre 1978 , Anthrop Paris .
8 - Che Guevara . - La guerre de guerilla . Maspero Paris .
9 - Le Monde , 21 juin 1957 .
10 - Benoist - Mechin . - Un printemps arabe . Albin Michel 1959 .
11 - Fouad Matar . - Bissaraha An Abdel - Nasser (dialogue avec Heikal) . Dar Al - Kaddaya , Beyrouth 1975 .

١٢ - للاستزادة فى هذا الموضوع ارجع الى انشراح الشال . - علاقة بعض سكان الدول العربية بوسائل الاعلام : دراسة حالة لصوت العرب . مذكرات غير منشورة . كلية الاعلام ، جامعة القاهرة ١٩٨٧ - ١٩٨٨ .

١٣ - للاستزادة ارجع إلى انشراح الشال : - المغترب ووسائل الاتصال . دار الفكر العربى ١٩٨٧ ، وإلى المرجع السابق ذكره .

١٤ - الاهرام فى أغسطس ١٩٥٩ .

15 - Daniel Batholini . - Le Monde , 13 décembre 1969 .

16 - Bernard Lanot . - La radiodiffusion au Moyen - Orient . Mémoire de l'I.F.P. 1963 .

17 - Jacques Berque . - Les arabes d'hier à demain . Seuil 1969 .

18 - Jules Moch . - En 1961 , paix en Algerie ? Robert Laffont 1961 .

19 - Jacques Soustelle

20 - Frantz Fanon . - Sociologie d'une révolution . Maspero 1966 .

21 - idem .

22 - Djurdjura .

ويطلق عليها أيضا « لا لا خديجة » أى السيدة ، المحترمة خديجة ، وهى أعلى قمة جبلية فى الجزائر ذات الجليد الدائم (الاستاذة جنات المستشار الثقافى للجمهورية الجزائرية)

23 - Batna , Nemours .

24 - (G P R A) Gouvernement Provisoire de la République Algérienne

25 - F L N

26 - Lacheroy .

27 - Emissions en langues arabe et berbère (E L A B)

٢٨ - يحضر المعربة هنا جملة تتذكرها للاستاذ «اميل سيكار» (Emile Sicard) عند مقابلتها له لأول مرة فى جامعة بوردو فى سبتمبر سنة ١٩٧٦ ، لتحديد موضوع الرسالة التى ستتقدم بها للحصول على دكتوراه الدولة : «بداية أقول انتى لا أحب النساء ولا المصرين ولا العرب» ، وكانت هذه أول مرة فعلا يشرف فيها هذا الأستاذ على رسالة من مصرى (مصرية) . وعندما سألت المعربة الأستاذ سيكار عن سبب كراهيته للمصريين وللعرب كان رده : « لا يمكن أن أنسى أن العرب قد دخلوا فرنسا

يوما ما حتى « بواتييه » ولن أنسى مساندة المصريين للجزائريين مما أدى إلى خروج الفرنسيين من الجزائر » سيكار هذا كان رئيسا لجامعة بوردو رقم (٢) ورئيسا لقسم الاجتماع وعلم النفس بها ، واليد اليمنى لجاك شيراك عندما كان عمدة لباريس ، وعالم للاجتماع التنموى على مستوى العالم ، وكان يقوم بالتدريس فى الجزائر عندما قامت ثورة المليون شهيد (...) ، وكان قد خرج على المعاش قبل سنوات من هذا الحوار وقد توفى بعد سنوات قليلة من لقائه بالمعرية وقبل أن تنتهى من إعداد الرسالة التى أشرف عليها بعد ذلك الاستاذ فرانسوا شازل عالم الاجتماع السياسى فى الجامعة نفسها .

29 - Ghana (La côte de l'or) .
30 - Kwame N'Krumah .

٣١ - لأسباب عنصرية ربما (المعرية) .

32 - Société de Radiodiffusion de la France d'Outre-Mer (SORAFOM)
33 - William A . Hatcher . - Muffled Dums . The Iowa State University Press , U S A 1971 .
34 - Ojukwu .
35 - Julian Hale . - Radio Power . Elek , London 1975 .
36 - John de St - Jarre . - The Nigerian Civil War . Hodder and Strougton , London 1972 .
37 - Organisation de Libération de la Palestine (O L P)

المبحث الرابع عشر

٣٨ - للاستزادة ارجع الى انشراح الشال . - « قرصنة الفيديو » ملحق رقم (١٣) فى : الأقمار الصناعية والتنمية .. مرجع سابق .

39 - Bernard Lanot . - La radiodiffusion au Moyen - Orient . Mémoire de L' I . F . P , 1963 .
40 - Bakou .
41 - C . L . Sulzberger . - Le dernier des géants . Albin Michel , Paris 1972 .
42 - Thawratouna Al - Edj Timaula . - Editions du ministre de L'Orientation Nationale , Le Caire , 1960 . ٤٢ - ثورتنا الاجتماعية .
43 - Couve de Murville .

44 - René - William Thorp . - Le procés du Caire . Julliard 1963 .

45 - J . et S . Lacouture . - Dix ans de nasserisme . Revue Esprit , Fevrier 1962 .

46 - Andre Miquel .

47 - Evian .

48 - F L N .

49 - Bakou .

50 - Toudeh

51 - Julian Hale . - Radio Power . Elek , London 1975

52 - Herald Tribune 10/12/1978 .

53 - Al - Nahar Arab et International 23/1/1979 .

54 - The Economist 27/1/1979 .

55 - Bakhatiar .

56 - AFP 17/2/1979 .

57 - Herald Tribune 22/11/1979 .

58 - Edmund Muskie .

59 - Anatoly Dobrynine .

60 - New York Times 29/6/1980 .

61 - Gholam Ali.Oveissi .

62 - Zbigniew Brzezinski .

63 - Financial Times 28/6/1980 .

64 - Financial Times .

65 - Maputo ou Luanda .

66 - Henri Resitzke.- C I A . Elservier 1977 .

67 - La Baie des Couchons .

68 - Vitaly Petrusenko . - A Dangerous Game . Interpress , Prague 1977 .

69 - UNITA .

70 - Victor Marchetti , John D . Marks . - La C I A . Robert Laffont 1974 .

71 - Alexandre Dubeck .

72 - Crassov .

73 - Claude Collin .-"La radio est une bonne chose" in : L'Homme et la Société . No 47/50, Anthropos 1978 .

74 - Julien Hale . - Radio Power . Elek , London , 1975 .

المبحث الخامس عشر

١ - من سجلات البى بى سى .

2 - Deutsche Welle & Deutschlandfunk .

3 - Herald Tribune 23/12/1978 .

4 - Mass Media Habits in West Africa . U S I A , Washington 1966 .

٥ - إرجع إلى : انشراح الشال . - علاقة سكان القاهرة بنشرات أخبار التليفزيون المصرى . الطباعى العربى ، القاهرة ١٩٨٦ لمعرفة خصائص مشاهد نشرات أخبار التليفزيون فى القاهرة .

5 - Arab Studies . No 12 , Octobre 1978 .

6 - Les émissions vers l'étranger et la compréhension internationale. Etudes et Documents d'information No 81 , UNESCO .

7 - The Times 14/6/1980 .

8 - T D F .

9 - B B C Handbook 1980 .

10 - Newsweek 27 Novembre 1978 .

11 - Claude Roy . - Le Nouvel Observateur . 30/7/1979 .

12 - La Lanterne 29/5/1979 .

13 - Andre Fontaine . - Le Monde 5/7/1977 .

14 - Herald Tribune . 31/10/1978 .

15 - Yunna .

16 - The Times 6/5/1980 .

17 - La langue azeri parlée en Azerbaidjan Soviétique .

18 - Associated Press 12/6/1980 .

19 - A F P 10/2/1980 .

20 - A F P 20/1/1980 .

21 - Reuter 4/1/1980 .

22 - La pashty & le dari .

23 - Herald Tribune 12/5/1980 .

24 - Abdul Rahim Ghafarzai .

25 - Newsweek 17/3/1980 .

26 - Gapourov .

27 - Gorgan .

28 - Mashad .

29 - A F P 19/6/1980 .

30 - Xinjang .

31 - Le Monde 20/1/1980 .
32 - Le Figaro 4/2/1980 .
33 - Tirana .
34 - France - Soir 30/7/1977 .
35 - Ljubljana .
36 - Les émissions vers l'étranger et la compréhension internationale . Etudes et Documents d'Information No 81 , UNESCO .
37 - Mohamed Heikel . - Le sphinx et le commissaire . Editions J . A . Paris 1980 .

المبحث السادس عشر

38 - Dean Rusk
39 - John Lee . - " Diplomatic Persuaders . John Wiley , New York 1968 .
40 - Charles Zorgibibe .
41 - Le Monde Diplomatique . Janvier 1979 .
42 - David Halbrook Culbert . - Radio and Foreign Affairs on Thirties America Greenwood Press , London 1976 .
43 - Alberto Villanueva Y Labayen . - " Information et diplomatie in : Journal des Telecommunications No 4 , Avril 1975 .
44 - Heinz Felhauer . - Les stations émettant vers l'étranger , diplomates de la radiodiffusion . Bulletin de L' U E R , vol . XXIX , mars 1978 .
45 - Lucien Paye . - Rapport de la Commission d'Etude du Statut de L'ORTF . La Documentation Française 1970 .
46 - Herbert I . Schiller . - Mass Communication and American Empire . Augutus M . Kelley publishers , New York 1970 .
47 - Dwight D . Heisenhower . - Batailles pour la paix . Trevise Paris 1968 .
48 - " deutsche Welle " & " Deutschland Funk "
49 - Antigua .
50 - N H K .
51 - Sir William Hely . - Les responsabilités de la radio . Conterence à Paris , 1948 .
52 - G . Goding . - La radiodiffusion dans le monde . UNESCO 1959 .
53 - Hervé Fisher . - Les émissions de radio et de télévision vers l'étranger . Economie et Société . I S E A Paris 1972 .

54 - Les émissions vers l'étranger et la Compréhension internationale (Etudes et Documents d'information No 81 UNESCO) .
55 - Elihu Katz et Georges Wedell . - Broadcasting in the third World Redwood Burn Limited . London 1978 .
56 - La voix de la grande Patrie Arabe .
57 - Radio Méditerranée .
58 - La politique culturelle d'Arabie Saoudite (en arabe) . UNESCO 1980 .
59 - Bernard Hourcade : Herodote No 18 , Maspero 1980 .
60 - Le Monde 7/9/1979 .

المبحث السابع عشر والخاتمة والملحق

61 - Bernard Escambert . - Le troisième conflit mondial . Plon 1977
62 - idem .
63 - Rutger Lindahl . - Broadcasting accoss borders C.W. C. Gleerup Suede 1978 .
64 - " Board Trade "
65 - " Business matters "
66 - Le Figaro 11 Octobre 1970 .
67 - SOFIRAD
68 - Régie Française de Publicité (R F P)
69 - Kigali .
70 - Deutsche Funkwerbung Handwerk un Kroger .
71 - PROFUNK
72 - SOMERA .
73 - N H K
74 - Raymond Barre .
75 - M . Sauvagnargues .
76 - L'information audiovisuelle . transculturelle . Etude et Documents d'information No 77 . UNESCO .
77 - Browne , Ronald R. - International Broadcasting to African Audience . Philadelphia Temple University Press 1974 .
78 - Browne , Donald R . - International Radio Broadcasting Who Listeners ? Eric Documents , Septembre 1971 .

79 - Francoise Giroud .
80 - E L F Aquitaine .
81 - Le Journal du Dimanche . 26/10/1980 .
82 - Anthony Smith . - The Geopolitics of Information . Faber et Faber , London 1980 .
83 - SECAM & PAL .

٨٤ - للاستزادة فى هذا الموضوع إرجع إلى : انشراح الشال .

- الاعلام الدولى عبر الاقمار الصناعية . مرجع سابق .

85 - Armand et Michele Mattelard . - De l'usage des médias en temps de crise . Alain Moreau . Paris 1979 .

٨٦ - للاستزادة ارجع إلى : انشراح الشال . - دولنا النامية فى عصر الأقمار الصناعية . دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٨

والاعلام الدولى عبر الاقمار الصناعية . مرجع سابق .

87 - Jacques Rigaud .
88 - Jacques Rigaud . - " La culture, un atout à l'exportation . " Le Nouvel Economiste . 17/3/1980 .
89 - Denis - Clair Lambert . le mimétisme technologique du Tiers - Monde . Economica . Paris 1979.
90 - Jean Francois - Poncet .
91 - Andre Brincourt . Le Figaro . 10/2/1972 .
92 - Maxwell .
93 - Hertz .
94 - Branly .
95 - Marconi .
96 - Popov .
97 - A . Angles d'Auriac , Claude Mercier et P . Schaeffer . - " La civilisation des ondes " . Revue Esprit Septembre 1948 .
98 - Modulation de Frequence (F M) .

BIBLIOGRAPHIE

Histoire de la Radiodiffusion

Arnaud, J.F. : Radiodiffusion. Paris, Fayard 1962.

Erik Barnouw : A History of Broadcasting in the United States. Oxford University Press (3 vol.) 1966-70.

Francis Bebey : La Radiodiffusion en afrique Noire. Paris; Editions Saint-Paul 1962.

Assa Briggs : A History of Broadcasting in the United Kingdom (3 vol.). City Press London.

S. Cordier : La radio, reflet de notre temps. Editions Internationales 1950.

René Duval : Histoire de la Radio en France. Alain Moreau 1979. G. Coding : La radiodiffusion dans le monde. Editions UNESCO 1959.

Maurice Guierre : Les ondes et les hommes ; Histoire de la radio. Julliard 1981.

Bernard Lanot : La Radiodiffusion au Moyen-Orient. Mémoire I.F.P. Paris 1963.

Pierre Miquel : Histoire de la radio et de la télévision. Richelieu 1973.

F. Pigé : Radiodiffusion et télévision au Maghreb. Etude maghrebine N° 6. Fondation Nationale des Sciences Politiques 1966.

Anthony Smith : British Broadcasting. David & Charles. Newton Abbot 1974.

R. Veillé : La Radio et les hommes. Minuit 1952.

Le droit international et la radio-télévision.

J.Marie Auby, Robert Ducos-Ader : Droit de l'information. Dalloz 1976.

Charles Debbasch : Traité du droit de la radiodiffusion (Radio et Télévision). L.G.D.J. 1968.

International et Intercultural Communication. Hasting House. New York 1976.

National Sovereignty and International. Communication. Ablex Publishing Corporation. Norwood. New Jersey 1979.

Simone Courteix : Télévisions sans frontière. Economica 1975.

Fernand Terrou et Lucien Solal : Le droit de l'information. UNESCO 1951.

Jean Louis Lepigeon, Dominique Wolton : L'information demain. La Documentation Française 1979.

Marshal Mc Luhan : Pour comprendre les médias. Mame/Seuil 1968.

Armand et Michèle Mattelard : De l'usage des médias en temps de crise. Alain Moreau 1979.

Pierre Schaeffer : Machines à communiquer. 2 vol. (1970-1972). Seuil Paris.

Wilbur Schramm : L'information et le développement national. Editions UNESCO 1966.

Beno Sternberg-Evelyne Sullerot : Aspects sociaux de la radio et de la télévision. Nouton La Haye-Paris 1966.

Jean Tardieu : Grandeur et faiblesse de la radio. Editions UNESCO 1969.

Information et propagande radiophonique

Michael Balfour : Propaganda in war 1939-1945. Routledge & Kegan Paul. London 1979.

Leo Bogart : Premises for propaganda. Mc Millan London 1976.

J.A.C. Brown : Techniques of persuasion (From propaganda to brainwashing). Penguin Book. London 1963.

Zechariah Chafee : Gouvernment and mass communication. University of Chicago Press 1947.

J.M. Domenach : La propagande politique P.U.F. 1950.

Jacques Driencourt : La propagande, nouvelle force politique. Armand Colin, Paris 1950.

J. Ellul : Propagandes. Armand Colin 1962.

Armand Robin : La fausse parole. Plain chant, Paris 1979.

Franz Schumann : Ideology and Organization in Communist China, Berkeley and Los Angeles University of California Press 1966.

Thomas Sorenson : The Wolrd War. The Story of American Propaganda. Harper & Row. N.Y. 1960.

Serge Tcharhotine : Le viol des foules. Gallimard 1939.

Allan M. Winkler : The politics of propaganda. The Office of Warr Information 1942-1945. Yale University Press 1978.

Communication sans frontière et le rôle de la Radiodiffusion dans les Relations Internationales.

D.R. Browne : International radio broadcasting Preager London 1982.

J.W. Burton : Conflict and communication - The use of controlled communication in International Relations. Oxford 1969.

Jean Pierre Chamoux : L'information sans frontière. La Documentation Française 1980.

Colin Cherry : World Communication threat or promise ? Miley London 1978.

Robert E. Elder : The information machine. The United States information agency and United States Foreign Policy. Syracuse University Press, N.Y. 1968.

Walter B. Emery : National and International Systems of Broadcasting their history, operation and control. Michigan State University Press 1969.

J. Hale : Radio power : Propaganda and International Broadcasting. Elek 1975.

Sir William Haley : Broadcasting as an international force. University of Nottingham 1951.

Baruch A. Hazain : Soviet propagand. A case study of the Middle East conflicts. Keter Publishing House. Jérusalem 1975.

Arno Huth : La radiodiffusion, puissance mondiale. Gallimard 1937.

David Halbrook Culbert : News for everyman — Radio and foreign affairs in thirties America. Greenwood Press London 1976.

John Lee : Diplomatic persuaders new role of the mass media in international relations. John Wiley New York 1968.

Les émissions radiodiffusées vers l'étranger et la compréhension internationale. Etudes et Documents UNESCO N° 81, 1978.

Rutger Lindahl : Broadcasting across borders. A study on the role of propaganda in external broadcasts. Göteborg Studies in Politics 1979.

A. Mattelard - J.M. Premme : Télévision, enjeu sans frontières. P.U.G. 1980.

Jacques Rigaud : Les relations culturelles extérieures. La Documentation Française, septembre 1979.

Herbert I. Schiller : Mass communication and American Empire. Augustus M. Kelley Publishers, New York 1970.

Claude Schubiger : La guerre des ondes. Payot Lausanne 1941.

The right to know. Report of the Presidential Study Commission on International Radio Broadcasting. Washington 1973.

Claude Schubiger : la radio, sa puissance sociale, politique, économique, son rôle dans la paix et dans la guerre. Héliographia Lausanne 1940.

Jeremy Tunstall : The media are american. Anglo-american media in the world. Constable London 1978.

L'action radiophonique et l'information dans les relations est-ouest

Asian Communist Bloc Propaganda offensive 1963. Rapport BBC Mars 1964.

Karl E. Birnbaum : The politics of East-West communication in Europe. Saxon House, Grande-Bretagne 1979.

Broadcasting to the Soviet Union. International Politics and Radio Preager publishers, London 1975.

Education and the mass media in the Soviet Union and Eastern Europe Preager publishers, New York 1976.

George N. Gordon and A. Falk Irving : The war of ideas. Hastings House, N-Y. 1973.

International news freedom under attack. Sage publications, London 1979.

La circulation des informations et le droit international. Colloque de Strasbourg, A. Pedone 1978.

Paul Lendvai : Les fonctionnaires de la verité. L'information dans les pays de l'Est. Robert Laffont 1980.

James W. Markhan : Voices of the red-giants communication in Russia and China. The Iowa State University Press, Iowa, USA 1970.

Gerhard Wetting : Broadcasting and detente. C. Hurst § Company, LONDON 1977.

Annuaire du Tiers-Monde 1979. L'information et le Tiers-Monde. Berger-Levrault 1980.

Oliver Boyd-Barrett, Michael Palmer : Le traffic des nouvelles — Les agences mondiales d'information. Alain Moreau 1981.

Franck Barton : The press of Africa. The MacMillan Press Ltd. London 1979.

Hervé Bourges : Décoloniser l'information. Editions Cana Paris 1978. Communications de masse en Amérique Latine. Editions du C.N.R.S. 1979.

Robert Gregson : Broadcasting and the third wolrd. BBC 1976.

William A. Hachter : Muffled drums. The Iowa State University Press. USA 1971.

Philip C. Horton : The third world and press freedom. Praeger Publishers. New York 1978.

Elihu Katz, George Wedell : Broadcasting in the third world. Redwood Burn Limited, London 1978.

Rosemary Righter : Whose news ? Politics, the press and the third world. Burnett Books, London 1978.

D. Lerner, W. Schramm : Communication and change in the developping countries. Est-Ouest-Centre Press Honolulu 1967.

Anthony Smith : The geopolitics of information. How Western culture dominates the world. Faber & Faber, London 1980.

Voix multiples, un seul monde. Communication et société aujourd'hui et demain. Documentation Française, Nouvelles Editions Africaines. UNESCO, Paris 1980.

Sydney W. Head : Broadcasting in Africa. Philadelphia Temple University Press 1974.

Revue Tiers-Monde : Audiovisuel et développement. Tome XX, N° 79, Juillet-Septembre 1979.

أولا : كتب باللغة العربية والفرنسية

١ ـ المسئولية الاجتماعية للتليفزيون فى الدول النامية (باللغة الفرنسية) مطابع جامعة ليل ، فرنسا ١٩٨٤ (١٥١٧ صفحة)

٢ ـ مدخل فى علم الاجتماع الاعلامى (الكتاب الأول فى سلسلة دراسات فى علم الاجتماع الاعلامى) مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ١٩٨٥ (٢٧٢ صفحة)

٣ ـ الطفل المصرى بين التليفزيون والفيديو والغزو الثقافى (الكتاب الثانى فى سلسلة دراسات فى علم الاجتماع الاعلامى) مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ١٩٨٥ (١٦٢ صفحة)

٤ ـ علاقة سكان القاهرة بنشرات أخبار التليفزيون المصرى (الكتاب الثالث فى سلسلة دراسات فى علم الاجتماع الاعلامى) الطباعى العربى ١٩٨٦ (٣٣٤ صفحة)

٥ ـ الاعلام الدولي عبر الأقمار الصناعية : دراسة لشبكات التليفزيون .دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٨٧ (٢٩٦ صفحة)

٦ـ علاقه الطفل بالوسائل المطبوعة والالكترونية. دار الفكرالعربي ، القاهرة ١٩٨٧ (٢٩٦ صفحة)

٧ ـ المغترب ووسائل الاتصال (الكتاب الرابع في سلسلة دراسات في علم الاجتماع الاعلامي) دار الفكر العربي ١٩٨٧ (٣٧٦ صفحة)

٨ ـ الأقمار الصناعية والتنمية : تجربة هندية . مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ١٩٨٨ (٣٢٠ صفحة) .

٩ ـ دولنا النامية فى عصر الأقمار الصناعية . دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٨ (٣٢ صفحة)

١٠ - الحرب الإذاعية (ترجمة) دار نهر النيل ، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٨ (٣٢٠صفحة) تأليف فؤاد بن حالة .

١١ - صوت العرب بين الأمس و اليوم . دار الثقافة العربية. القاهرة ١٩٨٩.

ثانيا : مقالات ودراسات وأبحاث قدم بعضها فى ندوات أو مؤتمرات محلية أو عالمية فى مصر أو فى الخارج ونشر بعضها فى دوريات فى مصر و(أو) فى الخارج وتم تجميعها فى ملاحق أو فى متن الكتب التى باسمها ومن أهمها :

١ - «قمر الفقراء» ملحق رقم (٢) ص ٣٤٧ - ٣٥٠ فى : الإعلام الدولى عبر الأقمار الصناعية .

٢ - «الموسيقى والأغنية العربية فى عصر الأقمار الصناعية : دراسة اجتماعية ونفسية» ملحق رقم (٣) ص ٣٥١ - ٣٦٦ : فى الإعلام الدولى عبر الأقمار الصناعة .

٣ - «استراتيجية التكامل الاخبارى العربى من أجل نشرة أخبار عربية متميزة» ملحق رقم (٤) ص ٣٦٧ - ٣٧٨ فى : الإعلام الدولى عبر الاقمار الصناعية .

٤ - «قصة الفيلم التليفزيونى : اليوم التالى» ملحق رقم (١) ص ٢٣٣ - ٢٤٢ فى : مدخل فى علم الاجتماع الإعلامى .

٥ - «المخدرات والشباب ووسائل الإعلام» ملحق رقم (٣) ص ٢٤٩ - ٢٦٥ فى : مدخل فى علم الاجتماع الإعلامى .

٦ - «مورفولوجية الأسرة المصرية ودور التليفزيون فى تحديد النسل » الدراسة الأولى فى : الطفل المصري بين التليفزيون والفيديو والغزو الثقافى ، ص١٣ - ٤٤ .

٧ - «دور التليفزيون فى معرفة الأطفال للوقت كحاجة من الحاجات الأساسية» الدراسة الثانية فى :الطفل المصري بين التليفزيون والفيديو والغزو الثقافى ، ص ٤٥ - ٥٨ .

٨ - «نشرات أخبار التليفزيون المصرى» . الدراسة الثالثة فى : الطفل المصري بين التليفزيون والفيديو والغزو الثقافى ص ٥٨ - ٩٦ .

٩ - «التأثير التقنى للتليفزيون على محصلة الطفل اللغوية وخياله» الدراسة الرابعة فى : الطفل المصري بين التليفزيون والفيديو والغزو الثقافى . ص٩٧ - ١٢٠ .

١٠ - «الطفل المصرى بين التليفزيون والفيديو والغزو الثقافى» الدراسة الخامسة فى : الطفل المصري بين التليفزيون و الفيديو والغزو الثقافى . ص ١٢١ - ١٥٤ .

١١ - «هل البروتستانت أكثر تحفظا فى تعاملهم مع جهاز التليفزيون ؟» ملحق رقم (١) ص ٢٠٢ - ٢١٤ فى : علاقة الطفل بالوسائل المطبوعة والإلكترونية .

١٢ - «إعلان حقوق الطفل» ملحق رقم (٢) ص ٢١٥ - ٢١٦ فى : علاقة الطفل بالوسائل المطبوعة والإلكترونية .

١٣ - «استهلاك ورق الطباعة فى عدة دول» ملحق رقم(٣) ص ٢١٧ - ٢٢٤ فى : علاقة الطفل بالوسائل المطبوعة والإلكترونية .

١٤ - «تأثير المجتمع على الوسائل المطبوعة والإلكترونية» ملحق رقم (٤) ص٢٢٥ - ٢٤٠ فى : علاقة الطفل بالوسائل المطبوعة والإلكترونية .

١٥ - «شباب الجامعة ووقت الفراغ» ملحق رقم (٧) ص ٢٤٣ - ٢٦٤ فى : علاقة الطفل بالوسائل المطبوعة والإلكترونية .

١٦ - «الأهرام الدولى : الطبعة الدولية للأهرام» ملحق رقم (٢) ص ٣١١ - ٣٣٤ فى : المغترب ووسائل الاتصال .

١٧ - «اتجاهات بعض طلبة الجامعة تجاه الهجرة الخارجية» ملحق رقم (٤) ص ٣٣٧ - ٣٤٤ فى : المغترب ووسائل الاتصال .

١٨ ـ «البرامج الموجهة من الإذاعات المصرية والتى تخدم المصريين فى الخارج» ملحق رقم (٥) ص ٣٤٥ ـ ٣٥٦ فى : المغترب ووسائل الاتصال.

١٩ ـ «وسائل الإعلام الجماهيرية والتنمية الريفية» ملحق رقم (٣) ص١٩٤ـ ٢١٠ فى : الأقمار الصناعية والتنمية .

٢٠ ـ «القوانين التى تحكم بث الإعلانات التجارية» ملحق رقم(٥) ص٢١٣ـ٢٢٦ فى : الأقمار الصناعية والتنمية .

٢١ ـ «الفيديو فى الهند وفى مصر» ملحق رقم(٦) ص ٢٢٧ ـ ٢٣٥ فى : الأقمار الصناعية والتنمية .

٢٢ ـ «الأقمار الصناعية والإعلام الدولى» ملحق رقم (١٢) ص ٢٥٢ـ٢٨٤ فى : الأقمار الصناعية والتنمية .

٢٣ ـ «قرصنة الفيديو : الفيديو سندر» ملحق رقم (١٣) ص ٢٨٥ـ٢٩٤ فى : الأقمار الصناعية والتنمية .

٢٤ ـ «المعاهد والكليات التى تهتم بالدراسات الخاصة بوسائل الإعلام والاتصال فى الهند» ملحق رقم (٩) ص ٢٤٧ فى : الأقمار الصناعية والتنمية .

٢٥ ـ «تعدد أنظمة التليفزيون والفيديو» ص ٢٩ ـ ٣١ فى دولنا النامية فى عصر الأقمار الصناعية .

٢٦ ـ «نشرات أخبار التليفزيون المصرى» . المؤتمر الثالث عشر للجمعية الدولية لدراسات وبحوث الاتصال : باريس ، فرنسا ١٩٨٢ .

٢٧ ـ «وقت الفراغ ووسائل الإعلام فى قرية مصرية» . المؤتمر الرابع عشر للجمعية الدولية لدراسات وبحوث الاتصال : براغ ، تشيكوسلوفاكيا ١٩٨٤ .

٢٨ ـ «الطفل المصرى وتكنولوجيا الأقمار الصناعية» الندوة العلمية الإعلامية

العربية الثانية لحقبة القمر الصناعى العربى . ـ القاهرة : المركز الإعلامى للدراسات والبحوث القومية والاستراتيجية ١٩٨٥ .

٢٩ ـ «العالم الثالث على شبكة اليوروفيزيون» . المؤتمر الخامس عشر للجمعية الدولية لدراسات وبحوث الاتصال : نيودلهى ، الهند ١٩٨٦

٣٠ ـ «رؤية فى إصدار مجلة خاصة بالطفل العربى» . ندوة حول إصدار مجلة للأطفال على مستوى الوطن العربى . ـ القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، لجنة ثقافة الطفل ، ١٩٨٧ .

٣١ ـ «تعليم اللغة العربية والدين الإسلامى لأبناء الجيل الثانى للمغتربين» المؤتمر السابع للمركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية جامعة الأزهر ، ١ ـ ٤ مارس ١٩٨٧

٣٢ ـ «الفيديو فى مصر وفى بعض الدول العربية» . المؤتمر السادس للجمعية الدولية لدراسات وبحوث الاتصال : برشلونة اسبانيا ١٩٨٨ .

ثالثا : رسائل شاركت فى الإشراف عليها وتمت إجازتها

١ ـ «بالاشتراك مع الدكتوة ماجى الحلوانى» : تقييم الأخبار والبرامج الإخبارية التليفزيونية . إعداد : محمد محمود المرسى ؛ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٨٤ .

٢ ـ «بالاشتراك مع الدكتورة منى الجديدى» : دور التليفزيون اليمنى فى التوعية بخطة التنمية . إعداد : محمد عبد الله الحوثى ؛ رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٨٦ .

٣ ـ «بالاشتراك مع الدكتورة منى الجديدى» : برامج الشباب فى التليفزيون المصري . إعداد : أمانى السيد فهمى أحمد ؛ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٨٧ .

٤ ـ «بالاشتراك مع الدكتورة منى الجديدى» : النشرة الإخبارية باللغة الانجليزية فى التليفزيون المصري : دراسة تحليلية وميدانية : إعداد :

هبة الله بهجت السمرى ؛ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٨٧ .

٥ - «بالاشتراك مع الاستاذة الدكتورة جيهان رشتى» : القيم الإسلامية التى يتضمنها المسلسل العربى فى التليفزيون . إعداد : صابر سليمان عسران سليمان ؛ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٨٧ .

الحرب الإذاعية

المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

رقم الايداع لكتاب الحرب الإذاعية
٨٨/٤٩١٨